

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ـ المجلد السابع والستون

١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م

شروطُ النَّشرِ وضوابطُهُ وَقواعدُهُ

١ - ترحِّبُ مجلةُ (المَجْمَع العلميّ) بنشرِ البحوثِ والدّراساتِ العلميَّة في العلوم (النظرية والتطبيقية) الَّتي تتَّسم بالأصالة والجِدَّة، واستيفاء شروط البحث العلمي، باللغة العربيَّة كما تنشر تحقيق المَخْطُوطات والترجمات.

٢ - البحوث المنشورة تعبِّرُ عن آراء كاتِبيهَا، ولا تعبِّرُ عن رأي هيئة تحرير المجلَّة.

٣ - تعتذرُ هيئَةُ التّحريرِ عن نشرِ البحوث الدينيَّة التي تمسُّ العقائدَ أو البحوث ذات التّوجّهات السياسيَّة.

٤ - يصبحُ البحثُ بعدَ نَشرهِ في المجلَّةِ حَقًّا لهَا، ولا يجوزُ النَّقلُ عنهُ إلّا بالإشَارَةِ إلَى مجلَّةِ المَجْمَعِ العلميّ.

٥ - يُشتَرَطُ في البحثِ أنْ لا يكونَ قد نُشِرَ أو قُدِّمَ للنّشرِ في مَجّلَّةٍ أُخرَى وليسَ مستلًّا من كتابٍ مخطوط أو مطبوع، ويُلزم الباحث بالإمضاء على التعهُّدِ الخاصِ قبلَ تسليمِ بَحثِهِ.

٦ - تعتذرُ المَجَلَّةُ عن نَشرِ أَيِّ بَحثٍ يخلُّ بِشَرَطٍ من شروطِهَا.

٧ - لا تُرَدُّ أصولُ الأعمال المقدَّمة للمجلة سواءٌ قُبلت للنشر أم لم تقبل.

٨ - يحقُّ لهيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكليَّة على المادة المقدَّمة متى لزم الأمر من غير المساس بالموضوع.

٩ - يقدم البحث على شكل نسختين ورقيتين، فضلًا عن نسخة إلكترونية على قرصٍ ليزريّ (CD) أو عبر البريد الإلكتروني، على أن يكون حجم الخط (١٤) للمتن و(١٢) للهامش وعلى وجه من الورقة، ويكون نوع الخطّ المستخدم في الطّبَاعة (Simplified Arabic)، على أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن عشرين صفحة(A4).

١٠ -يلتزم الباحث بتقديم سيرة ذاتيَّة مختصرة تتضمَّن: الاسم كاملًا، والدرجة العلمية، ومكان العمل، والعنوان، والبريد الإلكتروني، ورقم الهاتف من أجل سهولة الاتصال وسرعته.

١١ -تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأوليَّة للبحوث العلميَّة المقدَّمة للنشر بالمجلة للتأكُّد من ملاءَمتها لأهداف المجلة وتوجُّهاتها، فضلًا عن توافر مقوّمات البحث العلميّ، وتُرسَل بعد ذلك إلى المحكّمين، من ذوي التخصص والخبرة، مع مراعاة ما يأتي:

أ -تتولى هيئة التحرير متابعة إجراءات التعديلات والتحقق من التزام الباحث بإجراءِ التعديلات المطلوبة قبل نشر العمل العلمي، ويكون ذلك ملزمًا للباحث.

ب -يتم إبلاغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه، ويزود بكتاب قبول نشر في حالة صلاحية بحثه، وفي حالة الاعتذار يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها الباحث لإعادة النظر ببحثه.

ت - ينشر العمل العلمي بعدَ استيفَائِهِ شروط النّشرِ وقواعدهِ في المَجَلَّةِ.

١٢ تعطى الأولوية في النشر بحسب الأسبقية الزمنية لتسليم البحوثِ إلى هيئة تحرير المجلة، وذلك بعد إجازتها من لَدُنِ المحكمين، وعلى وفقِ الاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.

١٣- يخضع ترتيب الأبحاث عند النشر في داخل العدد علَى وفق اعتبارات فنية وتُراعى الدرجة العلمية لصاحب العمل، أو بحسب ما تراه هيئة التّحرير.

١٤- يراعى في كتابةِ البحثِ التّرتيب الآتي:

أ - صفحة العنوان، المُلَخَّص باللغة العربية واللغة الانكليزيَّة، مقدمة البحث، الكلمات الدالة، متن البحث، النتائج والمقترحات التي توصل لها البحث، الأشكال والجداول والملاحق، ثم الهوامش.

ب - يسجل على صفحة العنوان: عنوان البحث في منتصف الصفحة، واسم الباحث/ الباحثين متبوعًا باسم المؤسسة التي يعمل/ يعملون بها، والبريد الإلكتروني الخاص به/ بهم.

ت - يراعى أن يكون الملخَّص في حدود ١٥٠ كلمة، وخاليًا من الاختصارات والهوامش، ويشير بوضوح إلى أهداف البحث ومنهجيته وأهم نتائجه.

ث - يقصد بالكلمات الدالة: المصطلحات الرئيسة التي وردت في متن البحث، على أنْ يكتب ما يقابلها باللغة الانكليزيَّة -إنْ وجد-، معَ مُرَاعَاةِ استخدام المصطلحات المُقرَّة عربيًّا.

ج - يُراعى في المقدمة اتباع الخطوات المنهجية العلمية.

ح - يراعى عدم وضع الجداول الكبيرة والأشكال التوضيحية والخرائط الكبيرة في متن البحث بل توضع في نهايته حتى يتمكن المراجعون من التحكم في حجمها علَى وفق حجم صفحة المجلة، أما الجداول والأشكال التي توضع في متن البحث فيجب أن يكون كل منها في صفحة مستقلة على أن يوضع رقم الجدول وعنوانه أعلاه، ورقم الشكل وعنوانه أدناه، ومصدره إنْ وجد. أما الهوامش لا تكون في نهاية البحث بل في داخل الصفحة مع رقم الهامش (يتم استخراج الهوامش من برنامج Microsoft Word – مراجع – نافذة حواشي سفلية – علامة مخصصة ، يدرج الرقم بين قوسين) (يتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل من (١) الى (١٠٠) .... الخ).

خ - تسجل المصادر والمراجع على النحو الآتي:

<u>في حالة الكتب :</u>

اسم المؤلف، سنة الوفاة للمصادر التراثية عنوان الكتاب، المحقق أو المترجم ان وجد رقم الطبعة عدا الأولى (مدينة النشر: اسم الناشر، أو المطبعة، سنة الطبع) ثم الجزء أو المجلد -إن وجد-، ورقم الصفحة، علَى أنْ لا تُكْتَبَ تفاصيل بطاقةُ الكتابِ في هوامشِ البحثِ، بل تُكتَبُ في ثَبْتِ المصَادرِ والمراجعِ.

في حالة البحوث:

اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم (الدورية أو المجلة) رقم المجلد (رقم العدد)، الصفحات التي يشغلها المقال بين قوسين (مدينة النشر: جهة النشر، سنة النشر) رقم الصفحة.

في حالة الإفَادَة من مصدرٍ ألكترونيّ (منشور علَى الشّابكة العَالميَّة):

اســم المؤلــف، العنــوان، المصــدر الإلكترونــي، ثــم يوضــع الــرابط، وتــاريخ الاطــلاع.

١٥- يُمنح كل باحث تأييد بقبول بحثه للنشر بعد إتمام كافة الإجراءات.

١٦- يُمنح كل باحث ثلاث نسخ من المجلة في العدد الذي نشر به بحثه مع خمس مستلات من البحث المنشور.

١٧- إذا كانَ البَاحِثُ في خارج العراق ، وتعذَّر عليهِ تسليم البحث يدويًّا فيمكن أنْ يرسلَه عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة، بعد الإمضاء على التعهُّد:

Journalacademy@yahoo.com

أو البريد الإلكتروني لمدير التحرير:

profalmosawi@yahoo.com

هيئة التحرير

اعضاء هيئة التحرير

المحتويـــات

الجزء الثاني/ المجلد السابع والسـتون

الافتتاحيَّة

مصطفى جواد (مفخرة العراق، وعلّامة اللغة)

بلادُ الرافدين كانت ولا تَزَالُ أرضًا معطاء، فأولى الاختراعاتِ في التاريخِ، قدَّمها العراقيُّ الأولُ (السومريّ) وهي: الكتابة، والعجلة (الدولاب)، والمحراث، والموسيقى، والأدب (الملاحم)، وعلم الفلك، وعلم الرياضيَّات، وعلم الخرائط، والقانون، وتخطيط المدن، وصناعة البطاريَّات... وغير ذلك كثير، وفي التاريخ الوسيط أضحَت بغدادُ منارةَ العالَم وقِبْلَتَهُ في العلمِ والتَّرجمةِ والثَّقافةِ العامَّة.

وفي العصرِ الحَديثِ- وبعد تشكيلِ الدَّولة العراقية الحديثة سنة (١٩٢١م)- برزت شخصياتٌ علميَّةٌ مهمَّةٌ كانَ لها صدًى واسعٌ، شغلت الناسَ وملأت الدنيا بنشاطها العلميّ والثقافيّ، ومن هولاء اللغويّ والمؤرِّخ مصطفى جواد الذي يُعدُّ من أهمِّ اللغويين العرب في القرن العشرين، وقد مرَّت الذكرى الخمسون على رحيله قبل أشهرٍ قلائل.

ولد مصطفى جواد سنة (١٩٠٦م) في منطقة (عگد القشلة) بالجانب الشرقيّ من بغداد من عائلة تركمانيَّة الأصل، وكان جده (مصطفى إبراهيم البياتيّ) شاعرًا يكتبُ باللغة العثمانية ذات الحروف العربيَّة، أمَّا والده فكانَ خيَّاطًا ماهرًا ومشهورًا في بغداد آنذاك.

وبعد الاحتلال الإنكليزيّ لبغداد سنة (١٩١٧م) انتقلَ مع عائلته إلى مدينةِ دلتاوة (الخالص اليوم) وهو لم يكمل الابتدائية، وفي هذهِ المدينة دخل الكتاتيب فتعلَّم قراءة القرآن والكتابة، فضلًا عن حضورهِ مجالس الثقافة الإسلامية الأخرى برفقة والده الذي أُصيبَ في عَيْنَيْهِ، ثم انتقل – بعدَ ذلكَ – إلى رحمة الله، فأصبح مصطفى تحت رعاية أخيه الأكبر كاظم جواد الذي كان يعشق الشعر والأدب ويُعَدُّ من أدباءِ بغداد في حينه، فأثَّرَ بشكل كبيرٍ في تحديد مسار

مصطفى جواد الثقافيّ والفكريّ، بعد أنْ أهداه معجمًا لغويًّا طالبًا منه حفظ عشرين كلمة في اليوم، مستفيدًا من وصية ابن خلدون الّتي يَقولُ فيهَا: "لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلُّم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة المَلَكَة الحاصلة عنه للحُفَّاظ" حتى أصبحت لديه حافظة واعية وذاكرة مُتَّقِدَة وقابلية ذهنية عالية مكَّنته من الحفظ والإتقان بشكلٍ سريع.

عاد إلى بغداد؛ ليكمل دراسته في (المدرسة الجعفريَّة)، فَلَقِيَ رعايةً من مديرها (شكر البغدادي) الذي اكتشف موهبته، ثُمَّ ألزمه بحفظ (الأجروميَّة) وهي موجز في النحو على مذهب الكوفيين من كتاب «الجُمل في النحو» لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجّاجي (ت: ٣٤٠هـ) في ١٤٥ بابًا، ألفه محمد ابن أجُرُّوم (ت: ٧٢٣هـ)، فحفظها في ثلاثةِ أيام، وزاده أكثر فأهداه كتاب (شرح قطر الندى)لابن هشام الأنصاريّ(ت٧٦١هـ)، فأتقن مضامينه، فاشتهر أمرُ هذا الصّغير النّابِه في المدرسَةِ وبينَ الأسَاتيذ، حَتَّى لُقِّبَ بـ (العلّامة النَّحويّ الصغير)!

وحينمَا دخلَ دار المعلِّمين ببغداد، وجد من يرعاه فيها؛ إذ حظيَ برعَايَةِ الأستَاذ طه الراوي (١٨٩٠- ١٩٤٦م)الّذي أهداه (ديوان المتنبي) بعد أن وجده يحفظ القصيدة الطويلة بساعةٍ واحدةٍ حِفظًا سليمًا مُتقَنًا، وَتَلَقَّاهُ بالرّعَايَةِ أيضًا الأستَاذ ساطع محمد هلال الحُصري (أبو خلدون) (١٨٧٩- ١٩٦٨م) الذي أهداه قلمًا فضيًّا عندما وجده يكمل عجز البيت الشعري إذا توقف عن ذكره، ولهُ ذائِقَةٌ نَقديَّةٌ في الشِّعرِ، وفي أثناء دراسته كان ينشر نتاجه الأدبيّ في المجلات المشهورة آنذاك.

وبعد تخرجه عُيِّنَ في لواء الناصرية معلمًا ثم في البصرة فبغداد، وأخذت مداركه تتوسع فأخذ يهتم بتحقيق التراث العربي الإسلامي.

اختير ضمن المبتعثين إلى باريس ليحط الرحال في جامعتها العتيدة السوربون ليدرس التاريخ فيها، بعد أن درس اللغة الفرنسية لمدة سنة (١٩٣٣م) في القاهرة سنة ١٩٣٣م وأثار إعجاب علماء مصر ومُثَقَّفيهَا آنذاك وأخَذ القلوب والأبصار عندما وجدوه ثاقب البصر: بعيد النَّظر، ذا فراسة.

ولبزوغه العلمي في جامعة السوربون اختاره المستشرق المعروف لويس ماسنيون (Louis Massignon)(١٨٨٣- ١٩٦٢م) وهو من أكبر المستشرقين آنذاك لكي يشرف على أطروحته للدكتوراه التي كانت بعنوان (سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها) وعند دخول القوات النازية باريس استعادت وزارة المعارف العراقية سنة(١٩٣٩م) الطلبة المبتعثين من باريس وعاد مصطفى جواد إلى بغداد، ليرسل بعد ذلك مشرفه لويس ماسنيون رسالة إلى وزارة المعارف بتأهيل مصطفى جواد وحصولهِ على الدكتوراه، وأوعز الوزير صالح جبر بتعيينه في دار المعلمين العالية، وأخذ اسمهُ يسطع في العالم العربي ومجامعه الثلاثة: دمشق والقاهرة وبغداد.

تنوعت كتابات الدكتور مصطفى جواد فأصبح موسوعيًّا من الطراز الأول، واشتهر اجتماعيًّا عندما كان يطل على الأسرة العراقية ببرنامجه التثقيفي والتعليمي(قل ولا تقل) الذي كانت له شعبية كبيرة، وزاد إقبَالُ النّاسِ علَى هذا البرنامجِ لِمَا كانَ يَتَحَلَّى بِهِ أستاذُنَا العَلّامَة مصطفى جواد بِرِقَّةِ طَبْعٍ، وَطِيبِ لُقيَا ، وَمَرَاحَةِ نَفْسٍ ، ويروي عنه البغداديون الكثير من النكات والمواقف الأدبية الساخرة في حياته وتعاملاته اليومية مع الناس والأصدقاء ولا تزالُ ذاكرة العراقيّينَ تحتضن صورَ تَجَمُّعِ العوائل أمامَ التلفاز آنذاك؛ بانتظارِ عرض البرنامج.

توفِّيَ- رحمهُ اللهُ – في اليومِ السابع عشر من شهرِ تشرين الثاني سنة ١٩٦٩م، وسار في تشييعه رئيس الجمهورية آنذاك، وجميع طبقات الشعب.

لقد كانَ – رحمهُ اللهُ – مُبدِعًا في جميعِ مجالاتِ البحثِ العلميِّ، فهوَ مُحَقِّقٌ مُدَقِّقٌ، ومؤلِّفٌ مُستَدرِكٌ، ومترجمٌ مُبدِعٌ، ومن جُملَةِ أعلاقِهِ النّفيسَة: تحقيقه لكتاب (الحوادث الجامعة)، ولكتابِ (رسائل في النحو واللغة)، ومن ترجماتِهِ: ترجمة (قصة الأمير خلف) عن الفرنسية، ومن أهمّ تآلِيفِهِ: (سيدات البلاط العباسي)، (المباحث اللغوية في العراق)، و(الأساس في الأدب) و(دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم)، و(خارطة بغداد قديمًا وحديثًا مع أحمد سوسة) نشره المجمع العلمي العراقي، و(دليل خارطة بغداد) و(دليل الجمهورية العراقية)... وغيرها الكثير.

وبين أيدي قرائِنا الكرام (الجزء الثاني) من المجلدِ (السابع والستين) من مجلتنا الغراء (المجمع العلمي) بِحُلَّةٍ قشيبةٍ زاهيةٍ، وهي تضمُّ بين دفَّتيها عددًا من البحوث والدراسات من بينها بحثٌ عن شخصية الدكتور مصطفى جواد كتبه الباحثُ (حسين محمد عجيل) بعنوان (استدراكات على باحثين وكُتّاب تناولوا سيرة الدكتور مصطفى جواد)، وهوَ بَحثٌ يَسُدُّ فجوةً معرفيَّةً مُهِمَّة في حيَاةِ هذا الإنسَانِ العَالِمِ، وهو – بَعدُ– مفيدٌ لِمَن يُريدُ أنْ يكتبَ عنه، وجميعُ بحوثِ هذا العددِ هيَ نافعةٌ في بابِهَا، مفيدةٌ لِطُلّابِهَا، هذا ونسألُ اللهَ –سبحانهُ وتعالَى– أنْ يُوفِّقَ جميعَ البّاحثينَ لِمَا فيهِ خدمةُ المعرفَةِ، وبنَاء بلدنا العزيز.

الأستاذ الدكتور
جواد مطر الموسوي
مدير التحرير

زيدُ الفوارس سيِّد قبيلة ضبّة وفارسها
قبل الإسلام

الاستاذ الدكتور

عبداللطيف حمودي الطائي

جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخص :

زيدُ الفوارس الضبّي من رؤساء القبائل العربية قبل الإسلام؛ وهو من الذين اشتهروا بالفروسية والكرم؛ كان يكثر الغارات والغزوات على القبائل العربية ولاسيما المجاورة لقبيلته؛ مثل قبيلتي عبس وذبيان؛ وزيدٌ هو اسمُ الشاعر؛ والفوارسُ لقبٌ عُرِفَ بهِ واشتهر؛ سُميَ زيدُ الفوارس، لأنَّهُ بعد أنْ قُتل أَبوه؛ خرج ثائرا؛ يطلبُ ثأرهُ ممن قتلوا أباه؛ فلحق بهم، وكانوا سبعة فرسانٍ؛ فدخل معهم في معركة قوية وحامية؛ فصال عليهم صولةً واحدةً؛ فقتلهم جميعا، ومن هنا سُميَ زيد الفوارس؛ له دورٌ كبير في الصلح الذي تم بين قبيلتي ضبّة وتميم بعد أنْ تفرقت كلمتهم؛ فساهم في انهاء الصراع بين القبيلتين؛ وذلك حينما زوج ابنته منفوسة لقيس ابن عاصم المنقري رئيس قبيلة تميم؛ ويُعدُّ هذا الزواج زواجا سياسيا؛ لأنَّهُ احتوى الصراع القائم بين القبيلتين .

المقدمة :

الجزيرة العربية موطن القبائل العربية؛ وموئل مآثرهم الأخلاقية من جودٍ وكرمٍ وفروسيةٍ؛ وهي منجمُ تراثهم الأدبي والأخلاقي الثّر الذي لا ينفد؛ فقد دوّنَ التاريخ في صفحاته البيض تراثهم الخالد بحروفٍ من نور؛ وكثير من شخصيات العربية كادت تقترب في مكانتها الاجتماعية والأخلاقية من الخيال والأساطير؛ ولعلّ الغزوات والغارات المتبادلة بين القبائل العربية، للاستحواذ على المراعي وغدران المياه؛ هي من ساهمت في صناعة الفرسان والأجواد؛ وزيدُ الفوارس الضبّي واحد من هذه الشخصيات المهمة[1]؛ إذ كان من رؤساء القبائل العربية قبل الإسلام؛ ومن الذين اشتهروا بالفروسية والكرم؛ وكان يكثر الغارات والغزوات على القبائل العربية ولاسيما المجاورة لقبيلته؛ مثل قبيلتي عبس وذبيان؛ فقال في ذلك مفتخرا بعد أنْ قتل فارسهم رزء[2]:

وَلَوْا تكبُهمُ الرِّماحُ كأنَّهم
أثلٌ جأفتْ أصُولهُ أو أَثأَب
لدُ غدوةً حتى أغاثَ شريدَهمُ
جوَّ العشارةِ فالعُيونُ فرنقبُ
فتركتُ رزءا في الغبارِ كأنَّهُ
بشقيقتي قدميهِ مُتَلْبَبُ

[1] أيام العرب قبل الإسلام: ٢/٥٦٣.
[2] النوادر في اللغة: ١١٣.

كما كانت لزيد الفوارس غزوات وغارات متبادلة مع قبيلة طيِّيّء؛ فقبيلة طيِّيّء تطلبهُ ثأرا قديما لم تدركه بعد؛ حدث ذلك خلال إحدى غزواتهم المتبادلة؛ وصادف أنْ مرَّ زيدُ الفوارس بديار طيِّيّء بعد عودته من إحدى غزواته؛ ولما علم أوس بن حارثة سيد قبيلة طيِّيّء؛ بخبر مرور زيد الفوارس بأرض قبيلته؛ أرسل فيمن يرده عليه ليقتص منه؛ ولكنَّ زيدَ الفوارس كان ذكياً وفطنا؛ فعلم بنوايا أوس بن حارثة؛ فهرب ونجا بنفسه على ظهر فرسٍ لهُ تُسمّى شُولة؛ فقال في ذلك مفتخرا[٣] :

تألى ابن أوسٍ حلفةً ليردَني

على نسوة كأنَّهنَّ مفائدُ

قصرتُ لهُ من صدرِ شُولةٍ إنَّما

يُنجي من الموتِ الكريمُ المناجدُ

زيدٌ هو اسمٌ للشاعر؛ والفوارسُ لقبٌ عُرِفَ بهِ واشتهر؛ فهو زيدٌ بن حُصين ابن ضرار بن عمرو بن مالك بن بجالة بن ذُهل بن بكر بن سعد بن ضبّة، سُمِّيَ زيدُ الفوارس، لأنَّهُ بعد أنْ قُتل أَبوه؛ خرج ثائرا؛ يطلبُ ثأرهُ ممن قتلوا أباه؛ فلحق بهم، وكانوا سبعة فرسان؛ فدخل معهم في معركة قوية وحامية؛ فصال عليهم صولة واحدة؛ فقتلهم جميعا، ومن هنا سُمِّي زيد الفوارس[٤]؛ فضلا عن كونه كان يمتلك عدة أفراس أصيلة، وزيد الفوارس

---

[٣] ديوان الحماسة: ١٥٨؛ ابن أوس هو قيس؛ أرسله أبوه ليرد زيد الفوارس عليه؛ لكنَّ زيد الفوارس قتل قيسا وهرب .

[٤] أيام العرب قبل الإسلام: ٥٦٣/٢ .

هو سيد قبيلة ضبّة؛ ورئيسها في الجاهلية؛ إذ كان فارسا شاعرا جوادا، وهو فارس الرباب[٥]، وفارس عرقوب[٦]، وفارس كامل[٧]، وفارس شُولة[٨]، وفارس الخرماء[٩]، فضلا إنَّهُ قوي الشخصية؛ راجح العقل، حسن التدبير؛ أضف الى ذلك دورهُ الكبير والمهم في الصلح الذي تم بين قبيلتي ضبّة وتميم بعد أن تفرقت كلمتهم؛ فساهم في تحجيم الصراع الذي نشب بين القبيلتين قُبيل الإسلام بقليل وانهائه، وذلك حينما زوج ابنته منفوسة لقيس ابن عاصم المنقري رئيس قبيلة تميم؛ وقد سميتُ هذه الزيجة زيجةً سياسية؛ لأنَّها احتوت الصراع القائم بين القبيلتين، ومن الحوادث المهمة التي حدثت لزيد الفوارس خلال زعامته لقبيلة ضبّة؛ هي دخوله في صراع غامض؛ مع الشاعر الفارس زُهير بن مسعود الضبّي؛ مما جعل زُهير يطعن زيد الفوارس فيشله[١٠]؛ ولم اقف على أسباب هذا الصراع؛ ولكن أرجح أنَّ هذا الصراع ربما حدث على زعامة القبيلة؛ وتشير الأخبار الى أنَّ زيد الفوارس قُتلَ في

---

[٥] العمدة: ١٩٢/٢، اختيار من كتاب الممتع: ١٠٦، نهاية الأرب: ١٨٩/٢: الرَّباب تجمع قبلي يضم قبائل بني أد: ضبة؛ عدي؛ عكل؛ ثور؛ تيم .

[٦] المخصص: ١٩٥/٢ .

[٧] حلية الفرسان: ١٥٥، أسماء خيل العرب للغندجاني: ٢١١، البحر المحيط: ٤٦/٤.

[٨] المخصص: ١٩٥/٢، كتاب الخيل لأبي عبيدة: ٢٠، كتاب الخيل لابن الأعرابي: ٤٠ .

[٩] أسماء خيل العرب للغندجاني: ٩٢، حلية الفرسان: ١٥٦ .

[١٠] قصائد جاهلية نادرة: ١٥٥ .

منطقـة ذات العـرادس فـي يـوم الإمـرار[١١] فـي أرض الخـوع مـن ديـار بكـر حيث كانت قبيلة بكر بن وائل تسكن؛ وذلك بعد أنْ قاد غزوا كبيرا؛ غزا بـه قبيلـة بكـر فـي عـقر دارها فـي تجمـعٍ لقبائـل: ضـبّة وتمـيم والرَّبـاب؛ وأرض الخوع تقع في ديار بكر؛ وهـي مـن ضـمن الأراضـي التركيـة حاليا؛ وتمثل الآن ولايـة تركيـة قائمـة برأسـها؛ فقد كـان زيـد الفوارس مؤتلفا مـع فدكي بـن أعبد المنقري فارس سعد[١٢] في سعد بن زيد المناة من قبيلـة تميم، وفـي تلك الغزوة قتل التيميـان زيد الفوارس عند جبل الإمرار[١٣]، والتيميان هما عمرو؛ وأبو عمرو ابنا عبد العزى؛ ويعرفان بالمُسلِبان؛ وهما من بنـي تيم الله ابن ثعلبة بن بكر بن وائل[١٤]؛ سُميا بالمُسلبان؛ لأنهما بعد أنْ قتلا زيد الفوارس سلبا سلاحه وثيابه، فقال الشاعر خُزاز بن عمرو الضبّي يرثي زيد الفوارس وأبناء عمومته ممن قتلوا في تلك الغزوة[١٥]:

١- تبكي على بكرٍ شربتُ بـهِ   سفهـا تبكيهـا علــى بكــرِ

٢- هـلا علـى زيد الفوارس زيـ.........د اللات أو هلا علـى عمرِو

---

[١١] النقـائض: ١/٣٣٥، معـجم مـا استعـجم، مـادة: الخـوع، أيـام العـرب قبـل الإسـلام: ٢/ ٥١٨ .

[١٢] العمدة: ٢/١٩٢.

[١٣] النقـائض: ١/٣٣٥، معـجم مـا استعـجم، مـادة: الخـوع، أيـام العـرب قبـل الإسـلام: ٢/ ٥٩٨ .

[١٤] شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٤٥٥، الإشتقاق: ٣٥٣ .

[١٥] ديوان الحماسة: ٢٨٨ .

٣- تبكينَ لا رقـأتْ دموعَكِ أو هلا على سلفي بني نصـرِ[١٦]

٤- خَلَوْا عليَ الدهـرَ بعدهُـم فبقيتُ كالمنصوبِ للدهرِ

٥- إنَّ الرزيـــةَ مــا أؤلاكَ إذا هزَّ المخالعُ أقدحَ اليُسـرِ [١٧]

٦- أهلُ الحلومِ إذا الحلومُ هفتْ والعرفُ في الأقوامِ كالنكـرِ

٧- أهلُ السماحةِ في الندى إذا ضننتْ سماءُ القومِ بالقطـرِ

٨- ويزيــنُ ناديهـم حلومهُـــم ويكفُ قائلهم عن الهُجـرِ [١٨]

وبذلك يكون بنو شيبان؛ وهم إحدى أكبر بطون قبيلة بكر بن وائل، قد أدركـوا ثـأرهم مـن قبيلـة ضبّة التـي قتلـت فـي وقـت سـابق سيِّدهم بسـطام بن قيس الشيباني في يوم الشقيقة، فقال شمعلة بن الأخضر الضبّي مفتخرا بذلك:

ويومَ شقيقةِ الحسنيينِ لاقتْ بنو شيبانَ آجالا قصــــارا

شككنـا بالرمــاحِ وهُـنَّ زورٌ صماخيْ كبشهم حتى استدارا[١٩]

فخرَ على الالاءةِ لم يوسدْ وقد كان الدمــاءُ لـه خمـــارا

---

[١٦] رقأت: سكنت

[١٧] هزَّ: ركره، المخالع: المقامر

[١٨] الحلوم: العقول، هفت: طاشت

[١٩] كبشـهم: رئيسـهم وعنـى بـذلك بسطام بـن قـيس الشـيباني؛ قتلـه عاصـم بـن خليفة الضبّي .

وعندما وصل خبر مقتل زيد الفوارس الى مسامع قيس بن عاصم المنقري سيِّد بني سعد بن زيد المناة؛ ورئيس قبيلة تميم؛ وختنه على ابنته منفوسة، قال يرثيه على لسان ابنته منفوسة[٢٠]:

لقد غادر السعدان حزما ونائلا

لدى جبلِ الإمرارِ زيدُ الفوارسِ

فلو كان حيا صاحبُ الخوعِ لم تقظْ

سدوسٌ ولا شيبانَ ذاتِ العرائسِ

من يتصّدى لدراسة شعر شاعر؛ لابد له من معرفة قبيلته ومساكنها وأيامها؛ لعّلها تعطيه بصيصا من الضوء؛ لمعرفة الشاعر على وجه التقريب؛ فضبّة بفتح الضاد والباء المشددة والتاء مربوطة، هي إحدى قبائل مضر العدنانية الكبيرة المشهورة، وتنتسب إلى ضبّة بن أد بن طابخة بن قمعة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان[٢١]، تزّوج ضبّة بن أد ليلى بنت لحيان بن هُذيل بن مدركة، فأنجبت له: سَعدا وسُعيدا، وباسلا وعَمْرا[٢٢] والشُعيراء زوج ابن عمها بكر بن مرّ ابن أد، وأنجبت له: بنو الشُعيراء الذين هم بالبصرة[٢٣]، وعدادهم في بني سعد بن زيد مناة بن

---

[٢٠] معجم ما استعجم، ٢/ ٥١٨ .

[٢١] سبائك الذهب: ٣٥؛ جمهرة النسب: ٢٠ .

[٢٢] جمهرة النسب: ٢٩٢ .

[٢٣] الاشتقاق: ٤٢٢؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١/٤٠٢ .

تميم[٢٤]، والرَّوْقاء زوج ابن عمها تميم بن مرّ بن أد، وأنجبت له: عمرا والحارث ويربوعا[٢٥]، وأما عمرو بن ضبّة فقد درج[٢٦] وسُعيدٌ قتله الحارث ابن كعب[٢٧]، وباسل بن ضبة تزوج امرأة من العجم فأنجبت له: الديلم[٢٨]، فيما تزوج سعد بن ضبّة امرأة من قبيلة إياد فأنجبت له: بكرا، ثم تزوج هند بنت ثعلبة ابن رومان بن طيّيّء، فأنجبت له: ثعلبة وصُريما [٢٩]، وتشير المصادر وكتب الأنساب إلى أنَّ قبيلة ضبّة كلها تنحدر من نسل سعد بن ضبّة [٣٠]، وتبعا لذلك فإنَّ قبيلة ضبّة تنحدر من جدٍّ واحدٍ هو سعد بن ضبّة، ومن ثلاثة بطون رئيسة هي:

١ - بطن بني صُريم بن سعد؛ وعددهم قليل[٣١].

٢ - بطن بني بكر بن سعد[٣٢].

٣ - بطن بني ثعلبة بن سعد[٣٣].

---

[٢٤] جمهرة النسب: ٢٥٢ .

[٢٥] جمهرة النسب: ١٩١؛ وكانت ذات جمال كبير فسميت بالعوراء خوفا عليها من الحسد: البرصان والعرجان: ٧٧ .

[٢٦] درج: مات صغيرا ولم ينجب .

[٢٧] جمهرة النسب: ٢٩٢؛ الفاخر: ٥٩؛ فصل المقال: ١٧٦ .

[٢٨] جمهرة النسب: ٢٩٣ .

[٢٩] جمهرة النسب: ٢٩٣ .

[٣٠] طبقات فحول الشعراء: ٢٨٣/١؛ التنبيه: ٤٣ .

[٣١] جمهرة النسب: ٢٩٣؛ الاشتقاق: ١٩ .

[٣٢] جمهرة النسب: ٢٩٣ .

[٣٣] جمهرة النسب: ٢٩٩ .

وتتفق كتب الأنساب كلُّها على أنَّ باسل بن ضبّة تزوج امرأة من العجم؛ وأنجبتْ له الديلم، وتبعا لهذه الحالة؛ وجدنا الشاعر ابن بُجير يُعيبُ على بني ضبّة ذلك فيقول[٣٤]:

وديلمٌ من نسلِ ابن ضبّة باسل ... وبرجان من أولاد عمرو بن عامر

ومن خلال تتبعي لجذور قبيلة ضبّة وأصولها، وجدت في دائرة المعارف الإسلامية[٣٥] أنَّ الأبيض بن معاوية، هم فخذ من قبيلة ضبّة، ينتسبون إلى الأبيض ابن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبّة بن أد المضري، وأنّ الصحابي الجليل فيروز الديلمي[٣٦] قاتل المرتد الكذّاب، الأسود العنسي منهم، وديارهم في صنعاء باليمن، فيما قال: أبو الفوز محمد أمين البغدادي: إنَّ أولاد ضبّة هم: سعدٌ وسُعيدٌ وباسلٌ وعَميرةٌ[٣٧]، وقال: إنَّ قبيلة ضبّة تنحدر من ثلاثة جدود هم: سعد وباسل وعميرة، وأنَّ بطن بنو الصباح من نسل عميرة بن ضبّة [٣٨]، ولكنّي لا أرجح ذلك لأنَّ ابن الكلبي، وابن دريد، وابن حزم؛ والقلقشندي متفقون على أنَّ بطن بنو الصباح هم من نسل ثعلبة بن سعد بن ضبّة، وإنْ صحّ ذلك فإنَّ قبيلة ضبة تنحدر من ثلاثة جدود هم: سعد بن ضبَّة، وباسل بن ضبّة، وعميرة بن

---

[٣٤] العقد الفريد: ٣/٨٥.

[٣٥] دائرة المعارف الإسلامية : ٥/٣٠٤ .

[٣٦] الاستيعاب: ٣/ ١٢٦٥.

[٣٧] سبائك الذهب: ٢٥.

[٣٨] سبائك الذهب: ٢٥؛ وقال: صباح بن طريف بن زيد بن عمر بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عميرة بن ضبّة .

ضبّة، بدلا من جدٍّ واحدٍ هو سعد ابن ضبّة [٣٩]، ويقول أبناء قبيلة ضبّة: إنَّ قبر جدَّهم ضبّة ابن أد في قسا[٤٠] .

سكنت قبيلة ضبّة في أول أمرها في تُهامة[٤١]، ثم تحولت عنها بحثا عن الكلأ والماء، فسكنت في النواحي الشمالية من نجد[٤٢]، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالله بن عنمة الضبّي[٤٣]:

أهلي بنجدٍ ورحلي في بيوتِكم   على عباقرَ من غَوريَةِ العلِمِ

كما سكنوا شمال الحجاز[٤٤]، وكذلك سكنوا ما بين اليمامة، وهجر مع بني عمومتهم بني تميم حين حلّوا في منازل قبيلتي بكر وتغلب بعد أنْ وقعت الحرب بينهما[٤٥]؛ ولذلك كانت ديارهم ومراعيهم في اليمامة، وتمتد في نجد؛ لتشمل وادي عاقل[٤٦] ولما أشرقت شمس الإسلام انتقلوا إلى العراق وسكنوا البصرة[٤٧]،

---

[٣٩] طبقات فحول الشعراء: ١٨٣/١ وقال ابن سلام: ضبّة كلها ثعلبة وبكر ابنا سعد بن ضبّة.

[٤٠] المؤتلف والمختلف: ١٦٤ – ١٦٥.

[٤١] معجم ما استعجم: ٨٨/١ .

[٤٢] نهاية الأرب: ٣١٩؛ سبائك الذهب : ٢٥.

[٤٣] معجم البلدان مادة: عبقر؛ ٧٦/٤.

[٤٤] معجم ما استعجم: ٨٨/١ .

[٤٥] معجم ما استعجم: ٨٨/١ .

[٤٦] دائرة المعارف الإسلامية: ٢٣/١٥ .

[٤٧] دائرة المعارف الإسلامية: ٢٣/١٥ .

والنعمانية[٤٨] والجزيرة الفُراتية[٤٩] ومن العراق انتشروا في الأمصار المفتوحة لمشاركتهم في نشر الإسلام في الأقاليم الشرقية، حيث سكنوا في الدينور، وماسبذان، ومهراجا[٥٠]، فيما سكن بنو باسل بن ضبّة في اليمن، وهاجرت أعداد قليلة من أبنائها إلى الأندلس[٥١] .

قبيلة ضبّة هي إحدى جمرات العرب المتفق عليها، فقد قال محمد بن حبيب[٥٢]: (جمرات العرب ضبّة بن أد، وعبس بن بغيض، والحارث بن كعب، ويربوع ابن حنظلة)؛ فيما قال الجاحظ [٥٣]: (جمرات العرب عبس، وضبّة، ونُمير، ويقال لكل واحد منهم جمرة) وقد افتخر بهذه الجمرات الشاعر أبو حيّة النُّميري قائلا[٥٤]:

لنا جمراتٌ ليس في الأرضِ مثلها ... كرامٌ وقد جربن كلَّ التجاربِ

نميرٌ وعبسٌ، تتقى صقراتها ... وضبّةٌ قومٌ بأسهم غير كاذبِ

وإما سبب تسمية هذه القبائل بالجمرات ففيه عدة آراء، منها قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) [٥٥]: (الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من

---

[٤٨] معجم القبائل العربية: ٦٦١ – ٦٦٢ .

[٤٩] نهاية الأرب: ٣١٩؛ سبائك الذهب: ٢٥ .

[٥٠] فتوح البلدان: ٣٧٧ .

[٥١] الاستيعاب: ١٢٦٥/٣ .

[٥٢] المحبر: ٢٣٤ .

[٥٣] الحيوان: ١٢٣/٥ .

[٥٤] شعر أبي حية النميري: ١١٩ .

[٥٥] ثمار القلوب: ١٦٠؛ لسان العرب مادة: جمر.

قاتلهم ولا يحالفون أحدا، ولا ينضمون إلى أحد، وتكون القبيلة جمرة نفسها، جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس)، وقال ابن عبد ربه[٥٦]: (إنما قيل الجمرات؛ لاجتماعهم، والجمرة الجماعة، والتجمير التجميع)، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ)[٥٧]: (الجمرة القبيلة لا تنظم إلى أحد ...... والجمرة ألف فارس) .

وديانة قبيلة ضبّة ومعتقدها وثني؛ شأنها شأن قبائل بني أد جميعا[٥٨]، إذ كانوا يعبدون صنما خاصا بهم اسمه ((الشمس))[٥٩]، يعبدونه ويتقربون به إلى الله زلفى، وكان لصنم الشمس بيت خاص به، وكانت تلبيتهم ونسكهم له، وإذا جاؤوه حاجين؛ كانوا يرددون التلبية الآتية[٦٠] :

لبيك اللهم لبيك

إدلاجه وحره وقره

لا نتقي شيئا ولا نضره

حجا لربٍّ مستقيمٍ بره

---

[٥٦] العقد الفريد: ٣/٢٩١ .

[٥٧] لسان العرب مادة: جمر .

[٥٨] قبائل بني أد هي: ضبّة؛ وتميم؛ وعدي؛ وعُكل؛ وثور؛ وتيم .

[٥٩] المحبر: ٣١٦؛ معجم البلدان مادة: الشمس .

[٦٠] المحبر: ٣١٢؛ الأزمنة والأمكنة وتلبية الجاهلية: ١١٩؛ نصوص التلبيات: ٢٩٢.

وكان سدنةُ صنم الفلس من بني تميم[٦١]، إلا أنَّهُ مع ذلك كان لكل قبيلةٍ من قبائل بني أد سادن خاص يمثلها، وكان سادن بنو ضبّة، هو ظالم بن غضبان[٦٢]، وعندما أشرقتْ شمس الإسلام على ربوع جزيرة العرب، وأخذ نوره المبارك يتتبع الأصنام والأوثان؛ تولى هند بن أبي هالة، وصفوان بن أُسيد بن حلاحل تحطيم صنم الشمس[٦٣]، والقضاء عليه والى غير رجعة .

وقبيلة ضبّة هي إحدى قبائل الحلة [٦٤]، وكانت هذه القبائل تخرج إلى عرفة؛ وتراه موقفا ومنسكا، وكان أبناء هذه القبائل لا يطوفون بين الصفا والمروة، وكانوا يحرمون الصيد في النُسك؛ ولا يحرمونه في الحرم، وعندما ينسكون يهبُ أغنياؤهم بعض أموالهم إلى فقرائهم، كما أنهم يجتزون من الأصواف والأوبار والأشعار ما يسدّ حاجتهم فقط، ولا يلبسون إلا الثياب التي نسكوا فيها، وهم لا يلبسون الملابس الجديدة في نُسكهم، وعندما يحرمون لا يدخلون من باب دار أو بيت ولا يأوون إلى ظلٍّ، وكانوا يأكلون اللحوم، وإذا دخلوا مكة بعد انتهائهم من آداء المناسك، تصدقوا بكل ما يملكون من ملابس وأحذية، ويستأجرون غيرها من أهل الحمس؛ وذلك تنزيها للكعبة، كما أنهم كانوا يطوفون حول الكعبة حفاةَ الأقدام؛ فان لم

---

[٦١] المحبر: ٣١٦ .

[٦٢] الاشتقاق: ١٩٣.

[٦٣] المحبر: ٣١٦ .

[٦٤] قبائل الحلة هي: ضبّة؛ وتميم؛ ومُزينة؛ والرّباب؛ وثور؛ وقيس عيلان؛ وربيعة؛ وقُضاعة؛ المحبر: ١٧٩ .

يجدوا ثيابا، طافوا عراةً، وكان لكل رجل من الحلة حرمي من الحمس، يأخذ ملابسه، وذلك؛ لأنهم إذا خرجوا حجاجا لم يستحلوا البيع والشراء حتى عودتهم إلى منازلهم، إلا اللحم[٦٥].

وبعد انتشار القبائل العربية في الأمصار المفتوحة، في المشرق والشام وشمال افريقيا والأندلس؛ واستقرار عدد كبير من أبنائها في مدن الثغور للعمل في حامياتها، أخذت القبائل العربية تتقارب وتندمج بعضها في بعض؛ ولاسيما القبائل ذات الأصل الواحد؛ ثم حملت بعد الاندماج اسم القبيلة الأكبر؛ والأكثر شهرة ونفوذا، وتبعا لما تقدم فأن قبيلة ضبّة بحكم العمومة والخؤولة التي تجمعها مع قبيلة تميم، فقد اندمجت معها مع الاحتفاظ بهويتها في أول الأمر، فقد قال دَجاجةُ بن زُهري بن علقمة بن مرهوب الضبّي[٦٦]:

قومي تميمٌ والرّبابُ عمارتي وأنا ابنُ ضبّة في النصابِ الأكرمِ

فيما قالت أم كثير الضبّية تهجو زوجها وتشكو ظلمه إلى قومها[٦٧]:

لا باركَ اللهُ في أنثى وعذبَها تزوجتْ مُضريا آخرَ الدهرِ

أبلغْ رجالَ تميمٍ قولَ موجعةٍ أحللتموها بدارِ الذُّلِ والفقرِ

ونتيجة للظروف غير الطبيعية التي مرت بها الدولة الإسلامية؛ ولاسيما مدن الثغور بالذات على وجه الخصوص، ولتقادم الزمان؛ وتفرق أبناء

---

[٦٥] المحبر: ١٨٠ – ١٨١ .

[٦٦] المؤتلف والمختلف: ١٦٤ – ١٦٥ .

[٦٧] الكامل في التاريخ: ٢٤٧/٥ .

القبيلة الواحدة في عدة أماكن من الامصار المفتوحة، انصهرت قبيلة ضبّة في قبيلة تميم، ودخلت في عدادها، فيما ذهب صاحب القاموس[٦٨] إلى أنَّ الأمر انتهى بقبيلة ضبّة باندماجها وانصهارها في تجمع الرّباب، والصواب أنَّ قبيلة ضبّة لم تنصهر في تجمع الرّباب بل تآلفت معها؛ لأنَّ قبائل الرّباب هم أخوة ضبّة؛ فيما كان تميم بن مر بن أد هو ابن أخيهم؛ ومن ثم اندمجت قبيلة ضبّة وحلفاؤها من قبائل الرّباب في قبيلة تميم كما أكدت ذلك الشواهد الشعرية السابقة .

كان لقبيلة ضبّة ديوانُ شعر ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) في كتابه المؤتلف والمختلف صراحةً مرتين: قال في الأولى[٦٩]: (ومنهم الحُصين ابن عُوَية أخو بني كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة، ومنهم الحُصين بن أصرم الضبّي أيضا، أحد بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبّة بن أد ..... شاعران محسنان وشعرهما وأخبارهما في كتاب بني ضبّة)... وقال في الثانية[٧٠]: (وأما سعنة – بالنون غير معجمة السين – ففي بني ضبّة بن أد؛ وهو أبو سُعيد بن سعنة، وسعنة هو ابن رُميلة الضبّي، جاهلي وأحد شعراء بني ضبّة وله في كتابهم أشعار جياد)، وذكر الديوان ضمنا من غير أن يشير إلى ديوان أو كتاب ثلاث مرات، قال في الأولى[٧١]:

---

[٦٨] القاموس مادة : جمر؛ دائرة المعارف الإسلامية: ١٥/ ٢٣ .

[٦٩] المؤتلف والمختلف: ١٢ .

[٧٠] المؤتلف والمختلف: ٢١٢ .

[٧١] المؤتلف والمختلف: ١٠٠ – ١٠١؛ والعائذي من بني عائذة وهم بطن من ضبّة .

(جواس بن نعيم أحد بني حرثان ابن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد الضبّي له أشعار جِياد وهو القائل:

كأنَّ خروء الطيرِ فوقَ رؤوسِهِم   إذا اجتمعتْ قيسٌ معا وتميمُ

متى تسأل الضبّي عن شرِّ قومِهِ   يقلْ لكَ إنَّ العائذيَ لئيمُ).

وقال في الثانية[٧٢]: (الصلتان الضبّي ولست اعرفه في شعراء بني ضبّة) .

وقال في الثالثة[٧٣]: (هميان الضبّي؛ ولا اعرف نسبه من ضبّة ولا رأيته في شعرائها)، وهذا يعني أنَّ الآمدي لم يرَ لهم شعرا في كتاب أشعار بني ضبّة الموجود بين يديه .

أما أبو الفرج محمد بن إسحق النديم (ت ٣٨٥هـ)[٧٤]؛ فقد ذكر ديوان ضبّة في فهرسته مع أسماء دواوين القبائل؛ وقد سمّاه أشعار ضبّة، وقال: صنعه السكري .

أما أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي؛ فقد ذكر ديوان شعر قبيلة ضبّة؛ فقال[٧٥]: (رأيت بخطِّ ابن دريد ديوان قبيلة ضبّة)؛ وهذا يعني أنَّ ابن دريد الأزدي صنع نسخة أخرى من ديوان قبيلة ضبَّة؛ أما شاعرنا زيد الفوارس فقد ضاع اكثر شعره؛ ولم يصل إلينا من شعره سوى هذه القطع

---

[٧٢] المؤتلف والمختلف: ٢١٥ .

[٧٣] المؤتلف والمختلف: ٣٠٥ .

[٧٤] الفهرست: ١٨ .

[٧٥] كتاب الفصوص: ٥٧٩ .

المدرجة في هذا البحث؛ وذلك لأنَّ الرواة لم يجمعوا شعره ولم يدونوه؛ ولعلَّ لهُ شعرا ضمن كتاب أشعار القبيلة، ولم نقف عليه؛ وسأقوم في هذا البحث بجمع ما وقعت يداي عليه من شعر زيد الفوارس الضبّي .

ما بقي من شعر زيد الفوارس الذي وصل إلينا:

(١)

قال زيد الفوارس مفتخرا بنفسه ويهجو عبسا وذبيانَ:

من البحر الطويل

١ - دلهتِ انْ لمْ تسألي أيِّ أمرئٍ
يلوى النقيعةَ إذا رجالٌ غيبُ[٧٦]

٢ - إذا جاء يومٌ ضوؤه كظلامهِ
بادي الكواكبُ مقمطرٌ أشهبُ

٣ - عوذٌ وبهثةٌ حاشدونَ عليهم
حلقُ الحديدِ مضاعفا يتلهبُ[٧٧]

٤ - ولوا تكبهم الرماحُ كأنَّهم
أثلٌ جأفتْ أصولهُ أو أثابُ

٥ - لدُ غدوة حتى أغاثَ شريدهم
جو العشارةِ فالعيونِ فرنقبُ [٧٨]

---

[٧٦] دلهت: ذهب فؤادي من الغم والهم، والمرأة تدله على ولدها، إذا فقدته، دله الرجل: إذا تحير.

[٧٧] عوذ وبهثة: بطنان من عبس وذبيان على التوالي.

[٧٨] فرنقب: اسم موضع.

٦ -فتركتُ رزءا فـي الغبارِ كأنَّهُ
بشقيقتي قدميةٍ متلببُ[٧٩]

التخريــج :

- القطعة في النوادر في اللغة: ١١٣
- القطعة في خزانة الأدب: ١٧٥/٣
- القطعة في بلوغ الأرب: ١٣٨/٢
- البيت الثالث في الأمالي الشجرية: ١٦٧/١، ٣٢٧/٢ بدون عزو

اختلاف الرواية:

٢ – .... رجالك غيبُ، في خزانة الأدب
٢ – .... حاسدون؛ في الأمالي الشجرية
٥ – .... العشاوة؛ في بلوغ الأرب

(٢)

وقال زيد الفوارس يصف فرسه الخرماء:

من البحر الطويل

١- أبتغي النهبَ والخرماءُ تمطو سواما مثلَ سارحةِ الجرادِ

التخريــج:

- البيت في أسماء خيل العرب للغندجاني: ٩٢

---

[٧٩] رزء: فارس عبس وذبيان في تلك الوقيعة.

(٣)

في طريق عودته من إحدى الغزوات؛ مرَّ زيد الفوارس؛ وعلقمة بن مرهوب؛ وحسان بن المنذر بن ضرار؛ ومعهم رجلان، الأول من بني هاجر[٨٠]، والثاني من بني الصباح[٨١]، بأرض طيّيّء ؛ فنزلوا على أوس بن حارثة بن لأم رئيس بني جديلة من طيّيّء، إلا زيد الفوارس، وعلقمة بن موهوب، أبيا النزول؛ لأنَّهما يعرفان أنَّ أوس بن حارثة سيد بني جديلة يطلبهما بثأر قديم؛ فخافا أن ينزلا عليه؛ فيقتص منهما؛ فسأل أوس بن حارثة حسان بن المنذر: مَنْ هذان الرجلان اللذان معك ؟ فقال حسان: هما زيد الفوارس؛ وعلقمة بن مرهوب، فالتفت أوس الى ابنه قيس فقال له: اركب فأرددهما علي، فركب وقال لهما أنَّ أبي يقسم عليكما لترجعان إليه، فأبيا فأغلظ لهما القول، عند ذاك شد زيد الفوارس على قيس بن أوس فقتله وهربا، وعندما أبطأ قيس على أبيه، توجس حسان بن المنذر خيفة من تصرفات زيد الفوارس، فركب هو وصاحباه، فلما انتهوا الى زيد الفوارس؛ ورأوه ما صنع، التفت حسان الى أهون اصحابه فقال: ارجع الى درعي فقد نسيتها عند أوس، فإن سألك من أنت ؟ فقل: أنا ابن ضرار، فقتله أوس بن حارثة، وقال: كريم بكريم[٨٢] وبهذه المناسبة قال زيد الفوارس هذه القطعة .

---

[٨٠] هاجر بطن من بني بكر بن سعد من قبيلة ضبة، جمهرة النسب: ٢٩٥ .

[٨١] صباح بطن من بني ثعلبة بن سعد من قبيلة ضبة، جمهرة النسب: ٣٠٠ .

[٨٢] شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢١٦/١ .

من البحر الطويل

١- تألــى ابــن أوس حلفــة ليردنـــي

علـى نســوة كأنـهن مفائــدُ[٨٣]

٢- قصرتُ لـه من صـدر شـولـة إنمـا

ينجـى من الموت الكريم المناجدُ

٣- إذا رعتُ منها رعتُ جـوز جـــرادة

لمكنونـها إن لـم تحـتها الجرائــدُ

٤- دعـاني ابن مرهوب علـى شنءٍ بيننا

فقلتُ لـه : إن الرمـاح مصايـدُ[٨٤]

٥- وقلتُ لهُ: كن عن شمالي فأنني

سـأكفيـك إن ذاد المنيـة ذائــدُ

التخريــج:

- القطعـة فـي ديـوان الحماسـة: ١٥٨عـدا الثالـث فهـو فـي اسمـاء خيـل العرب للغندجاني: ١٣٧

- الثاني في كتاب الخيل لأبي عبيدة: ٤٠

- الثاني في أسماء خيل العرب لابن الأعرابي:٤٠

- الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢/ ٥٥٧

- الثاني والثالث في أسماء خيل العرب للغندجاني: ١٣٧

---

[٨٣] تألى: حلف، ابن أوس: قيس بن أوس بن حارثة، قتله زيـد الفوارس، المفائد: جمع مفأد وهي عيدان الحديد التي يشوى اللحم عليها .

[٨٤] شنء: البغض والكراهية .

- الأبيـات ١، ٢، ٤، ٥، فـي شـرح ديـوان الحماسـة المنسـوب للمعـري: ١/ ٣٦٠
- الرابع والخامس في سمط اللآلـئ: ٩١٢/٢
- الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١/ ٢١٧
- الأول في شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٥٢٨
- الأول في قطر الندى: ٢٢٤
- الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، في خزانة الأدب: ١٠/ ٦٥
- الأبيات ١، ٢، ٤، ٥ ن في بلوغ الأرب: ٢/ ١٣٧ . ١٣٨

اختلاف الرواية:

١ – ....الى ...... مقائدُ، في خزانة الأدب

٢– ....أنه؛ في أسماء خيل العرب للغندجاني

(٤)

وقال مخاطبا عاذلته (زوجه) ويطلبُ منها الكفَّ عن لومه:

من البحر الطويل

١– أقلي علي اللــوم يا ابنــة منــذر

ونامي فأن لم تشتهي النوم فاسهري

٢ –أ لم تعلمي أني إذا الدهرُ مسني

بنائبــة صماء لـــمْ أتترتـــر [٨٥]

---

[٨٥] أترتر: أعجل.

٣ – يراني العدو بعـد غب لقائــه

خليـا نعيـم البــال لــمْ أتغيــر

٤– وراكـدة عندي طويل صيامهـا

قسمتُ على ضوء من النار مبصر

٥– طروقا فلم أفحش وقسمتُ لحمها

إذا اجتنب العافون نار العـذور [٨٦]

التخريــج:

* – القطعة في ديوان الحماسة: ٥٥١

– القطعة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٦٧٨/٤

– القطعة في شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري: ٢/ ١١١٦

– القطعة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢/ ٣١٤

– البيت الثاني في اللسان، مادة: ترر

(٥)

قال زيد الفوارس: من البحر البسيط

١– لولا الإلهُ ولولا مجدُ طالبها للهوجوها كما نالوا من العيرِ [٨٧]

٢– واستعجلوا عن خفيف المضغِ فازدرَدوا

والذمُ يُتقى وزادُ القومِ في حورِ

---

[٨٦] العذور: السيء الخلق.

[٨٧] اللهوجة: أنْ لا يبالغ بانضاج اللحم؛ أي أكلوا لحمها من قبل أن ينضج وابتلعوه؛ لسان العرب: مادة حور .

التخريـــج:

– البيتان في لسان العرب مادة: حور

هذا ما وقفتُ عليهِ من شعر زيد الفوارس الضبّي؛ وارجو أن ينال رضا القراء؛ وقد بذلت جهودا كبيرة في جمع سيرة زيد الفوارس وشعره؛ فإن أصبت في عملي فلله الحمد؛ وإن جانبت الصواب فذلك من تلقاء نفسي المخطئة؛ وآخر قولي: الحمد لله أولا وآخرا؛ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

المصادر :

- اختيار من كتاب الممتع في علم الشعر وعمله ـ عبدالكريم النهشلي القيرواني، تقديم وتحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د. ت).
- الأزمنة والأمكنة .للمرزوقي (ت٤٢١هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، حير أباد، الدكن، ١٣٣٢هـ .
- أسماء خيل العرب وفرسانها ـ لابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) رواية أبي منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ)، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م٠

- أسماءُ خيلِ العرب وأنسابها وذكر فرسانها ـ لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني ـ حققه وقدم له الدكتور محمد علي السلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د٠ت) .
- الاشتقاق ـ لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، (د٠ت) .
- الأمالي الشجرية ـ إملاء الشريف الإمام الأتقى ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د٠ت) .
- الأنساب ـ لأبي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت٥٦٢هـ)، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحير أباد، الدكن، الهند، ١٣٨٦هـ. ١٩٦٦م .
- أيام العرب قبل الإسلام ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، جمع وتحقيق الدكتور عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م .
- البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) القاهرة، ١٣٢٨هـ .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ محمود شكري الأوسي، شرح وتحقيق محمد بهجة الأثري، ط٣، مطابع دار الكتاب العربي بمصر (د٠ت).
- تاج العروس من جواهر القاموس ـ للمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ط١، ١٣٠٦هـ، مصر ٠

- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه ـ أبو عبيد البكري، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .
- جمهرة النسب ـ ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) تحقيق الدكتور ناجي حسن، ط١، ١٤٠٧هـ ت ١٩٨٦م، بيروت .
- حلية الفرسان وأشعار الشجعان ـ علي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي، تحقيق وتعليق محمد عبدالغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٥١م٠
- الحيوان . الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مصر، (د٠ت)٠
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ــ عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هــ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ١٣٨٧هــ ــ ١٩٦٧م ٠
- دائرة المعارف الإسلامية ــ بإدارة فؤاد إفرام البستاني، ١٩٦٤م، بيروت .
- ديوان أبي حية النميري . صنعة الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م .
- ديوان الحماسة . أبو تمام الطائي، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، بغداد ٠

- ديوان الحماسة . شرح العلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، (د٠ت).
- سبائك الذهب في معرفة قبائل وأنساب وتاريخ العرب ـ للشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي، منشورات مكتبة بسام، الموصل، العراق، (د٠ت).
- سمط اللآلئ . ابو عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، ١٣٥٤هـ . ١٩٣٦م، مصر .
- شرح جمل الزجاجي ـ ابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ) تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، بغداد٠
- شرح ديوان الحماسة . للمرزوقي، نشره أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، ط١، القاهرة، ١٣٧٢هـ . ١٩٥٣م٠
- شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري . دراسة وتحقيق الدكتور حستن محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ . ١٩٩١م، بيروت .
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ـ ابو الحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد السكري، تحقيق عبدالعزيز أحمد، ط١، ١٣٨٣هـ . ١٩٦٣م، مصر .
- طبقات فحول الشعراء ـ محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) قراءة وشروح محمود محمد شاكر، مصر، (د٠ت) .
- العقد الفريد ـ ابن عبدربه الأندلسي (ت٤٢٨هـ) تقديم الأستاذ شرف الدين، منشورات مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٦م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد؛ ط٢؛ ١٣٧٤هـ –

١٩٥٥م؛ القاهرة. فتوح البلدان ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد، مكتبة نهضة مصر، (د٠ت) .
- الفهرست ـ النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق . تحقيق رضا تجدد، طهران، إيران، (د٠ت) .
- القاموس المحيط ـ الفيروز أبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، مطبعة السعادة، مصر، (د٠ت) .
- الكامل في التاريخ . ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) بيروت، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م.
- كتاب الخيل ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ)، رواية أبي حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية بحير أباد الدكن، الهند، ١٣٥٨هـ .
- كتاب الفصوص – لأبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي؛ دراسة وتحقيق مُحسن إسماعيل محمد؛ وهي اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفلسفة والآداب بجامعة غرناطة سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- لسان العرب ـ ابن منظور (ت٧١١هـ)، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط، ونديم المرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (د٠ت) .
- المحبر ـ للعلامة الإخباري أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) رواية أبس سعيد الحسن بن الحسين السكري، صححه واعتنى بنشره الدكتورة إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د٠ت) .
- المخصص ـ ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، (د٠ت) .

- معجم ما استعجم ـ أبو عبيد البكري، عارضه بمخطوطات القاهرة، وحققه وضبطه مصطفى السقا، ط١، ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ الدكتور جواد علي، ١٩٧٨م، بيروت .
- المؤتلف والمختلف ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، القاهرة .
- نقائض جرير والفرزدق ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مطبعة بريل، ١٩٠٥م، ليدن .
- النوادر في اللغة ـ أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، (ت٢١٥هـ)، صححه وعلق عليه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، بيروت، لبنان .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ـ أبو العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ)، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط١، ١٩٥٩م، القاهرة مصر .

المنهج النبوي في بناء المؤسسة العسكرية
(الاعداد المعنوي)

الأستاذ المُسَاعِد الدكتور
نهاد عباس الجبوري

الملخص:

إنّ كل جيش في العالم مؤلف من عنصرين: عنصر مادي وعنصر معنوي(روحي) وقد أعطى قسم من القادة في العالم وفهم نابليون بونابرت نسبةً للعنصر المعنوي (الروحي) ٧٥٪ و٢٥٪ للعنصر المادي وآخرون خالفوا هذا الرأي فأعطوا للجانب الروحي نسبة ٥٠٪ ؛ وذلك لاختراع الاسلحة الحديثة المتطورة وبالرغم من ذلك بقيت للجانب الروحي كفته.

إنّ تهذيب سلوك الافراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أُسلوب من أعظم الأساليب التربوية؛ لان للدين سلطانا على القلوب والنفوس، وتأثيرا على المشاعر والاحاسيس، ولا يكاد يداني سلطانه وتأثيره اي شيء ولذلك كان للدين الاثر البالغ في رفع معنويات الجند .

ولقد نبهنا القرآن الكريم في كثير من الآيات على عدم الخوض في المعركة الحربية قبل الاعداد الروحي (المعنوي) وترسيخ العقيدة في النفوس؛ لان خوض معركة حربية بجنود قليلي العدد، اصحاب عقيدة راسخة، يكتب لهم النصر في كل زمان ومكان؛ لانه لا يثبت في ساحة الوغى الا اصحاب العقيدة الراسخة فلا بد إذن من التأكد من الاعداد الروحي قبل الدخول في المعركة الحربية وافراز العناصر التي لا عقيدة لها؛ لان النصر ليس بالكثرة الفارغة.

وفي هذا البحث سنعرض المنهج النبوي في الإعداد الروحي، وبناء المؤسسة العسكرية.

المقدمة:

من المعروف ان للحرب وجهين وجها ماديا، ووجها يشمل الجوانب النفسية والروح المعنوية، التي يُفترض ان يتمتع المقاتل بأعلى قدر منها كي يؤدي واجباته في الظروف الصعبة بثقة واندفاع عاليين غير آبه بالمخاطر التي قد تواجهه وتهدد سلامته .

وتظهر اهمية الجانب النفسي من الحرب؛ لان احد اهداف الحرب الاساسية و التأثير النفسي في العدو وتدمير معنوياته.

كشفت الحروب بأن التقنية ليس بديلا عن الجندي المدرب، وان الماكنة العسكرية المعقدة ليست على تلك القدرة من التأثير اذا كانت عقول الرجال تنقصها الرغبة والعزم على القتال. وهذا يوضح اهمية الروح المعنوية في كسب المعارك وحسم الحروب.

إنّ الجندي الذي يتحلّى بالمعنويات العالية هو الذي يتحمّل المشاق والمصاعب، ولقد اعطى اكثر القادة العسكرين في الماضي والحاضر اهمية كبرى للمعنويات وعّدوها من اسباب الانتصار في المعركة.

وتروي لنا المصادر التاريخية بهذا الصدد: إنّ رجلا من المسلمين قال لخالد بن الوليد – قبيل معركة اليرموك–: ما أكثر الروم وأقل المسلمين. فقال

خالد مقولته المشهورة: بل ما أقل الروم و اكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتغلب بالخذلان[1]

وتظهر أهمية المعنويات في الوقت الحاضر بشكل اوسع واهم مما كانت عليه في السابق قبل الحرب العالمية الثانية، لان الجيش كان هو المسؤول الاول والاخير على احراز النصر، أما في الوقت الحاضر فإنّ الحرب الحديثة أصبحت حرب جماعية تحشد لها الامة كل طاقتها المادية والمعنوية؛ لذلك اصبح الشعب مسؤولا كذلك على احراز النصر؛ لتقوية معنوياته فالشعب الذي تكون معنوياته عالية هو الذي تكون معنويات جنوده عالية ايضا، والحرب الحديثة اتخذت أشكالا متعددة منها الحرب النفسية والدعائية وهي من اخطر الحروب اذ كان لها الاثر الكبير في التأثير على معنويات الخصم وبالتالي تكون الخسارة المادية في المعركة، وهذا ما حدث في الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء والايطاليين، اذ كان يطلق على المواضع التي تحتلها القطعات الايطالية بالفراغ العسكري؛ لانهيارهم أمام الحلفاء معنويا قبل الانهيار المادي .

كانت المعنويات لدى المسلمين سواء في صدر الاسلام أو الفتوحات الاسلامية أقوى وأمتن المعنويات التي عرفها التاريخ العسكري منذ ذلك الوقت حتى الان والأمثلة في هذا الموضوع كثيرة ومتعددة وخير دليل على ذلك معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون الفئة القليلة على الفئة الكبيرة

---

[1] انظر تاريخ الطبري معركة اليرموك/ ج٢ س٥٩٤ . وانظر كتاب الاسلام والنصر, محمود شيت خطاب.

ومعارك اخرى لا مجال لذكرها هنا للتدليل على المعنويات العالية التي انتصف بها الجيش الاسلامي.

مفهوم المعنويات:

إنّ تعريفات المعنويات متعددة، وليس من السهل تقديم كل هذه التعريفات، ولكن نذكر منها:

1- الحالة المعنوية: هي درجة احتفاظ المرء بالثقة بنفسه والقناعة والثبات وعدم تزعزعه أو انهياره أمام الملمات[٢] .
2- تلك القوى غير الملموسة التي تحرك مجموعة من الرجال، لكي يعزموا على تقديم قدراتهم؛ للحصول على شيء من دون ان يحسبوا الكلفة على أنفسهم وهذا ما يجعلهم يشعرون بأنهم جزء من شيء أكبر منهم[٣].

وعّرفها آخرون بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات، وبها تظهر الطاعة القائمة على الحب وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعا صبورا[٤].

---

[٢] وليم الخولي– الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي/ نقلا عن كراسة المعنويات.

[٣] الجنرال الامريكي لورد سلم– هزيمة بأتجاه النصر/ نقلا عن الكراسة الرسمية (المعنويات).

[٤] انظر كتاب الاسلام والنصر– محمود شيت خطاب.

وللمعنويات عوامل وعناصر تدعمها نذكر منها ما يأتي:

أ عوامل رفع المعنويات[٥]:

١ -الدين (العقيدة الراسخة)

٢ -القيادة الناجحة

٣ -مقومات النصر.

ب عناصر رفع المعنويات :

١ -معنويات الجندي الشخصية (اعداد الفرد).

٢ -معنويات الجندي ضمن مجموعة صغيرة (الاسرة) .

٣ -معنويات الجندي ضمن مجموعة كبيرة (اعداد الفرد).

ويمكن دعم واسناد المعنويات الشخصية (اعداد الفرد)

بما يأتي:

١ -إعداد الفرد بدنيا:

أ -النظافة

ب -الغذاء.

ت -الرياضة

ث -التداوي.

٢ -إعداد الفرد خلقيا.

٣ -إعداد الفرد فكريا.

---

[٥] راجع كراسة فوج المشاة في المعركة, طبعت في مطابع الجيش العراقي, سنة ١٩٥٥.

وتدعم معنويات المجموعة بالعوامل التالية :

١ -تنمية روح الجماعة (روابط المجتمع).

٢ -الثقة والاحترام

٣ -الانتساب الى مجموعة تعتز بنفسها وترى أنّها على حق دائما.

الدين ((العقيدة الراسخة))

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا (صلّى الله عليه وسلّم) لعالم بعدت فيه الشقة بينه وبين السماء فتشفى فيه الظلم، وعمه الجهل والاغلال، وظهر فيه الفساد، قادته ظلمة فسقة ليس لهم عاصم من نظام او قانون، ولا وازع من دين، او خلق ولا رادع من وعي الشعوب وثورتها.

قال تعالى ((او كظلمات في بحرٍ لُجِّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور))[٦] .

وسط هذه الظروف بعث الرسول (صلّى الله عليه وسلم)؛ ليخرج العالم من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام، فتأبت مكة على الاسلام في يد (صلّى الله عليه وسلّم) الدعوة، وقاومت هديه بكل سلاح، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قام باعداد وتربية قلة مؤمنة هاجر بهم الى يثرب وكون بهم مجتمعا واقام بهم دولة .

---

[٦] سورة النور/ آية ٤٠.

يا ترى كيف استطاع الرسول (عليه الصلاة و السلام) أن يكون من عرب الجزيرة امة تحمل رسالة وتقود البشرية؟ انها التربية والاعداد الايماني على منهج الله فكان من الفرقة وحدة، ومن الضعف قوة، ومن الامية علما، ومن الحفاة العراة خير امة اخرجت للناس؟ ذلك هو سر الاسلام وعمل منهجه التربوي في تقوية النفوس وبناء الامم، وأثر تطبيقه في الجماعة والدولة.

إنّ جوهر الدين الاسلامي خلق واحسان، ووسيلته : قدوة وتربية واعداد، واول ميادينه: النفس والضمير، ومن ثم هدفه اقامة مجتمع انساني نظيف يبدا بالفرد فيرده الى فطرته السليمة ويربي فيه الضمير المرهف، ويروضه على الخلق الفاضل والرحمة، ويكون المجتمع على الحب و التكامل والعدل والمساواة.

لقد نجحت التربية الاسلامية في اعداد الفرد والاسرة، والمجتمع بشكل ليس له في تاريخ البشرية مثيل، واخفقت التربية في العصر الحديث على الرغم من التطور الكبير في مناهج التربية وتعدد الاساليب، وكثرة الوسائل؛ لأنّها لا تصل الى القلب، ولا تتوغل في النفس.

أصدر الرسول (صلى الله عليه وسلّم) امره بعد غزوة تبوك بهجر الثلاثة الذين خلفوا، فما خرج على امره احد من اهل المدينة، حتى خاصتهم واقرب الناس اليهم، إلى ان نزل القرآن بالتوبة عليهم بعد خمسين يوما، ومن (صلّى الله عليه وسلّم) كعب لقصته ما يكشف عن مدى ما عاناه هو وصاحباه في هذه المحنة من الم وتانيب للضمير[٧]. وهي قصة تصور

---

[٧] انظر تفاصيل القصة في سيرة بن هشام/ ج٤.

المجتمع الاسلامي، فهل تستطيع القيادات الآن ان تربي جيلا كالجيل الاول؟!!

وهناك شواهد كثيرة في التربية والاعداد الاسلامي كانت الجيوش الاسلامية تنطلق وهي تحمل التربية الايمانية العميقة التي لم توجد في أي جيش من جيوش العالم لا في القديم، ولا في الحديث (الا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا[٨]، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا[٩] نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع[١٠]. فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .. اندفعوا باسم الله)[١١] .

وفي قصة الغامدية يرتفع الإحساس بالندم، والتوبة الى درجة عالية، فبالرغم مما تعلمه من عاقبة اعترافها، الا انها ذهبت الى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) تطلب منه ان يطهرها بالحد، واعترفت اعتراف الواعي لحكمة التشريع اذ هي لا تريد ان تلقى الله بذنبها قبل ان تطهر نفسها في الدنيا باقامة الحد عليها[١٢].

وهذا جندي من عامة جنود المسلمين وجد التاج الكسروي الذي يناهز ثمنه ملايين الدنانير اسر به الى امير الجيش في الليل المظلم مخفيا اياه

---

[٨] لا تشوهوا جثث القتلى.

[٩] تقطعوا.

[١٠] الاديرة والاماكن المنعزلة للعبادة.

[١١] انظر كتاب منهج القران في التربية للا ستاذ محمد شديد.

[١٢] انظر تفاصيل القصة في صحيح مسلم كتاب الحدود.

تحت كسائه المرقع عسى ألاّ يراه أحد فيكون له حسن الاحدوثة بهذا الحدث الجليل ويشوب صدقه واخلاصه شيء من شوائب الرياء فمن الذي رباهم على هذه الاخلاق ؟ إنه الدين، إنها التقوى[١٣].

أ – إعداد الفرد :

١. إعداد الفرد بدنيا :

القصود بالإعداد البدني المحافظة على سلامة الجسد؛ لكي يبقى الفَرد قوي البنية، بعيدا عن الامراض يستطيع اداء الواجبات والمقاومة في المهمات الصعبة ويتم إعداد الفرد بدنيا بالأمور الآتية[١٤] :

١. النظافة :

من الأمور المهمة في صحة الفرد هي النظافة بكل معانيها، وقد حثّ الاسلام على النظافة قال تعالى: ((إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين))[١٥].

وقال تعالى: ((والله يحب المطهرين))[١٦].

جاء في الحديث الشريف (غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان

---

[١٣] هذا ما ذكره ابو الاعلى المودودي في كتابه منهاج الانقلاب الاسلامي.

[١٤] وردت هذه الامور في الكراسات الرسمية للجيش العراقي ومنها كراسة الامور الادارية في الميدان . وذكرها سيد سابق في كتابه اسلامنا.

[١٥] سورة البقرة/ آية ٢٢٢.

[١٦] سورة التوبة/ آية ١٠٨.

يمس طيبا، ان وجد)[١٧]. وجاء أيضا: (حق حق على كل مسلم ان يغتسل في كل سبعة ايام يوما يغسل فيه راسه وجسده[١٨].

وعن عطاء (رضي الله عنه) قال: اتي رجل الى النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ثائر الرأس (اشعث غير مدهون الشعر ولا مرجل) واللحية، فاشار اليه رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) كأنه يأمره باصلاح شعره ولحيته ففعل، ثم رجع فقال (صلّى الله عليه وسلّم) :(اليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه الشيطان)[١٩].

كما حثّ على نظافة البدن، روي ان رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) قال : (اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري اين باتت يده)[٢٠].

وقال : (بركة الطعام والوضوء قبله والوضوء بعده)[٢١] .

هنا المراد به غسل اليدين الى الرسغين .

وقال : (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)[٢٢]. وفي نظافة الشعر روي أن

---

[١٧] رواه الشيخان البخاري ومسلم /انظر اللؤلؤ والمرجان–كتاب الجمعة /ص١٩٠.

[١٨] متفق عليه /انظر اللؤلؤ والمرجان / ج١ ص ١٩١.

[١٩] رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة واحمد.

[٢٠] رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه والاربعة واللفظ لمسلم / الجامع الصغير / ص ١٨.

[٢١] رواه الامام احمد وابو داود و الترمذي والحاكم / الجامع الصغير ص ١١٣.

[٢٢] اخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها.

رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (من كان له شعر فليكرمه)[٢٣].

والباحث في موضوع النظافة في هدى الاسلام يطول به البحث لان معظم العبادات مشروطة بالطهارة والنظافة فالصلاة تتطلب نظافة البدن والثوب والمكان .. وكذلك سائر العبادات، فالنظافة مطلوبة في كل شيء ..

٢- التغذية الجيدة (الرزق الطيب) :

يحتاج البدن في بنائه ونشاطه و نشاطه لاغذية تبني الجسم وترمم الخراب منه، ولقد أباح الله سبحانه وتعالى لعباده ان ياكلوا مما في الارض حلالا طيبا مستلذا غير مستقذر وخاليا من ملابسات الاعتقادات الباطلة وحرم الباري عز وجل المطعومات والمشروبات و المستقذرات وكل ما فيه خبث مادي ومعنوي قال تعالى : (يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا)[٢٤] .

ومن هنا اهتم المسلمون بتغذية الجند سواء في السلم او في الحرب وتكون في الحرب اوسع، وعند مطالعتنا لمظان التاريخ الاسلامي نجد ان تغذية الفرد لا تختلف في شيء عما هو معمول به في الوقت الحاضر فهذا جيش خالد بن الوليد يعبر الصحراء من العراق الى الشام، وقد فرضت الأرزاق التالية للجند:

---

[٢٣] رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه وسنه الحافظ ابن حجر/ الجامع الصغير ص ٣١٢.

[٢٤] سورة البقرة/ اية ١٦٨.

١ -الخبز .

٢- اللبن من الإبل .

٣- اللحوم، حيث كانت تنحر الإبل، فيأكل الجند لحومها، ويستخرج الماء من بطونها لسقي الخيل و الابل .

٤ -السمن (الدهون التي تستخرج من البان الابل)

٥ -التمر.

وكان الجند يأخذون وجبات إضافية في اثناء التنقل، وخلال المعركة[٢٥]

٣- الألعاب الرياضية والسباحة (الرياضة البدنية) :

ورد في الحديث الشريف (المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير). والمراد عموم القوة لا قوة الدين فحسب، ومن انواع القوة قوة الجسم التي يحافظ عليها باتباع التعاليم الصحية التي تنفي اعضاء البدن من الامراض، وتنمي القوة الجسدية بالعمل العضلي والرياضة البدنية.

مما استنبطه العلماء في موضوع الرياضة البدنية انهم اولوا الحركات الواجبة في الصلاة والحج من رفع اليدين وقيام وركوع بشكل متكرر، وكذلك ما وجب على المسلم من مناسك الحج المعروفة من طواف وتلبية وسعي ورجم يتخلله الكثير من نوافل الصلاة، كل هذا اولوه على معنى مما ان قوة

---

[٢٥] انظر تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٣ وابن الاثير ٢/ ١٥٦, معارك خالد ابن الوليد للعميد الركن الدكتور ياسين سويد, تحرك خالد ابن الوليد من العراق الى الشام/ ص٢٣٠ ط ٣.

الجسم هي احدى انواع القوى التي يجب ان تعدها الامة لجهاد الاعداء ونصرة الحق قال تعالى ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))[٢٦] .

وحبذ الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) انواعا من الرياضة التي تضمُّ الى قوة الجسم قوة حربية أُخرى ومن انواع هذه الرياضة ذات الفائدة العسكرية: التدريب على الرمي، قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم):

واعدوا لهم ما استطعتم من قوة، الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي، الا ان القوة الرمي[٢٧].

ولا تزال رماية (صلّى الله عليه وسلّم) السهم من أنواع الرياضة التي تستدعي تحريك عضلات الجسم حتى وقتنا الحاضر . وكذلك ركوب الخيل من انواع الرياضة المحبذّة قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : (ارموا واركبوا ولان ترموا احب اليّ من ان تركبوا)[٢٨] .

٤- التداوي من الامراض:

ليس من الامر العجيب ان يُعنَى الإسلام بصحة الجسم؛ وذلك بوقايته من الامراض وبعلاجه اذا أُصيب بها لأهمية الصحة في حياة المسلم الدينية والدنيوية حيث يكون اقدر على القيام بما امره به الاسلام من عبادات وجهاد

---

[٢٦] سورة الانفال/ آية ٦٠.

[٢٧] اخرجه مسلم في باب الامارة باب فضل الرمي/ حديث ١٩١٧, وابو داود في الجهاد باب الرمي.

[٢٨] رواه الترمذي في الجهاد/ حديث ١٦٣٧ وقال حسن صحيح.

في سبيل الله والقيام بالواجبات المترتبة عليه إتجاه أُسرته ومجتمعه وامته .

تبرز اهمية الصحة واضحة جدا في الجهاد، و اذ يستطيع المسلم المريض ان يصلي قاعدا او مضطجعا كما يستطيع ان يؤجل الصوم الى وقت الصحة فيقضيه او يدفع فدية عنه، ولكنه لا يستطيع ممارسة التدريب والاعداد.

كيف بأمة ان ترد المعتدي عنها او تطرد الغاصبين، اذا كان افرادها ضعيفي البنية او كثرت فيهم الامراض والعلل؟ فالاخذ بمباديء فن الصحة هو الخطوة الاولى في إعداد قوة الجسم للجهاد وعامل مهم لرفع المعنويات[٢٩] .

ومن الادلة على اهتمام الاسلام بصحة الانسان اعتبار الصحة أجل نعمة بعد نعمة الايمان واليقين، فضلا عن الامر بالمداواة والوقاية من الامراض. ورد في الحديث الشريف في بيان الصحة احدى المقومات الاساسية للحياة الدنيوية ان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوة يومه، فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[٣٠] .

وفي دعاء لرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) : (اللهم اني اسألك الصحة والعفة والامانة وحسن الخلق والرضى بالقدر)[٣١].

---

[٢٩] انظر الاسلام والنصر– محمود شيت خطاب.

[٣٠] رواه ابن ماجة والترمذي, البخاري في الادب الجامع الصغير/ ص٢٩٩.

[٣١] رواه الطبراني– الجامع الصغير/ ص٥٤.

وفي التداوي من الامراض قال الرسول (صلّى الله عليه وسلّم): (ان الله لم ينزل داء الا انزل شفاء فتداووا)[٣٢]. وقال ايضا: (لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء بريء باذن الله عز وجل)[٣٣].

ففي هذا الحديث وأمثالهُ اثبات للمداواة وحثّ على استعمال الادوية وتعريف بانها أسباب للشفاء، وفيها تقوية لنفس المريض .

ب- اعداد الفرد خلقيا:

الخلق في اللغة : الطبع والسجية، ويعرفه الغزالي (رحمه الله)، عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية[٣٤] .

ويعبر عنها ايضا بانها مجموعة من المعاني المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الانسان او يقبح، ومن ثم يقدم عليه او يحجم عنه[٣٥].

ومن هذا نرى ان صاحب الخلق ذو سلوك مستقيم في حياته الخاصة ومع الناس وما أحوجنا الى ناس يحملون اخلاقا عالية لما للاخلاق الحسنة من تاثير كبير في النفوس وخاصة عند فتح البلاد، فالجندي الذي لا يتحلى

---

[٣٢] اخرجه النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه ابن حبان والحاكم كما في فتح الباري.

[٣٣] رواه مسلم واللفظ له- واحمد عن جابر- الجامع الصغير/ ص٢٦٣.

[٣٤] انظر إحياء علوم الدين/ ج ٣ص٤٦.

[٣٥] اصول الدعوة – الدكتور عبد الكريم زيدان/ ص٧٥ ط ٣ ١٩٧٦.

بـالاخلاق العاليـة تـراه جنـديا ضـارا لا ينفـع، لانـه بتصـرفه المسـيء ينقـل الوجـه القبيـح لجيشـه؛ ولـذا فـان مثـل هذا الجنـدي تـراه يفسد فـي الارض مـن غير حياء.

إنّ للاخـلاق اهميـة بالغـة لمـا لهـا مـنُ كبيـر فـي سـلوك الانسـان، ومـا يصـدر عنـه تستطيع ان تقول بـان سلوك الانسان موافق لما هو مستقر فـي نفسـه مـن معـان ومـا اصـدق حكمـة الغزالـي (فـان كـل صـفة تضـمر فـي القلب يظهر اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا علـى وفقها لا محالـة) أي ان صـلاح افعـال الانسـان بصـلاح أخلاقـه؛ لان الفـرع باصـله فـاذا صـلح الاصل صلح الفرع واذا فسد الاصل فسد الفرع، قال تعالى: ((والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا))[٣٦].

ولهذا ترى أن الاسلام أكد على صلاح النفس وبين أن تغير احوال الناس يكون تبعا لتغير ما بأنفسهم من معانٍ وصفات قال تعالى (أن الله لا يغير مـا بقـوم حتـى يغيـروا مـا بأنفسـهم)[٣٧] ان وزن الافعـال والتـردي بميـزان الاخـلاق ومـدى التـزام الانسـان بمقتضـاه وتنفيـذه لـه، كـل ذلـك متوقـف علـى نـوع المعـاني الاخلاقيـة التـي يحملهـا مـن حيـث جودتهـا او رداءتهـا ومـدى رسوخها فـي نفسـه. وللاخـلاق مكانـة عظيمـة فـي الاسـلام تظهـر مـن وجـوده كثيرة نذكر منها:

١- تعريف الدين بحسن الخلق، حيث ورد أن رجلا جاء النبي (صلّى الله

---

[٣٦] سورة الاعراف/ اية ٥٨ , انظر احياء علوم الدين- الغزالي.

[٣٧] سورة الرعد/ آية ١١.

عليه وسلّم) وسأله قال: يارسول الله: ما الدين؟ فقال الرسول (صلّى الله عليه وسلّم): (حسن الخلق).

٢- تعليل الرسالة بتقويم الاخلاق جاء في الحديث عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم): (أنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)[٣٨] .

٣- أقرب الناس واحبهم الى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قوله: إن من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احسنكم أخلاقا)[٣٩]

٤- حسن الخلق يرجح كفة الميزان يوم الحساب جاء الحديث : قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل أيمانا؟ قال (أحسنهم أخلاقا)[٤٠] وروي أنه قال: (مامن شيء أثقل في الميزان المؤمن من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش والبذيء)[٤١]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول (ان من خياركم أحسنكم أخلاقا)[٤٢]، وعن جابر رضي الله عنه أن الرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال

---

[٣٨] أخرجه البخاري في الاداب المفرد برقم ٢٧٣ عن أبي هريرة/ كنز العمال ج٣ ص١٦.

[٣٩] رواه الترمذي – الترغيب والترهيب ج ٣ ص٤٠٣.

[٤٠] رواه الطبراني في الاوسط ,الترغيب والترهيب /ج٣ ص٤٠٩.

[٤١] رواه الترمذي عن أبي الدرداء بأسناد صحيح وفي الجامع الصغير /ص٢٨٧ (ما من شي ء في الميزان أثقل من حسن الخلق).

[٤٢] رواه البخاري ومسلم والترمذي – الترغيب والترهيب /ج٣ ص٤٠٣.

(أن من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا)[٤٣]

٥- فقال ((وانك لعلى خلق عظيم))[٤٤]

٦- حسن الخلق علامة من علامات الايمان قال تعالى ((قد أفلح المؤمنون،، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون ظالا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فأنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون))[٤٥] وروي أن رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (أكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)[٤٦]

اخلاق المسلمين في ساحة القتال.

إنّ المسلمين أصحاب عقيدة سامية فقتالهم كان لهدف محدد انه القتال في سبيل الله لا لاي هدف اخر من الاهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة فلم يكن قتالهم في سبيل الامجاد والاستعلاء في الارض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة او جنس على جنس إنما كان القتال لذلك الهدف المحدد قال تعالى: ((وقاتلوا

---

[٤٣] رواه الترمذي وقال حديث حسن– الترغيب والترهيب ج ٣ ص٤٠٦.

[٤٤] سورة القلم/ الاية ٤.

[٤٥] سورة المؤمنون/ آية ١–٩.

[٤٦] رواه الترمذي بأسناد حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن حبان– الجامع الصغير/ ص ٥٠.

فـي سـبيل الله الـذين يقـاتلونكم))[٤٧] ومـع تحديـد الهـدف، حـدد البـاري – عزّ وجلّ – المدى فقال: ((ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين))[٤٨].

والعدوان يكون بتجاوز المحاربين الى غير المحاربين الامنين المسالمين الـذين لا يشـكلون خطـرا علـى الاسـلام– كالنسـاء والاطفـال والشيوخ والعبـاد المنقطعين للعبـادة من اهل كل ملـة ودين– كمـا يكـون بتجـاوز آداب القتـال التي شرعها الاسلام، وجعلها حدا فاصلا بين الحروب التي عرفها الجاهلية الغـابرة والجاهليـة الحاضـرة ومـا ارتكبـت فيهـا مـن شـناعات وبـين الحـروب وأساليب القتال التي جرت في الجهاد المسلمين لاعلاء كلمة الله عز وجل.

وهذه طائفة من احاديث الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) ووصايا أصحابه تكشـف طبيعـة اخـلاق المحاربـة التـي عرفتهـا البشـرية للمرة الأولـى علـى يد المسلمين .

عن ابـن عمـر (رضـي الله عنهمـا) قـال: وجـدت امـرأة فـي بعض مغـازي النبي (صلّى الله عليه وسلّم) مقتولـة فأنكر رسول الله عليه وسلم قتل النسـاء والصبيان[٤٩].

وعن بريـدة قـال: كـان رسـول الله (صـلّى الله عليـه وسـلّم) اذا امـر الاميـر علـى جيش او سرية اوصاه بتقوى الله تعالى، وبمن معه من المسلمين خير

---

[٤٧] سورة البقرة / اية ١٩٠.

[٤٨] سورة البقرة / اية ١٩٠.

[٤٩] اخرجـه مالـك والشيخان وابـو داود والترمـذي– انظـر اللؤلـؤ والمرجـان كتـاب الجهـاد ج٢ ص٧٥.

ثم قال لهم:

(اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا)[٥٠].

ومن اخلاق المحاربة عند المسلمين ان لا يبدؤوا القتال والغارة قبل دعوة الناس الى إحدى ثلاث. أخرجه ابو داود ومسلم وابن ماجة والبيهقي عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) اذا بعث اميرا على سرية او جيش اوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرا وقال: (اذ لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى احدى ثلاث خصال او خلال فأيتها اجابوك اليها فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واعلمهم انهم ان فعلوا ذلك فان لهم ما للمهاجرين وان عليهم ما على المهاجرين فان ابوا واختاروا دارهم فأعلمهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي كان يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم ابوا فادعهم الى اعطاء الجزية فان اجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فان ابوا فستعن بالله وقاتلهم))[٥١].

---

[٥٠] اخرجه مسلم وابو داود والترمذي.

[٥١] صحيح مسلم ج٢ ص٨٢ . وابن ماجة ص٢١٠, البهيقي ج٣ ص١٨٤, وابو داود ص٣٥٨, قال الترمذي حديث حسن صحيح, واخرجه ايضا احمد الشافعي والدارمي والطحاوي وابن حبان وغير كما في كنز العمال ج٢ ص٢٩٧, حياة الصحابة ج١ ص٨٧ محمد يوسف الكاندهاوي.

وجاء في السير الصغير[٥٢] كان الرسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) اذا بعث جيشا او سرية أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه واوصى من معه من المسلمين خير ثم قال: (اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى الاسلام فان اسلموا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ثم ادعوهم التحول من دارهم الى دار المهاجرين فان فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم والا فاخبروهم

انهم كأعراب المسلمين يجري حكم الله تعالى الذي يجزي على المسلمين، وليس لهم من الفيء ولا في الغنيمة نصيب، فان ابوا ذلك فادعوهم الى اعطاء الجزية فان فعلوا ذلك فاقبلوا منهم وكفوا عنهم واذا حاصرتم اهل حصن او مدينة فأرادوكم ان تنزلوهم على حكم الله تعالى فلا تنزلوهم فانكم لا تدرون ما حكم الله تعالى، ولكن انزلوهم على حكمكم، ثم احكموا فيهم بما رأيتهم)

وذكر الطبري[٥٣] ان الصديق (رضي الله عنه) أوصى جيش اسامة بن زيد قائلا لهم : يا ايها الناس اوصيكم بعشرة فاحفظوهم عني (لا تخونوا، ولا تغلوا[٥٤]، ولا تعقروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا،

---

[٥٢] السيرة الصغير ص٩٣.

[٥٣] الطبري ٣/ ٢٦٦.

[٥٤] ولا تغلوا : الغلول وهو السرقة من الغنيمة/ انظر فقه السنة سيد سابق ج٢ ص٦٨٢.

ولا امرأة ' ولا تعقروا نخلا [٥٥] ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على اقوام ياتونكم بانية فيها الوان الطعان فاذا اكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون اقواما فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا).

وفي العقيدة الفريدة ان الفاروق عمر (رضي الله عنه) كان يقول عند عقد الالوية: بسم الله وبالله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين، لا يجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان)[٥٦].

وهناك حادثة تاريخية يتحتم علينا ذكرها في هذا المجال لبيان اخلاق المسلمين في القتال ذكرها الطبري قال (قال اهل سمرقند لسليمان بن ابي السرس– عامل عمر بن عبد العزيز عليها ان قتيبة بن مسلم– القائد العسكري– غدر بنا وظلمنا واخذ بلادنا وقد اظهر الله العدل والانصاف فأذن لنا فليفد منا وفد الى امير المؤمنين يشكو ظلامتنا فان كان لنا حق اعطيناه فان بنا الى ذلك حاجة، فأذن لهم فوجهوا منهم قوما فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر الى سليمان بن ابي السري: ان اهل سمرقند قد شكوا الي ظلما

---

[٥٥] لا تعقروا نخلا قطع راسها وبذلك تموت.

[٥٦] العقيد الفريد ج١ ص١٢٨ لابن عبد ربه.

اصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى اخرجهم من ارضهم فاذا اتاك كتابي هذا فاجلس لهم القاضي فلينظر في امرهم فان قضى لهم فاخرجهم (اي اخرج المسلمين) الى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة.

قال: فاجلس لهم سليمان (جميع بن حاضر) القاضي الناجي فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحا جديدا او ظفرا عنوة . فقال اهل سمرقند بل نرضي بما كان ولا تجدد حربا وتراضوا بذلك فقال اهل الراي من السمرقنديين : قد خالطنا هؤلاء القوم واقمنا معهم امنونا وامناهم فان حكم لنا عدنا الى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلنا عداوة المنازعة فتركوا الامر على ما كان عليه ورضوا ولم ينازعوا)[٥٧].

الإعداد الاسلامي للأُسرة:

الاسرة هي كيان المجتمع، لان من مجموع الأُسر يتكون المجتمع فهي بالنسبة له كالخلية لبدن الانسان (كما ان الفصيل نواة السرية والفوج والجيش كله) والمراة هي الركن الاساس في الاسرة فاذا صلحت، صلحت الاسرة وصَلُحَمعها المجتمع.

ان وسيلة الاسلام في نواة المجتمع (الاسرة) من (صلّى الله عليه وسلّم) مفسدة هي، الخوف من الله والعقوبة عند الحاجة وقد يتعرض الفرد الى الفساد اذا وجد في اسرة فاسدة ولذلك اهتم الاسلام ببناء هذه القاعدة وركز

---

[٥٧] تاريخ الطبري ٥٦٧/٦.

بالذات على المراة، لأنّها هي التي تقوم بإعداد الاولاد (الافراد) فأحاطها الاسلام بالآداب الاجتماعية وآداب الزينة وآداب اللباس، وحصنّها من العواصف التي اذا هبت تخرب البيوت والمجتمع من الاخلاق الرذيلة.[٥٨]

ولقد امر الاسلام من اجل بناء الاسرة الطيبة ان يختار كل شخص قرينة على وفق قواعد الاسلام، لا من اجل سعادة الزوجين فحسب، بل من اجل اعداد جيل طيب كريم.

تنظيم الاسرة:

تتالف الاسرة عادة من عدة افراد وتنظم على اساس وجود قائد (رئيس) وهو الاب ومن الزوجة والاولاد، حيث يقرر الاسلام انه لا يجتمع ثلاثة الا امروا عليهم احدهم وربما يكون اقواهم او اكبرهم سنا. جاء في الحديث القسام حسن دخلوا على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) فتكلم عبدالرحمن وهو صغير فقال النبي (صلّى الله عليه وسلّم) (كبر،كبر) فتكلم اكبرهم.[٥٩]

وعلى هذا الاساس ترجع الاسرة الى الرئيس (الاب او القائد) في الامور المتعلقة بها ويشيره الفرد ويحيطه علما بما يحدث (كما في العسكرية اخبار الامر بكل ما يحدث داخل وحدته من قبل افراد الوحدة ضباطا ومراتب لاتخاذ القرارات اللازمة في شان اي موضوع يعرض، وان يطيعوه ما لم يامر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

[٥٨] انظر تحفة العروس.

[٥٩] انظر الؤلؤ والمرجان ج٢ ص١٧٨.

هذه الطاعة فيها الفائدة الكبيرة للاستفادة من خبرة الاب ويتجمعوا تحت لوائه فيكونوا عصبة قوية، لا افردا متفرقين وما احوج مجتمعنا الان الى احتداء هذا المثال وما احوج الوحدات العسكرية ان تكون مثله ايضا قال تعالى ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا))[٦٠]

ويجب ان يكون قائد الاسرة حليما جوادا رفيقا بالاسرة ساهرا على شؤونها مؤثرا مصلحة الاسرة على مصلحته الشخصية اي ان يكون قدوة حسنة في السيرة والسلوك وهذه الصفات مهمة جدا في قائد الاسرة؛ لان قيادة الاسرة ليست بالامر الهين وهي تذكرنا بقيادة القطعات، فالقيادة الناجحة تلعب دورها في احراز النصر . واذكر امرا مهما له دور كبير في حياة الاسرة والوحدة العسكرية هو عدم السماح بكثرة الشكاوى، بل يدرب جماعته على حل مشكلاتهم فيما بينهم وان لايخبروه بخطا يقوم به احد الافراد الا ان يكون له اثر مباشر او غير مباشر على نظام الاسرة ومسيرتها، فان كثرة الشكاوي قد تسبب نقطة سوداء في العلاقة، روي ان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال (الا يبلغن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر).[٦١]

وعلى الاب ان يرى ظروف المجتمع ويبني تربيته عليها على ان لايحيد عن الشريعة ولايجوز للاب ان يكلف افراد الاسرة اكثر من طاقاتهم البدنية والعلمية والعقلية وهذا المبدا من صفات القائد الجيد في العسكرية .

---

[٦٠] سورة آل عمران آية ١٠٣.

[٦١] اخرجه ابو داود والترمذي.

والام هي المسؤولة عن تربية الجيل، وهي وظيفتها الفطرية ولها ان تاخذ دورها في اداء وظيفتها الغريزية وهي اعلم بهذه الامور من الاب وتقتضي هذه المهنة التفرغ ولا تعطي اي واجب آخر ولاسيما خارج البيت الا عند الضرورة القصوى .

والام شطر المجتمع اذا صلحت صلح المجتمع كله وسنتطرق بشيء من التفصيل عن اعداد الاسلام للاسرة وبالاخص المراة .

اما الاولاد: فهم يرتبطون في طفولتهم بامهم وعليهم طاعتها ولذلك فان للام دورا كبيرا في اعدادهم الاعداد الصحيح بحسب المنهج الرباني الذي رسمه الدين الاسلامي الحنيف، والاولاد طليعة المجتمع وحماة الدعوة والدين وسور الوطن ورد المعتدين، وعليه يجب الاهتمام باعداد هؤلاء الطليعة، والذي يقوم بها بالدرجة الاولى الام ويتطلب ذلك اعداد الام اولا لكي تستطيع اداء دورها الفعال والخطير، في تربية الاطفال التربية الاسلامية .

ولقد عزز القران الكريم بايات كثيرة تماسك الاسرة، فكان الحفاظ عليها واجبا دينيا، والمتتبع لسور القران الكريم يجد ان الباري عز وجل اكد على تنظيم الاسرة والمجتمع وحث على اقامة اسرة اساسها الايمان بالله والتقوى والسلوك الاخلاقي الاسلامي واقامة الفضائل وترك الرذائل كما امر باقامة مجتمع مترابط اساسه التقوى والتعاون على البر وترك الاثم والعدوان ورباط الاخوة.

وبعد تطهير المجتمع من كل الرذائل امر بالجهاد في سبيل الله واعلاء كلمته[٦٢]، وهذا يدلنا على انه لايمكن القيام بالاعمال الحربية وخوض المعارك قبل الاعداد الروحي الكامل وتطهير الفرد والاسرة والمجتمع من دنس الجاهلية واعدادهم اعدادا قائما على منهج القران .

قال تعالى ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة))[٦٣]

وجاء في الحديث الشريف: (تزوجوا الودود الولود، فاني مكاثر بكم الامم)[٦٤]

تبين لنا ان منعة الامة يتوقف على كثرة سكانها وتسليحهم بالقوة المادية والمعنوية وقد عني الاسلام بذلك ومن هذه الامور التي يحث عليها هو الاكثار من النسل، فان كثرة السكان شرط من شروط البقاء والنصر، وهو يدخل في القوة المادية التي امر الباري عز وجل باعدادها لارهاب العدو، كما حث الاسلام ايضا على تحلي الامة بالايمان بالله والتمسك بمكارم الاخلاق لتحقيق جيل قوي يتصف بمزايا الكيف والكم معا، لان الكثرة بدون ايمان بدون خلق قويم لاتعني شيئا.

الحض على تربية الاولاد:

قال تعالى (يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها

---

[٦٢] في ظلال القرآن تفسير سورة النساء.

[٦٣] سورة الانفال آية ٦٠.

[٦٤] رواه ابو داود والنسائي.

الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون).[٦٥]

وقال تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما).[٦٦]

وهم الاهل، اي الزوجة والاولاد من النار تكون بتربيتهم وتعليمهم التربية والتعليم الصحيحين. والمؤمنون الواعون حريصون على ان تكون ذرياتهم صالحة لتكن قرة اعين لهم وذخرا وما افشل الجيش في السلم قبل الحرب عند اهمال تربية الابناء.

والتربية مسؤولية كبيرة على الرجل والمراة جاء، الحديث الشريف: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في اهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمراة راعية في بيت بعلها وولده ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته).[٦٧]

وهناك وسائل تربوية مهمة من الواجب اتباعها نذكر منها :

١ -وجوب المساواة بين الاولاد:

... عن عامر قال: سمعت بن بشير (رضي الله عنهما) على المنبر يقول اعطاني ابي عطية فقالت عمرة بنت رواحة لا ارضى حتى تشهد رسول الله

---

[٦٥] سورة التحريم آية ٦.

[٦٦] سورة الفرقان آية ٧٤.

[٦٧] رواه البخاري ومسلم.

(صلّى الله عليه وسلّم) فاتى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فقال اني اعطيت ابني ن عمرة بنت رواحة عطية وامرتني ان اشهدك يا رسول الله، قال اعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال: لا، قال : فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم، قال: فرجع فرد عطيته).[٦٨]

٢ -الرحمة والعطف على الاولاد:

جاء في الحديث الشريف: (والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء).[٦٩]

وجاء ايضا قال انس : ما رايت احدا كان ارحم بالعيال من رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم).[٧٠]

كان لهذه التربية السامية اثرها العظيم في نفوس اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فالانت اشد القلوب قسوة وما احوجنا الى قادة يرحمون رعيتهم ويسهرون على راحتهم ومصلحتهم والى جنود بينهم مودة ورحمة يشعرون انهم كالجسد الواحد. ورد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه استعمل رجلا من بني اسد على عمل، فجاء ياخذ عهده، فاتى (عمر رضي الله عنه) ببعض ولده فقبله. فقال الاسدي: اتقبل هذا يا امير المؤمنين؟ والله ما قبلتُ ولدا قط، فقال عمر: فأنت بالناس اقل رحمة، هات

---

[٦٨] رواه البخاري.

[٦٩] رواه ابو داود.

[٧٠] رواه مسلم.

عملنا لاتعمل لي عملا.[٧١]

ومن هذه الاحاديث الشريفة ندرك مبلغ حنان الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وعطفه على الاطفال وحسن معاملتهم. نامل ان تكون ذلك درسا للآباء في معاملة اطفالهم المعاملة الحسنة وترك القسوة، لانها تؤدي الى أضعاف شخصيتهم وتهر نفوسهم وذلها، وقد ينتقمون من الناس ويذلونهم اذا ما اصبحوا في مركز قيادي نتيجة قهر نفوسهم.

٣- غرس الاصول النفسية:

لقد اقام الاسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الافراد صغارا وكبارا، شيبا وشبانا، على اصول نفسية نبيلة ثابتة وقواعد تربوية باقية اذ لايتم تكوين الشخصية الاسلامية الا بها، ولا تتكامل الا بتحقيقها وهي في الوقت نفسه قيم انسانية خالدة. ولاجل غرس هذه الاصول في نفوس الافراد والجماعات امر النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في بثها بين قومه وحثهم عليها وحبب اليهم الانصاف بها.

وفضلها على غيرها وجعلها ميزة للمسلم عن غيره. ومن أهم هذه الاصول النفسية التي سعى الاسلام لغرسها[٧٢]:

أ- التقوى:

ب- الرحمة:

---

[٧١] تحفة العروس ص٣١٣.

[٧٢] تربية الاولاد في الاسلام ج١ ص٣٥٥.

ج- الايثار:

د- العفو:

هـ - الجراة:

تلك هي اهم الاصول النفسية التي يسعى الاسلام جاهدا الى غرسها في نفس المؤمن وكلها تتضافر في تكوين الشخصية المسلمة واذا ما تكونت هذه المبادئ في الشخصية كان لها الدور الفعال في بناء الجيش على الاسس السليمة والقويمة والتي تكون سببا في قوته وانتصاره على اعدائه. وكان افراد هذا الجيش قد ادوا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات دون تواكل او تردد اوقنوط، ثم كانوا جنودا قائمين بكل الالتزامات من دون اهمال لحق او تقصير في واجب، بل كانت معاملاتهم وادابهم واخلاقهم الاجتماعية على احسن مما يرى واسمى مما يتصور .

٤ -الالتزام بالاداب الجماعية العامة:

إنّ القواعد التي وضعها الاسلام في تربية الاولاد اجتماعيا تعويدهم على الاداب الاجتماعية العامة وتخليقهم على مبادئ تربوية هامة، حتى اذا شب الولد واصبح يدرك حقائق الاشياء، وكان تعامله مع الاخرين في (صلّى الله عليه وسلّم) البر والاحسان وكان سلوكه في المجتمع والمعسكر مع اخوانه في منتهى المحبة والملاطفة ومكارم الاخلاق، واذا ما تحلى افراد الجيش بكل هذه الاداب اصبح جيشا مثاليا متعاونا على الخير .

لا شك ان الاداب الاجتماعية مرتبطة كل الارتباط بغرس الأُصول النفسية ؛ لان التعامل الاجتماعي حينما يقوم على عقيدة الايمان والتقوى،

ومبادئ الاخوة والرحمة ومكارم الايثار والحلم فان التربية تبلغ مراتبها العالية وغاياتها المثلى، وهذا ما حرص عليه الاسلام في وضع المناهج التربوية؛ لتكوين الفرد خلقيا واعداده سلوكيا واجتماعيا ومن هذه الاداب التي امر بها الاسلام هي آداب الطعام والشراب، واداب السلام واداب الاستئذان، واداب الحديث واداب المجلس، واداب التهنئة، واداب عيادة المريض، واداب التعزية.

٦- التربية على مراعاة الحقوق:

الاسلام اقام قواعد التربية الفاضلة وجعل مراعاة حقوق المجتمع عقيدة يعتنقها المسلم ويتعامل بها وبذلك تكون مظهرا من مظاهر الايمان واهم هذه الحقوق:

- حق الوالدين
- حق الارحام
- حق الرفيق
- حق الكبير
- حق الجار
- حق المعلم

قال تعالى: ((وقضى ربك الا تعبوا الا اياه وبالوالدين احسانا، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني

صغيرا)).[٧٣]

اما حق الارحام فقال تعالى: ((واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا)).[٧٤]

اما حق الرفيق فمن الامور التي يجب ان يلحظها الاباء في اختيار الرفيق والجليس الصالح لما له من تاثير كبير في صلاح امر الولد وتقويم اخلاقه .

روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي)[٧٥]. وروي انه قال: (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل).[٧٦]

ومن حقوق المصاحبة السلام اذا لقيته وعيادته اذا مرض وتشميته اذا عطس وزيارته في الله واعانته وقت الشدة واجابة دعوته اذا دعاه، والتهنئة.

ان لتربية الاولاد على مراعاة حقوق الرفيق دورا ايجابيا عند الدخول في الحياة العسكرية فستكون هناك اواصر قوية تربط بعضهم ببعض، واذا ما كانوا جميعا يتحلون باخلاق الاسلام الحميدة فان الجيش الذي سيتكون منهم يصبح كالصخرة التي تتحطم عليها كل الجيوش الضالة في الارض لان قوتهم نبعت من تماسكهم وايمانهم بالعقيدة التي امرتهم بالتحلي بهذه الاواصر

---

[٧٣] سورة الاسراء ٢٣-٢٤.

[٧٤] النساء آية ١.

[٧٥] رواه ابو داود والترمذي وابن حبان واحمد في المسند.

[٧٦] رواه ابو داود والترمذي.

والروابط الاخلاقية المتينة .

أما حق المعلم فهو من الحقوق الاجتماعية المهمة التي يجب ان يربى عليها الاولاد حتى ينشا الولد على الاداب الاجتماعية الرقيقة تجاه من له عليه حق التعليم والتوجيه والتربية ولاسيما إن كان المعلم يتصف بالصلاح ويتسم بالتقوى، ويتسم بمكارم الاخلاق، والتعلم لاينحصر في القراءة والكتابة والعلوم الدينية فحسب، بل حتى العلوم العسكرية .

روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (ليس منا من لم يبجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه).[٧٧]

اما حق الجار قال تعالى: (وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل)[٧٨]

وروي ان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (من يؤمن بالله ورسوله فليكرم جاره)[٧٩]

اما اكرام الجار الذي هو اكبر سنا واكثر علما وارفع تقوى ودينا، واسمى جاها وكرامة ومنزلة، فقد روي ان رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قال: (ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه)[٨٠]

---

[٧٧] رواه احمد والحاكم ص ٢٧٥.

[٧٨] سورة النساء آية ٢٦.

[٧٩] رواه البخاري ومسلم.

[٨٠] رواه الترمذي ص ٢٨٠.

٧- تعميق روح الجهاد في نفسية الولد:

من الامور المهمة التي يجب اني يربى عليها الاولاد ويهتم بها المربون ويوجهوا الاعتناء الاكبر اليها- تعميق روح الجهاد في نفسية الولد وترسيخ معاني العزم والمثابرة في فكره وقلبه ومشاعره .

ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الاسلام من بلاد الاسلام، واصبحت السيادة للطواغيت، واستلم زمام الامور في اكثر بلاد الاسلام لا هم لهم ولا (صلّى الله عليه وسلّم) الا ان ينفذوا مخططات اعداء الله والاسلام، سواء كانت هذه المخططات استعمارية او كانت يهودية، او كانت صليبية . فكان من نتيجة ذلك ان اجتاحت المجتمعات الاسلامية موجات المادية الطاغية، وعواصف هوجاء من التحلل والاباحية.. وتيارات متدفقة من المبادئ الضالة، واصبحت البلاد الاسلامية هدفا لكل طامع لكل مريد.

لذا وجب ان نربي الاولاد على معنى الصبر والمثابرة وتعميق روح الجهاد في نفوسهم . من المراحل التي يجب اتباعها مع الاولاد في تعميق روح الجهاد في نفوسهم وترسيخ معانيه في جوارحهم وكيانهم[٨١]:-

أ- استشعار الولد بشكل دائم ان تحقيق العزة الاسلامية وبناء المجد الاسلامي، لايكون الا بالجهاد واعلاء كلمة الله .((يا أيُّها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، اذلة على المؤمنين

---

[٨١] براجع كتاب تربية الابناء ج٢ ص١٠٨٩.

اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم))[٨٢]

ب- افهام الولد بشكل دائم ان الجهاد في سبيل الله .

ج- تذكير الولد بشكل دائم بمواقف بطولية لابناء الصحابة (رضي الله عنهم)، ليتاسى بهم، ويمضي على طريقهم ومنوالهم .

لما خرج المسلمون الى احد رد النبي (صلّى الله عليه وسلّم) من استصغر منهم، وكان فيمن رده رافع ابن خديج وسمرة بن جندب، ثم اجاز (صلّى الله عليه وسلّم) رافعا لما قيل له انه رام يحسن الرماية، فبكى سمرة وقال لزوج امه: اجاز رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) رافعا وردني مع اني اصرعه. فبلغ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) الخبر فامرهما بالمصارعة، فكان الغالب سمرة، فاجازه عيه الصلاة والسلام .

د- تحفيظ الولد سورة الانفال، وسورة التوبة، وسورة الاحزاب، ونصوصا اخرى من ايات الجهاد في القرآن الكريم.

هـ- تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفسية الولد ليؤمن ايمانا جازما ان ما اصابه لم يكن ليخطئه،وما اخطئه لم يكن ليصيبه، وان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله عليه، وانه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولايستقدمون وان الله سبحانه هو وحده المحيي والمميت.

---

[٨٢] سورة المائدة آية ٥٤.

دور المسجد في اعداد الفرد والمجتمع:

للمسجد اهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، ولقد كان اول عمل فكر به الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) في مدة اقامته القليلة في بني سالم بن عوف وهو في طريقه الى المدينة ان بنى مسجد قباء، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم). [٨٣]

وكان اول فعل بعد استقراره (صلّى الله عليه وسلّم) بالمدينة ان بنى مسجده العظيم وكان يعمل فيه بيده، ويحمل احجاره بنفسه وينشد ويقول: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للانصار والمهاجرة).[٨٤]

والاصحاب ينشدون :

لايستوي من يعمر المساجدا يعمل فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وللمسجد أدوار كثيرة ومنها ما له تاثير روحي ومنها ماله من تاثير مادي، وسنتطرق هنا الى بعض هذه الادوار ولا سيما ما يوضح لنا الجوانب العسكرية.

١- المسجد ثكنة الدعوة الاسلامية الاولى – دار الدولة الاسلامية الكبرى – تلك الثكنة تعلم فيها الرجال علوم الدين والعلوم العسكرية والعلوم الاخرى، ثكنة تلقن العلم والعمل، وتطهر الروح والبدن، وتعرف الحق

---

[٨٣] سورة التوبة آية ١٠٨.

[٨٤] انظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٥.

الواجب، وتعني بالتربية قبل التعليم واعداد الافراد قبل خوض المعارك.

كان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) يقوم في المسجد بتهيئة الجيوش وتدريبها. روى البخاري (رحمه الله): ان الحبشة كانوا يلعبون بحرابهم في مسجد النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ، والنبي ينظر اليهم، ويري عائشة ام المؤمنين لعبهم، وبهذا الحديث استدل العلماء على جواز اللعب بالحراب (التدريب) في المسجد وقالوا: ان المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الاعمال يجمع منفعة الدين واهله جاز فيه. قالوا: واللعب بالحراب ليس لعبا مجردا، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو.[٨٥]

٢- في المسجد يتعلم الناس عمليا الاخوة والمساواة، فحسبك ان المسجد يضم اهل الحي في كل يوم خمس مرات، تتعارف فيها الوجوه، وتتصافح الايدي، ويتآلف فيها القلوب، تجمعهم وحدة الأخوة والهدف والوسيلة وما أحلاها ان تكون هذه التكنات العسكرية اليوم، واي وحدة ابلغ واعمق من وحدة المصلين في الجماعة وحدة يشعرون فيها بروح الأُخوة الكريمة ((انما المؤمنون اخوة))[٨٦] ولا يشعرون بروح الغل والشحناء والكراهية لكي لا ترتد عليهم صلاتهم جاء في الحديث الشريف : (ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا: رجل ام قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، واخوان متصارعان).[٨٧]

---

[٨٥] انظر نيل الاوطار للشوكاني ص ٢٢٥.

[٨٦] سورة الحجرات آية ١٠.

[٨٧] رواه ابن ماجة واسناده صحيح – الجامع الصغير ص١٢٨.

واما المساواة فنراها واضحة في الصفوف المتراصة في المسجد، القائد الى جانب الجندي، والفقير الى جانب الغني، والعالم بجانب الجاهل فليس للمسجد لائحة تخصص الصفوف الاولى للقواد والصفوف الاخرى للمراتب، وانما الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد، ولذلك نرى المسلمين جميعا يشعرون في ساحة الحرب انهم سواسية في تأدية الواجب الا وهو اعلاء كلمة الله العليا .

٣- يُعدُّ المسجد منطقة حشد الجيوش التي تنطلق منها للسير الى عمليات الفتح الاسلامي بعد اكمال عدتها وتجهيزاتها واستلام القادة الميدانيين الأوامر والتبليغات والوصايا، وكذلك تعدّ الخطط السوقية والميدانية من داخل المسجد.

المصـادر:

١. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (٦٣٠هـ):

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٢٤٣ أوفيست المكتبة الإسلامية.

- الكامل في التأريخ – دار صادر – بيروت ١٩٦٥م.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ):

- صحيح البخاري – بيروت.

٣. الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره الترمذي (٢٧٩هـ):

- سنن الترمذي – دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م.

٤. إبن حجر، أحمن بن علي (٨٥٣هـ):

- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

- فتح الباري في شرح البخاري، بيروت د.ت.

٥. ابن حنبل، احمد بن محمد (٢٤١هـ):

- المسند، دار المعارف للطباعة والنشر ط٣، مصر ١٩٤٩م.

٦. أبو حامد الغزالي:

- إحياء علوم الدين – بيروت – لبنان.

٧. إبن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (٨١٨هـ):

- المقدمة، دار الفكر، بيروت.

- تاريخ ابن خلدون، بيروت ١٩٥٦.

٨. أبو داود، سلمان بن اشعث السجستاني (٢٧٥هـ):

- سنن ابي داود، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

٩. الرازي، محمد بن ابي بكر (٦٦٦هـ):

-مختار الصحاح، دار المعارف، مصر ١٩٧٣م.
١٠. ابن سعد، محمد (٢٣٠هـ):
-الطبقات الكبرى- بيروت -١٩٨٠م.
١١. الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ):
-جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت ١٩٨٣م.
١٢. ابـن كثيـر، عمادالـدين أبـو الفـداء إسـماعيل بـن كثيـر (٧٧٤هـ) (٧٥١هـ):
-تفسير القرآن العظيم- دار احياء التراث- بيروت ١٩٦٩م.
١٣. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ):
-الأحكام السلطانية والولايات المدنية- الحلبي ١٩٧٣م.
١٤. مسام بن الحجاح النيسابوري (٢٦١هـ):
-صحيح مسلم - دار الفكر - بيروت ١٩٧٨م.
١٥. النسائي، احمد بن علي بن شعيب بن علي (٣٠٣هـ):
-سنن النسائي - دار الفكر - بيروت ١٩٧٨م.
١٦. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف النووي (٦٧٦هـ):
-شرح صحيح مسلم، بيروت- لبنان.
١٧. ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام (٢١٣هـ):
-سيرة النبي (صلّى الله عليه وسلّم) - دار الفكر- بيروت.
١٨. خطاب، محمود شيت: الاسلام والنصر
١٩. سابق، سيد:
أ -فقه السنة- دار الكتاب اللبناني- ط١- بيروت ١٩٧١م.

ب -اسلامنا- دار الكتب العربي- بيروت- لبنان.
٢٠. سيد قطب: في ظلال القرآن- دار الشروق-١٧، ١٩٩٣.
٢١. الكاندهاوي، محمد يوسف: حياة الصحابة- دار المعرفة، بيروت – لبنان، بدون تأريخ.
٢٢. عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة- ط٣ -١٩٧٦.
٢٣. محمد شديد: منهج القرآن في التربية- بيروت – لبنان.
٢٤. المودودي، أبو الأعلى: منهج الانقلاب الإسلامي- دار السعودية للطباعة والنشر.
٢٥. ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ١٩٧٣.

موقف الدول الكبرى من
استقلال الباكستان

الأستاذ المساعد الدكتور
عصام عبدالغفور عبدالرزاق
كلية التربية للبنات/ الجامعة العراقية

الملخص:

كانت ولاتزال شبه القارة الهندية قبلة الدول الكبرى مما تتمتع بها من موقع جيوستراتيجي ودور اقتصادي مهم في الاقتصاد العالمي، فضلا عن الثقل السكاني الكبير ومصدرا مهم للأسواق التجارية، جاءت ظروف استقلال شبه القارة الهندية من السيطرة الاستعمارية في ظروف صعبة ومعقدة وترك هذا الاستقلال عدة بؤر صراع مزمنة لايزال البعض منها لحد الان مستمر من تاريخ استقلال شبه القارة عام ١٩٤٧.

اللاعب الاساسي في شبه القارة هي الهند الهندوسية والتي ولدت من رحمها دولة باكستان المسلمة بعد صراعا طويل وكفاح مسلح للأحزاب المسلمة فيها للحصول على الاستقلال في ذلك الوقت الذي كان العالم يتجه في حينها الى تشكيل المعسكرين الاول تقوده الولايات المتحدة الامريكية والاخر المعسكر الشرقي الذي يقوده الاتحاد السوفيتي (سابقا) مما توجب على الدول الحديثة في الاصطفاف مع احد المعسكرين لضمان ديمومة الحياة السياسية في العلاقات الدولية والحصول على المساعدات الاقتصادية المهمة لضمان استمرار التموين والحياة السياسية مقابل تنفيذ

الاجندات السياسية والعسكرية لتلك الدول العظمى في ميزان القوى الاستراتيجية، كانت محركات هذه السياسات وخصوصا الهند مما تعانيه من عقد داخلية من دينية وديموغرافية واقتصادية ومرارة انفصال باكستان عنها انعكست بشكل مباشر اتجاه جارتها الجديدة مقابل تدفق الدعم الدولي لها ضد باكستان حليفة الولايات المتحدة الامريكية سابقا وحديثا.

المقدمة:

تُعدُّ شبه القارة الهندية من مناطق الصراع الدائمة في العالم، إذ كانت مطمعا لكثير من الدول الاستعمارية التي قصدت السيطرة عليها كما كانت مسرحا لصراعات داخلية طائفية وعرقية كبيرة راح ضحيتها الآلاف من المواطنين من كل الأطراف.

إنّ دراسة التطورات السياسية التي طرأت على باكستان بعد الاستقلال وانفصالها عن الهند، توضح التناقضات والصراعات السياسية التي شهدتها الساحة السياسية في باكستان، فضلا عن ان البريطانيين الذين قرروا منح شبه القارة الهندية استقلالها لم يكونوا على استعداد للتخلي عن مصالحهم من دون أن يتركوا هذه البلاد في حاجة دائمة لهم.

برز تأثير الهند سلبيا، التي كانت تعتقد بصورة مستمرة ان باكستان جزء مقتطع من الهند، وإن استقلالها قد جرى تحت ظروف خاصة، وأنّها لابد من أن تعود في يومٍ ما الى الهند؛ لذلك فإن التطورات الداخلية في

باكستان في تلك الحقبة وضحت طبيعة الصراعات التي كانت للقوى السياسية دورٌ مهمٌ في تسييرها .

أولا: قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧ والموقف البريطاني منه:

جاء قيام باكستان بعد أن عانى مسلمو شبه القارة الهندية الكثير من الآلام، وقدموا الكثير من التضحيات. وابتهج محمد علي جناح (القائد الأعظم) كما كان يسميه الباكستانيون، وشعبه فقد بزغ فجر جديد على المسلمين بقيام دولة خاصة بهم. وكان هذا انتصارا للرابطة الإسلامية التي انشأها محمد علي جناح، التي لم تكن حزبا سياسيا اعتياديا يمكن أن يقارن مع غيره من الأحزاب في تلك الحقبة، فهو الذي وحدّ مسلمي الهند في صفٍ واحدٍ من أجل تحقيق هذا الهدف، وجاء النظام الإداري للدولة الجديدة امتدادا للنظام الإداري الذي أوجده البريطانيون في الحقبة السابقة، وقام النظام الدستوري على أساس قانون حكومة الهند لعام ١٩٣٥، وأكملت بعض بنوده من قانون استقلال الهند لعام ١٩٤٧[١].

طبق نظام الحاكم العام في باكستان، وهو النظام الذي أوجده البريطانيون في شطري الهند البريطانية (الهند وباكستان) بعد الاستقلال؛ لتصبح كل واحدة منهما دومنيون تابع لمنظمة الكومنولث (رابطة الشعوب البريطانية) تدار يُديرها حاكم عام، يمثل امتدادا لنائب الملك الذي وجد في عهد السيطرة البريطانية، وكانت صلاحيات وسلطات الحاكم العام تتحدد

---

[١] ستار جبار علاي الدليمي، النظام السياسي في باكستان (١٩٤٧-١٩٩٧)، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص٥٩.

طبقا لشخصية هذا الحاكم وعلاقته مع رئيس وزرائه. فعندما كان محمد علي جناح في الحكم، كانت شخصيته تطغى على الحكومة، وكان يتمتع بالصلاحيات كافة، ولكن بعد وفاته عام ١٩٤٨ ومجيء الحاكم العام الجديد لياقت علي خان رئيسا للوزراء، والذي كان يمثل امتداد لمحمد علي جناح، نجد أن منصب رئيس الوزراء قد طغى على منصب الحاكم العام، وأصبح هو المسيطر والموجه للسياسة في باكستان، وهكذا فان عهد الحاكم العام قد شهد صراعات سياسية وتنافسا" شديدا" للوصول الى السلطة والسيطرة على زمام الأمور بين الزعماء السياسيين في باكستان[٢].

كان محمد علي جناح يتمتع بسلطات واسعة في الإدارة المدنية والقوات المسلحة، وبأوامره الخاصة، وكان بإمكانه تعديل الدستور وإصدار القوانين التي لايمكن لأي سلطة قضائية ردها أو نقضها. كما كان يتولى رئاسة الجمعية التأسيسية، وهي البرلمان الباكستاني، التي تتألف من نواب يمثلون الأقاليم المكونة للدولة الجديدة والذين تم انتخابهم عام ١٩٤٦ في الجمعية التأسيسية للهند قبل التقسيم من قِبَل الجمعيات التشريعية المحلية

---

[٢] دومنيون : وهي دول الكومنولث التي تتمتع بالحكم الذاتي. والتي تعد ملكة بريطانيا رئيسة لها ويمثلها فيها حاكم عام. للمزيد ينظر : طارق مجيد تقي العقيلي , العلاقات العراقية –الباكستانية ١٩٥٨.١٩٤٧ , رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية , الجامعة المستنصرية , بغداد , ٢٠٠٣ , ص٣٠.

على أساس واحد لكل مليون من السكان. كما احتفظ لنفسه بمنصب وزير الخارجية ووزير مناطق الحدود[٣].

يعاون الحاكم العام مجلس وزراء مكون من ستة وزراء تم اختيارهم من الأعضاء السابقين في تركيبة المجلس الاستشاري لنائب الملك قبل التقسيم عام ١٩٤٧، وكان أغلبهم من أعضاء الرابطة الإسلامية[٤].

أما الأقاليم فقد تمتعت بنوعٍ من الاستقلالية في الحكم، فكانت لها حكوماتها ووزراؤها ومجالسها التشريعية، ولها حق إصدار القوانين الخاصة بها. ويعين الحاكم العام حكامها، وكان أغلب حكام الأقاليم في بداية قيام الدولة من البريطانيين، الذين كانوا يُعدّونَ موظفين باكستانيين ماعدا حاكم السند. وظل البريطانيون يشغلون عددا" من الوظائف الرئيسة بما فيها قيادة الجيش والبحرية حتى تسلمها الباكستانيون تدريجيا، وحدد محمد علي جناح مهام الحكومة الباكستانية الجديدة في المحافظة على الأمن واحترام القانون، واجتثاث الفساد من جذوره، والزمها بأن تتعامل مع الأقليات بالعدالة المطلقة، فلكل دينه ومذهبه، وليس للدولة أن تتدخل في معتقدات رعاياها. كما كان حريصا على أن يحذر البنغال من التعصب الإقليمي إذ عدّه أكبر لعنة توجه الى باكستان[٥].

---

(٣) حمزة علوي، الدولة والمجتمع في مجتمعات ما بعد الاستعمار، مجموعة باحثين، باكستان الدولة والمجتمع والإسلام، ص٢٩-٣٠.

(٤) وفيق حسين الخشاب و آخرون , الجنوب الأوسط للقارة الآسيوية , مطبعة جامعة بغداد, ١٩٨٠، ص٨٨.

(٥) محمود شاكر، باكستان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧١، ص٩٧.

جاء في خطاب محمد علي جناح أمام الجمعية التأسيسية في آب عام ١٩٤٧: ((إذا أردنا أن نجعل هذه الدولة الباكستانية العظيمة سعيدة ومزدهرة، فإننا يجب أن نركز على رفاهية الشعب فقط، وبخاصة الجماهير الفقراء، وإذا ما عملتم في تعاون ودفنتم خلافاتكم فمن المحتم أن تصيبوا النجاح. ولابد أن نبدأ العمل بهذه الروح. وبمرور الوقت فان كل الحزازات بين الأغلبية والأقلية، وبين الهندوس والمسلمين ستختفي. إنكم أحرار، أحرار في الذهاب الى معابدكم، وأحرار في الذهاب الى مساجدكم، أو الى أيٍّ مكان آخر للعبادة في دولة باكستان، وبمقدوركم الانتماء إلى أي ديانة أو طائفة أو عقيدة. هذا شيء لا علاقة له بأمور الدولة)) [٦].

وعند تتبع عهد محمد علي جناح وموقف البريطانيين من نظام الحكم في الباكستان وبعد تمتعهِ بصلاحيات واسعة تفوق ما يسمح به قانون تعيين الحاكم العام لأي دومنيون آخر تابع للكومنولث التي يكون فيها الحاكم العام رئيسا" رمزيا". ويجب ان توضع السلطة الفعلية بيد رئيس الوزراء، إلا أن محمد علي جناح لم يتحدد بذلك، بل حصر الصلاحيات بيده هو، وقد أعلن ذلك صراحةً في حديث له مع الحاكم البريطاني مونتابين (Montiben)، نائب الملك على الهند قبل الاستقلال، والذي أصبح الحاكم العام للهند بعد الاستقلال، (إن هذا النظام لن يطبق في باكستان)[٧]؛ لذلك ولتأكيد سلطته

---

[٦] عبد الحميد البطريق ومحمد مصطفى عطا، باكستان في ماضيها وحاضرها. دار المعارف، مصر ١٩٥٥، ص٨٠.

[٧] محمود عبد الوهاب، كراتشي عاصمة السند والايام الزاهرة، مجلة العربي، العدد ٣٧٢، نوفمبر ١٩٨٩، ص٨٧.

قام بتعيين رئيس الوزراء وكذلك الوزراء. ولم تقتصر حدود سلطته على المركز، بل كانت تمتد إلى الأقاليم. ففي الثاني والعشرين من آب ١٩٤٧ قام بعزل المجلس الحكومي المنتخب في إقليم الحدود ونصب بديلا عنه[٨].

لم يستمد محمد علي جناح قوته تلك من المنصب الذي يحتله، وإنّما من المهابة والاحترام اللذين كان يحظى بهما بين عامة الشعب. فكان يلقب بـ (والد الأمة). وقد احترم الجميع رغباته ونفذوا كل أوامره. فلم يواجه أي ممانعة فيما كان يصدِّره من أوامر[٩].

توفي القائد الأعظم محمد علي جناح مساء يوم ١١ أيلول عام ١٩٤٨. بعد أن عانى كثيرا من المرض في السنوات الأخيرة من حياته، وكانت وفاة القائد الأعظم صدمة كبيرة للباكستانيين الذين كانوا يعدّونه المؤسس الحقيقي لدولتهم؛ لذا فقد عمّت البلاد موجة من الحزن الكبير؛ ولم يقتصر ذلك على الداخل فقط ؛ بل أخذت الكثير من الدوائر الغربية تشكك في إمكان بقاء باكستان بعد وفاة محمد علي جناح، وفي قدرة الباكستانيين على المحافظة على استقلالهم، وتوقع بعضهم حصول انقسام أو انفصال في باكستان[١٠]. وهذا ما حصل بالفعل؛ لان الذين جاؤوا بعده لم يستطيعوا أن يكسبوا قلوب الباكستانيين بمختلف قومياتهم وطوائفهم كما كان القائد الأعظم يفعل.

---

(8) Syed Ziaullah, Samual Biad, Pakistan An End without a Beginning, New Delhi, 1985, P.14.

(9) Ibid.

(١٠) وفيق حسين الخشاب واخرون، المصدر السابق، ص٨٨.

ثانيا: موقف الولايات المتحدة الامريكية من استقلال باكستان عام ١٩٤٧:

واجهت باكستان التي انفصلت عن الهند وحصلت على الاستقلال في ١٥ اب عام ١٩٤٧ مشاكل كثيرة منها جغرافيتها غير المألوفة، اذ تتكون من قسمين هما باكستان الغربية وباكستان الشرقية يفصل بينهما حوالي ألف ميل من اراضي الهند، وتتالف من عدة اقاليم وولايات[١١]، وكان عليها أن تبدأ بإنشاء بنيتها التحتية وحكومتها ومؤسساتها الوطنية من الصفر[١٢] .

وقد أثرت الاوضاع التي عاشتها باكستان في بداية تكوينها على علاقاتها الخارجية، فكانت علاقاتها مع الهند صعبة ومعقدة ولاسيما فيما يتعلق بتقسيم إرث الهند البريطانية، وتسوية مطاليب اللاجئيين وكيفية توزيع مياه الأنهر المشتركة بين البلدين ورسم الحدود وإقامة سياسة التفاعل الاقتصادي والتغلب على مرارة الشعور الناتج عن التقسيم[١٣].

أخذت الولايات المتحدة الامريكية تتطلع نحو بلدان المنطقة، وبدأت بتقديم المساعدات الى تلك الدول، وفقا لمبدأ ترومان، إذ بلغت المساعدات

---

[١١] المصدر نفسه، ص٨٨.

[١٢] تألفت باكستان من استقلالها من خمس ولايات هي ولاية الحدود الشمالية الغربية وعاصمتها بيشاور وولاية السند وعاصمتها حيدراباد وولاية البنجاب وعاصمتها لاهور وولاية البنغال وعاصمتها دكا أما العاصمة المركزية فهي كراتشي، ويسمى رئيس الوزراء في الحكومة المركزية وزيرا اعظم اما رئيس الوزراء في الاقاليم فيسمى وزيرا اعلى. انظر: عبد الحميد البطريق ومحمد مصطفى عطا، باكستان ماضيها وحاضرها، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥، ص٧٠ .

[١٣] المصدر نفسه، ص٧٢.

التي قدّمتها عام ١٩٤٧ حوالي (٢,٩٤٠,٠٠٠,٠٠٠) مليارا وتسعمئة واربعين مليون دولار لتعزيز الامن المشترك والحفاظ على انظمة الحكم وتوحيد صفوف بلدان الشرق الاوسط الى جانب الغرب، وكانت حصة باكستان من تلك المساعدات (٣٠٠) ثلاثمائة مليون دولار لانعاش اقتصادها والوقوف ضد الشيوعية[١٤].

لقد أثبتت الأحداث أن المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة الامريكية الى دول الشرقين الأدنى والأوسط ولاسيما اليونان وتركيا وباكستان كانت وسيلة اعتمدتها حكومة الولايات المتحدة الامريكية، لبسط نفوذها السياسي، وتحقيق تفوق اقتصادي على حساب بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول، وأداة لدفع هذه الدول وغيرها من الدول، الأخرى المجاورة للاتحاد السوفيتي (سابقا) الى صنع طوق أمني يحيط به من الجنوب ويعيق تغلغل الشيوعية في هذه المنطقة الغنية بالنفط، وتفاعل التوجه الامريكي حيال الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية مع توجهات الحكومة الباكستانية الموالية للغرب منذ استقلالها، ففي اجتماع مجلس الوزراء الباكستاني يوم ٧ ايلول عام ١٩٤٧ بيّنَ الحاكم العام محمد علي جناح في الاجتماع بأن باكستان دولة ديمقراطية وعدوةً للشيوعية، ولهذا فإّن مصلحة البلاد تكمن في

[١٤] هاني الياس الحديثي، سياسة باكستان الاقليمية ١٩٧٠-١٩٩٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠١، ص٩٢.

إقامة علاقات مبنية على اساس التعاون المشترك لما فيه منفعة لباكستان مع الدول الديمقراطية كالولايات المتحدة الامريكية[١٥].

ويتضح من تصريح الحاكم العام هذا بان سياسة باكستان اختلفت منذ البداية عن سياسة الهند التي التزمت جانب الحياد بين المعسكر الغربي والمعسكر الاشتراكي.

وكان وزير المالية في باكستان (غلام محمد Ghulam Mohammed) قد التقى القائم باعمال السفارة الامريكية (تشارلس لويس Charles Lewis) في كراتشي يوم ٢٨ اب عام ١٩٤٧ وطلب منه مفاتحة حكومته بخصوص حصول باكستان على مساعدات مالية ممكنة، وفي الاجتماع الثاني لمجلس الوزراء الباكستاني يوم ١١ ايلول عام ١٩٤٧ اوضح محمد علي جناح بان الشيوعية هي عدو للبلاد، وأن سلامة الحدود الشمالية الغربية لباكستان امر يهم العالم باسره وليس مجرد امر داخلي بالنسبة للباكستان وحدها، مبيِّنا ان الحكومة السوفيتية كانت وراء مطالبة الافغان بأقليم بشتونشتان، وأن السوفيت يقومون بالتحريض على خلق مشاكل طائفية بين الهند وباكستان. وكان مما دفعه الى هذا الاعتقاد "بأن الحكومة السوفيتية لم تبعث رسالة تهنئة لمناسبة استقلال باكستان"[١٦].

تمخضت اجتماعات مجلس الوزراء الباكستاني عن إرسال الحكومة الباكستانية اواخر شهر ايلول عام ١٩٤٧ السيد ميرلايك علي

---

[١٥] توماس اي. برايسون، العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الاوسط، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، المجلد الثاني،بغداد،١٩٨٠، ص٢٧٣.

[١٦] المصدر نفسه، ص٢٧٣.

(Mir Laik Ali) احد المستشارين الاقتصاديين في الحكومة الباكستانية الى واشنطن، للتفاوض مع الحكومة الامريكية بشأن الحصول على قرض ماليٍّ؛ لتلبية احتياجات بلاده في مجال التنمية الاقتصادية والدفاع، فضلا عن ذلك كان سفير باكستان الاول في واشنطن أم.اي اتش اسباهاني (M.A.H.Ispahani) قد طالب الولايات المتحدة أيضا بتقديم ٢٠٠ مليون دولار كمساعدات مالية لبلاده من أجل إنعاش الوضع الاقتصادي، ولكن الحكومة الامريكية اعتذرت عن عدم تلبية مطلب مير علي والسفير بسبب ضخامة المبلغ[١٧].

ونتيجة للأثر السلبي الذي تركه الموقف الامريكي الرافض لطلب باكستان المالي على الأوساط الحاكمة الباكستانية، فإن الدبلوماسية الامريكية في باكستان نشطت من خلال إرسال البرقيات والتقارير الى وزارة الخارجية الامريكية طالبت فيها الوزارة بإقناع الإدارة الامريكية بمساعدة الحكومة الباكستانية وجلبها الى الصف الامريكي. ففي ٢ تشرين الاول عام ١٩٤٧ أرسلت القنصلية الامريكية في لاهور التي تأسست في ٢٧ آب عام ١٩٤٧ برقية الى وزارة الخارجية الامريكية بينت فيها حالات الفوضى وعمليات السلب والنهب التي تحصل في مناطق البنجاب، واوضحت أن المجتمع الباكستاني متخلف ويمكن السيطرة عليه بسهولة، وطلبت من الوزارة دراسة إمكان مساعدة باكستان ماليا، وإشعار حكومة كراتشي بضرورة توفير الحماية للقنصلية الامريكية، وكان لإيضاح الموقف الذي قامت القنصلية الامريكية بنقله تأثيره على ما يبدو في تغير الموقف الامريكي ففي ١٧ كانون الاول

---

[١٧] المصدر نفسه، ص٢٧٤.

عام ١٩٤٧ إذ منحت الولايات المتحدة الامريكية باكستان مبلغ عشرة ملايين دولار كمساعدات . وأعلن (روبرت لوفيت Robert Lovett) وزير الخارجية بالوكالة أن صداقة باكستان معروفة لدى ساسة الولايات المتحدة وان ابتعادها عن الشيوعية دليل للولايات المتحدة؛ لان تكون جادة لما تطلبه باكستان من مستلزمات الدفاع وانعاش اقتصادها، ولقد كان من مظاهر زيادة الاهتمام الامريكي بشؤون باكستان ايضا تعيين السفير بول النغ (Paul Alling) السياسي المتخصص بشؤون المنطقة لدى وزارة الخارجية الامريكية اول سفير لها في كراتشي في كانون الثاني سنة ١٩٤٨. وقد اصطحب السفير النغ معه كادرا دبلوماسيا متخصصا في شؤون الشرق الاوسط وجنوب شرق آسيا. والتقى السفير الحاكم العام محمد علي جناح يوم ٢٦ شباط عام ١٩٤٨ وسلّمه رسالة من الرئيس الامريكي هاري ترومان(H.Troman) تخصُّ علاقات الصداقة بين البلدين، وردا على الرسالة اعرب محمد علي جناح للسفير عن امله بان تكون علاقات الولايات المتحدة الامريكية بباكستان على شكل تحالف مماثل للتحالف بين الولايات المتحدة وكندا[١٨].

اثمرت لقاءات محمد علي جناح بالسفير الامريكي في كراتشي عن حصول باكستان على قرض ماليٍّ بمبلغ عشرة ملايين دولار في ٢٥ ايار عام ١٩٤٨. وقد فتح هذا القرض الباب؛ لتدفق الاستثمارات الامريكية وراس المال الامريكي الى باكستان حيث اصبحت باكستان تعتمد على المساندة المادية والمعنوية من جانب الولايات المتحدة الامريكية مما أدّى ذلك الى

---

[١٨] سمعان بطرس فرج الله، "قضية كشمير بين الهند وباكستان"، السياسة الدولية، العدد الثاني، القاهرة، ١٩٦٥، ص٣٠.

توثيق العلاقة بين الجانبين؛ وكان من مظاهر ذلك ان قامت في ١٩ اب عام ١٩٤٨ ثلاث سفن من البحرية الامريكية بزيارة ودية الى ميناء كراتشي[١٩].

يتضح من ذلك ان محمد علي جناح ادى دورا متميزا في اقامة علاقات متينة مع الولايات المتحدة الامريكية بالرغم من حقبة حكمه القصيره.

ثالثا: موقف الولاية المتحدة الامريكية من المشكلة الكشميرية بين الهند وباكستان :

ترجع مشكلة كشمير الى نمو الحركة الوطنية فيها وارتباطها بالانقسام الذي دبَّ في صفوف الحركة الوطنية في الهند البريطانية بين حزبي المؤتمر بزعامة غاندي والرابطة الاسلامية بزعامة محمد علي جناح[٢٠].

لقد حصل اقليم كشمير على الحكم الذاتي بوصفهِ امارة تحت السيادة البريطانية عام ١٨٤٦، وعندما فصلت السلطات البريطانية هذا الاقليم عن امبراطورية السيخ لاضعافها، باع البريطانيون في ذلك العام بمقتضى معاهدة أمريستار[٢١] اقليم جامو وكشمير الى المهراجا الهندوسي غولاب سنغ رئيس عائلة دوغرا، وقد اتسم حكم هذه الاسرة بالتعسف والطغيان والتمييز العنصري والطائفي، مما أثار حفيظة غالبية الشعب المسلم التي طالبت بالمساواة مع

---

[١٩] المصدر نفسه، ص٢٧٥.

[٢٠] المصدر نفسه، ص٢٧٦.

[٢١] سمعان بطرس فرج الله، المصدر السابق، ص٣٠.

الهندوس، ولكن حركتهم كانت غير منظمة الامر الذي حدَّ من فاعليتها الى ان برزت شخصية الشيخ عبدالله في تشرين الاول عام ١٩٣٢[٢٢].

أسس الشيخ عبد الله اول حزب سياسي تحت اسم (مؤتمر مسلمي جامو وكشمير) وطالب بان تكون غالبية اعضاء الجمعية التشريعية منتخبين، وليس بالتعيين، كما طالب بإقامة حكومة مسؤولة امام الشعب، ولكن المهرجا رفض جميع هذه المطاليب متماديا في بطشه وتعسفه، عندئذ حرّض زعيم الحزب أهالي كشمير على تخصيص يوم للمقاومة السلمية؛ لاظهار تذمره بطريقة ملموسة ضد حكومة المهراجا، ونظم لهذا الغرض مظاهرة اشتركت فيها عناصر من غير المسلمين، الامر الذي أدى بالشيخ عبد الله الى توسيع اطار حزبه كي يضم جميع طوائف الشعب من دون تمييز. وعلى هذا الاساس فتح الحزب عام ١٩٣٨ ابوابه لغير المسلمين

---

[٢٢] عقدت المعاهدة في ١٦ اذار عام ١٩٤٦ وقد اعترفت فيها بريطانيا بغولاب سنغ مالكا لكل من جامو وبونش ولادخ، ونصت المعاهدة في مادتها الاولى على ان الحكومة البريطانية تمنح المهراجا وورثته من الذكور كل المرتفعات الواقعة الى الشرق من نهر الاندوس والى الغرب من نهر رافي وتوابعها باستثناء لاهور، واكدت المادة العاشرة من الاتفاقية على ان المهرجا يعترف بسيادة الحكومة البريطانية. لمزيد من التفاصيل ينظر: - P.L. Lankhanpal., Essential Docments and Notes on Kashmir Dispute International Publishing, New Delhi, p.9.

واصبح اسمه المؤتمر الوطني لجامو وكشمير في ١١ حزيران عام ١٩٣٩ برئاسة الشيخ عبد الله[٢٣].

يمكن القول: إنّ الشيخ عبد الله وجّه حزبه وجهة وطنية شاملة لا تتخذ من الدين عنصرا مميزا لها؛ ولذلك فإنّ حزب المؤتمر الوطني لجامو، وكشمير كان اقرب من حيث مبادئه وسياسته الى حزب المؤتمر الهندي منه الى حزب الرابطة الاسلامية، حيث أيدَّ الشيخ عبد الله حركة المقاومة السلمية التي قادها غاندي وحزب المؤتمر الهندي ضد الاستعمار البريطاني، بل انه نظم حركة مماثلة ضد المهراجا لكي يعدل عن سياسته التعسفية، ويوافق على حكومة تستند الى الارادة الشعبية؛ وان الانقسام داخل الحركة الوطنية في الهند انعكس على اوضاع كشمير فانشق بعض اعضاء المؤتمر الوطني؛ لكي يكوّنوا حزبا جديدا بزعامة غولام عباس تحت اسم حزب المؤتمر الاسلامي الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالرابطة الاسلامية، وقد حاول محمد علي جناح في اثناء زيارته لكشمير عام ١٩٤٤ أن يوحد صفوف المسلمين ويقنعهم بتأييد الرابطة الاسلامية، اي انه حاول ان يحمل شعب كشمير على الانضمام الى دولة باكستان التي كان يسعى الى

---

[٢٣] ولد في سوارة بالقرب من سريناجر من اصل براهماني كشميري، اعتنقت اسرته الاسلام في القرن الثامن عشر الميلادي، حصل على شهادة الماجستير في الكيمياء، من جامعة عليكرة وعين ناظرا للمدرسة الثانوية. ينظر:ابو الاعلى المودودي، قضية كشمير المسلمة، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٩٨٦، ص١٥. ايضا:
- M. M. Khan, The United Nations and Kashmir, Karachi, 1956, p.40.

تأسيسها، وكان واثقا في ذلك الوقت من ان قيام الدولة الاسلامية امر محقق الوقوع لامحالة[٢٤].

بعد ان شكلت الولايات الهندوسية دولة الهند والولايات المسلمة دولة باكستان واخفق حاكم كشمير هاري سنغ في اتخاذ اي قرار بالانضمام الى اي من الدولتين اصبحت مشكلة كشمير ومستقبلها اكثر تعقيدا من مجرد كونها اقليما ذا غالبية مسلمة ويحكمها حاكم هندوسي، اذ كانت كلٌّ من الهند وباكستان تطمح بضم هذه الولاية الكبيرة الى اراضيها لأهميتها الستراتيجية والاقتصادية فضلا عن الاسباب الدينية والسياسية والنفسية[٢٥].

ومع انقضاء سلطة الامبراطورية البريطانية على شبه القارة الهندية انتهت ايضا سيادتها. وقبل انسحاب القوات البريطانية اعطت البعثة التي ارسلها مجلس الوزارء البريطاني الى الهند الامراء وحكام الولايات في ٢ ايار عام ١٩٤٦ الخيار في حالة الانسحاب من الانضمام لاي نظام يمكن ان يخلف الحكم البريطاني عام ١٩٤٧، وكان ذلك يعني. أما الانضمام الى الهند واما الى باكستان، إلا ان التوصية لم تقل شيئا بشأن الحاجة لان يرجع الحكام في البلدين الى استطلاع رغبات رعاياهم في اتخاذ قراراتهم[٢٦].

---

[٢٤] الاسترلامب، كشمير ميراث متنازع عليه ١٩٤٦-١٩٩٠، ترجمة سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٢، ص١٦٩.

[٢٥] المصدر نفسه، ص١٧٠.

[٢٦] انعام سالم حسين وتوت، المشكلة الكشميرية واثرها على أمن شبه القارة الهندية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص٩٢.

ولكي لاتحصل اعمال عنف واضطرابات في كشمير اقترح رئيس وزراء ولاية جامو وكشمير جاناك سنغ بتاريخ ١٢ أب عام ١٩٤٧ تجميد موضوع انضمام ولاية كشمير لاي من الهند وباكستان. وقد وافقت باكستان على هذا الاقتراح في ١٥ اب من العام نفسه، اما الهند فقد ماطلت في قبوله، بسبب الاضطرابات والمصادمات التي عمت ارجاء الولاية بين الهندوس والمسلمين وكان حاكم الولاية يرغب في تحويل كشمير الى دولة مستقلة شريطة اعتراف الدولتين الهند وباكستان بها، ومع ان بعض المصادر تشير الى دور السياسة البريطانية في تحريض حاكم كشمير هاري سنغ على هذا التوجه إّلا أن هناك اشارات واضحة تشير الى ان البريطانيين حثّوه على استطلاع اراء الشعب الكشميري بشأن الموضوع قبل ان يتخذ قراره النهائي، لكنه لم يأخذ برأيهم[٢٧].

وقد حذر الهنود نائب الملك البريطاني مونتابين من مغبة قبول انضمام كشمير الى باكستان، اذ تلقى مونتابين قبل عودته الى بريطانيا في حزيران عام ١٩٤٧ رسالة من وزير خارجية حكومة الهند السردار؛ فالابهباي باتل تضمنت تحذيرا له من تدهور العلاقات البريطانية –الهندية اذا سمح لولاية جامو وكشمير بالانضمام الى باكستان[٢٨].

---

[٢٧] لاسترلامب، المصدر السابق، ص١٧٤.

[٢٨] كاظم هيلان محسن السهلاني، الصراع الهندي – الباكستاني حول ولاية كشمير ١٩٤٧–١٩٤٩، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٢، ص١١٣.

ومع ان المسلمين في كشمير كانوا يشكلون آنذاك ٧٧٪ من مجموع سكان الولاية، إلّا أن الهند ادعت ان غالبية سكان كشمير يرغبون في الانضمام الى الهند مستغلة تعاطف حزب المؤتمر الوطني لمسلمي جامو وكشمير بقيادة الشيخ عبد الله مع حزب المؤتمر الهندي، في حين كان حزب المؤتمر الاسلامي بقيادة غلام عباس وهو الحزب المتحالف مع حزب الرابطة الاسلامية مؤيدا لانضمام كشمير الى باكستان[٢٩].

واستنادا الى مبدأ تقسيم شبه القارة الهندية، كان على الدوكرا[٣٠] هاري سنغ ان ينضم الى باكستان استنادا الى الموقع الجغرافي والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسكانية لكشمير وانسجامها وارتباطها التاريخي مع سكان البنجاب غير انه مارس دورا واضحا في الانحياز الى جانب الهند من دون اخذ رأي سكان الولاية. فبدلا من الانضمام الى باكستان اقترح رئيس وزراء الولاية جاناك سنغ تجميد ولاية كشمير أي: ابقاء الوضع على ما كان عليه قبل التقسيم لحين توفر الفرصة السانحة لتقرير المصير النهائي لها، وقد قبلت الدولتان الهند وباكستان بهذا العرض، بل ان باكستان وقعت مع حاكم كشمير اتفاقا خاصا بذلك، لكنها سرعان ما أخذت تمارس الضغوط عليه وفرض الحصار الاقتصادي على الولاية بهدف التأثير عليها، الا ان المهراجا هدد بأنّه سيطلب المساعدة من أيةِ جهة كانت اذا استمرت باكستان في الضغط على كشمير بسبب تأزم الوضع وتدهوره، فاضطربت الاوضاع

---

[٢٩] الاسترلامب، المصدر السابق، ص٣٧٣.

[٣٠] صلاح المختار، "جذور وملابسات الصراع الهندي-الباكستاني"، دراسات عربية، السنة الثامنة، العدد ٥، ١٩٧٢، ص١٧.

السياسية بشكل خطير داخل الولاية. ومهد كل ذلك للقيام بالانتفاضة المسلحة التي بدأت في ٢٢ تشرين الاول عام ١٩٤٧ وشملت معظم ارجاء ولاية كشمير [٣١].

وقد انتشر العنف الطائفي (الهندوسي-الاسلامي) عندما اقتحمت عشائر الباثان اقليم البنجاب يوم ٢٢ تشرين الاول عام ١٩٤٧، وكان الهدف من الاجتياح هو الاستيلاء على مدينة سرينكار عاصمة الاقليم وقلب كشمير السياسي ودمجها بباكستان بالقوة، الا انه سرعان ما انهارت مقاومة ميلشيات المهرجا امام المهاجمين وتقدمت قوات الباثان نحو سرينكار واخذوا يسلبون وينهبون حيث قاموا باقتحام مدينة بارامولا واضطر المهرجا الى الهروب يوم ٢٦ تشرين الاول عام ١٩٤٧ وتوجه لطلب المساعدة من الهند ووقع معها في ذلك اليوم نفسه اتفاقا وافق فيه على الانضمام اليها، واشارت الحكومة الهندية الى ان مصير كشمير سيقرره استفتاء عام سيجري بعد طرد القوات وانهاء القتال، وبعد ان عجزت الهند وباكستان عن حلِّ النزاع من خلال مباحثات ثنائية وافق رئيس الوزراء الهندي جواهر لال نهرو على مقترح الحاكم العام مونتابين في ان تطرح الهند قضية كشمير على مجلس الامن الدولي التابع للأمم المتحدة، وبدأ الاهتمام الامريكي بالنزاع الهندي –

---

[٣١] كلمة سنسكرينية الأصل مركبة من (دو) بمعنى اثنين و(كيرات) بمعنى بحيرة، اي ارض البحيرتين، وقد اصبحت كلمة (دوكيرات) بمرور الزمن (دوكرا) وفي الواقع ان بحيرتي سيردنسار ومانسار واقعتان في التلال الكائنة شرقي جامو حيث يعدُّ مكانهما مركزا للدوكرا التي تعني حاكم المنطقة. انظر: محمود نور الدين، محنة في الفردوس، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٠، ص٢٠٠.

الباكستاني حول كشمير عندما التقى مسؤولون بريطانيون في واشنطن مساعد وزير الخارجية الامريكي لوفيت (Lovett) في كانون الثاني عام ١٩٤٨. وحدث ان جاء هذا اللقاء متزامنا مع مباحثات مجلس الامن بشأن ايجاد حل لمشكلة كشمير فطالب المسؤولون البريطانيون بان تأخذ الولايات المتحدة الدور القيادي في تلك المباحثات، وفي وأثناء اجتماع مساعد وزير الخارجية الامريكي مع الوفد البريطاني بين لهم ان الولايات المتحدة قلقة من الصراع الهندي–الباكستاني ولاسيما ان الحكومة الامريكية تتخوّف من الاهتمام السوفيتي بالمنطقة واحتمال ان يتدخل الاتحاد السوفيتي الى جانب أحدِ الاطراف المتصارعة مما سيؤدي الى التوسع الشيوعي في منطقة جنوب شرق أسيا، أو ان يتدخل لحل مشكلة كشمير الامر الذي سيترتب عليه جذب الاطراف المتصارعة الى جانبه ويؤثر على التوجه الامريكي في منطقة جنوب شرق آسيا، وفي اجتماع مجلس الأمن بشأن كشمير بداية عام ١٩٤٨ اتفق الدبلوماسيون الامريكان والبريطانيون على ضرورة الوصول الى حل مقنع لمشكلة كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان ودارت مباحثات الامم المتحدة حول أربع قضايا متداخلة هي[٣٢]:

١ السيطرة على إدارة كشمير في اثناء الاستفتاء العام.

٢ طبيعة ومسار سحب القوات الهندية وقوات كشمير ازاد[٣٣].

---

[٣٢] مصطفى أحمد شريم، رحلتي في مأساة كشمير، مطابع شركة الدقهلية الوطنية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ١٩٩٣، ص١٨..

[33] Kashmir in the Security Council, Manhattan Publishing Company, New York ,1960,p.4

٣ رغبة الهند في وصف باكستان بانها غازية.

٤ رغبة باكستان في ادانة معاملتها من قبل الهند.

وفي اجتماعات مجلس الامن بخصوص كشمير التقى الشيخ عبد الله الذي كان ضمن الوفد الهندي بمندوب الولايات المتحدة الامريكية في مجلس الامن وارن اوستن (Warren Austin) الذي اعتقد بان هدف الشيخ عبد الله هو التوصل الى استقلال كشمير. وبعد هذا اللقاء ارسل اوستن برقية الى وزارة الخارجية الامريكية شرح فيها لقاءه بالشيخ عبد الله وذكر انه لم يشجعه على طلبه بشأن استقلال كشمير. [٣٤]

لم تؤيد الحكومتان الامريكية والبريطانية فكرة استقلال كشمير؛ لان استقلالها في ظل ضعفها السياسي والاقتصادي وموقعها الستراتيجي ربما يؤدي بحسب وجهة النظر الامريكية الى تدخل شيوعي يؤدي الى عدم الاستقرار الاقليمي، وبسبب هذا الموقف استمرت طروحات اعضاء مجلس

---

[٣٤] كشمير ازاد : اطلق هذا الاسم على قبائل اليونش المقاتلة التي شجعتها باكستان على الثورة المسلحة ضد مهراجا كشمير الذي رفض الانضمام الى باكستان وامدتهم بالاسلحة، وسرعان ما انضمت اليهم قبائل الباثان التي تقطن اقليم الحدود الشمالية الغربية، وكون الثوار جيشا تحت قيادة السردار محمد ابراهيم خان، بل إن بعض القوات المسلحة الباكستانية اشتركت في القتال مع قوات كشمير ضد قوات المهرجا. وعندما عجزت القوات الكشميرية عن الصمود أمام القوات الثائرة طلب المهراجا معونة عسكرية من الهند. للمزيد من التفاصيل. انظر:

- Adarsh Sein Anand,. "Kashmir's Accession to India" , Journal of the India Law Institute, New Delhi, Vol.6, Jan-March, 1964, p.69.

الامن بشأن ايجاد صيغ اخرى عادلة للمشكلة. وفي اذار عام ١٩٤٨ وافق مجلس الامن على القرار الذي اقترحه ممثل الصين بخصوص مطالبة الحكومة الهندية بالاستفتاء، وهذا الاقتراح رفضته الحكومة الباكستانية موضحة ان حصول استفتاء عام سيكون مستحيلا في حالة بقاء الشيخ عبد الله متعاونا مع الهند. وطلب حاكم باكستان العام محمد علي جناح من الولايات المتحدة الامريكية بان لاتضللها المزاعم البريطانية والصينية بخصوص المقترح الهندي.

فسح محمد علي جناح بمطلبه هذا المجال للساسة الباكستانيين لعرض وجهة نظر الحكومة الباكستانية في مشكلة كشمير على الساسة الامريكيين وإمكان كسب الولايات المتحدة الامريكية الى جانب قضيتهم فقام وزير الخارجية ظفر الله خان[٣٥] اثناء وجوده في نيويورك بمحاولة لكسب تأييد الحكومة الامريكية لوجهة نظر حكومته بخصوص الاستفتاء في ولاية

---

[٣٥] شدري محمد ظفر الله خان (١٨٩٣-١٩٧٦)، سياسي باكستاني ولد في سيبالكو في شباط سنة ١٨٩٣ وتلقى دراسته في لاهور، ثم في لندن، وعاد الى بلاده حيث مارس المحاماة في لاهور وفي عامي ١٩٣٠-١٩٣١ اشترك في مؤتمر المائدة المستديرة لزعماء الهند، بوصفه رئيسا لرابطة مسلمي الهند كافة، وشغل منصب قاضٍ في محكمة الهند الفيدرالية في المدة ١٩٤١-١٩٤٧، ومنصب وزير خارجية باكستان في المدة ١٩٤٧-١٩٥٤، ثم اصبح عضوا في محكمة العدل الدولية في لاهاي في السنوات ١٩٥٤-١٩٦١، وتوّلى رئاسة الجمعية العمومية للامم المتحدة سنة ١٩٦٢، له عدة مؤلفات في القانون. انظر: عبد الوهاب الكيالي و كامل زهيري، الموسوعة السياسية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤، ص٣٦٦

كشمير بعد تنحي الشيخ عبد الله عن حكم الولاية وان تنضم الى الدول الساعية لحل القضية خلال اجتماع مجلس الامن يوم ٢١ نيسان عام ١٩٤٨، واوضح لياقت علي خان رئيس الوزراء الباكستاني ان القرار الذي اتخذه مجلس الامن خلال اجتماعه في نيسان بخصوص مشكلة كشمير باجراء استفتاء اظهر افتقار اعضائه الى فهم ادارة الحوار، وانه طالما بقي الشيخ عبد الله مسؤولا عن حكومة كشمير فلن يجرؤ احد على المخاطرة بالتصويت ضده.[٣٦]

ومع المساعي الدبلوماسية ومطالبة الهند وباكستان بايجاد حلٍّ لمشكله كشمير ظلت القوات المسلحة للدولتين في قتال مستمر الى ان وافقت الحكومتان على قبول مقترح وقف اطلاق النار بين الجانبين الذي اقترحته الامم المتحدة بقرار مجلس الامن في ١٣ اب عام ١٩٤٨، وذلك بوضع خطة مناسبة تخدم الطرفين لاجراء استفتاء عام في كشمير. وقد وافقت الولايات المتحدة الامريكية على ان تدخل عضوا في لجنة الامم المتحدة للهند وباكستان United Nations Committe of India and Pakistan (UNCIP) التي قررت الامم المتحدة تشكيلها لهذا الغرض وارسالها الى الدولتين، وبعد

---

[٣٦] لياقت علي خان (١٨٩٥-١٩٥١) تلقى تعليمه في جامعة عليكرة وواصل دراسته في جامعة اكسفورد، انتخب عضوا في المجلس التشريعي في المقاطعة المتحدة مرتين الاولى سنة ١٩٢٦ والثانية سنة ١٩٣٠، كما انتخب عضوا في البرلمان المركزي في دلهي سنة ١٩٤١، وكان محاميا مشهورا ومن كبار اصحاب الاملاك في دلهي، وبعد وفاة محمد علي جناح اصبح الامين العام لحزب الرابطة الاسلامية. انظر: "الشخصيات البارزة في حزب الرابطة الاسلامية"، مجلة العرب، العدد٩، ذي القعدة، ١٣٦٥، ص١٤.

زيارة لجنة (uncip) الى كل من الهند وباكستان اوضح ممثل الولايات المتحدة في اللجنة كالاهر هودل (Klahr Huddle)

إنّ الحكومة الهندية كانت متصلبة في البداية من الاستفتاء، ولكنها قبلت في النهاية مقترحات لجنة الأُمم المتحدة على عكس الحكومة الباكستانية التي لم تستجب الى المقترح الامر الذي جعل لجنة الامم المتحدة تعدُّ ذلك رفضا من الحكومة الباكستانية لتلك المقترحات.

وعلى الرغم من الدور الذي قامت به لجنة الامم المتحدة الا ان تشارلس لويس(Charles Lewis) الذي أصبح القائم باعمال السفارة الامريكية في كراتشي بعد اصابة السفير بول النغ بالمرض عبر في رسالتين الى وزارة الخارجية الامريكية الاولى في العاشر والثانية في الرابع والعشرين من ايلول عام ١٩٤٨ عن اقتناعه بعدم قدرة لجنة الامم المتحدة على تهدئة الاوضاع المضطربة في شبه القارة الهندية، ذلك وزارة الخارجية الامريكية، لان تعبر للجنة الامم المتحدة عن اقتناعها بان نزاع كشمير اصبح يهدد الامن والسلام في شبه القارة الهندية وسوف يؤثر في منطقة جنوب شرق آسيا، محاولة بذلك اعطاء دفعة للعمل الدولي الهادف لحل المشكلة.[٣٧]

استمرت اتصالات المسؤولين الباكستانيين بالمسؤولين الامريكان ففي ٢٤ تشرين الاول عام ١٩٤٨ التقى رئيس وزراء باكستان لياقت علي خان بوزير الخارجية الامريكي مارشال (Mirsil) في اثناء اجتماعات الجمعية العامة التابعة للأُمم المتحدة المنعقدة في باريس. وكان ذلك اللقاء قد مثل اعلى المستويات بين البلدين منذ استقلال باكستان حيث اوضح لياقت علي

---

[٣٧] سمعان بطرس فرج الله، المصدر السابق، ص٣٣.

خان لوزير الخارجية الامريكي المشكلات والصعوبات التي تواجهها باكستان، موضحا بانه لم يكن ممكنا لباكستان ان تصبح فريسة للشيوعية، مطالبا الولايات المتحدة الامريكية بتقديم المساعدات لبلاده وبلدان الشرق الاوسط كما هو الحال بالنسبة لمساعدة الولايات المتحدة للدول الاوربية ولاسيما اليونان وتركيا[٣٨]. وفي اللقاء وصف لياقت علي خان موقف الهند حيال باكستان بانه معادٍ، وأن بلاده تسعى الى السلام، لكنها ستقاتل اذا ما أصرت الهند على ان تكون عدوانية، وان مسألة كشمير يمكن حلها من خلال اجراء استفتاء عام بعد ابعاد الشيخ عبد الله الموالي للحكومة الهندية من حكم ولاية كشمير، وكان لموقف لياقت علي خان هذا على ما يبدو أثره في الوزير الامريكي الذي اوضح بان الخلافات بين الهند وباكستان بخصوص كشمير يجب ان تنتهي وطالب مجلس الامن ببذل الجهود لتسوية النزاع بسرعة وبسلام. وكان يأمل بأمكانية تسوية مشكلة كشمير بما ينسجم ومبادئ الامم المتحدة، كما عبر عن دعمه لمطلب لياقت علي خان بان تقدم الولايات المتحدة الامريكية المساعدة الاقتصادية لبلاده، في الوقت الذي التقى مارشال برئيس وزراء باكستان التقى ايضا برئيس وزراء الهند نهرو، وعبر له عن تفاؤل ضئيل بشأن إمكان تسوية مشكلة كشمير بمناقشة القضية مع لجنة الامم المتحدة (UNCIP) والتوصل الى حلٍّ لها، وتوصل من خلال تلك اللقاءات الى استنتاج مفاده ان نهرو ولياقت علي خان اكدا الحاجة الى الاستقرار، الا انهما لم يظهرا رغبتهما في تنفيذ وعودهما بشأن حل لمشكلةِ كشمير، وادت تلك اللقاءات الى مواصلة الولايات المتحدة الامريكية جهودها

---

[٣٨] المصدر نفسه، ص٣٢.

الدبلوماسية الرامية الى تسوية المشكلة، فاجرت لهذا الغرض اتصالات مع المسؤولين من البريطانيين دون الانحياز الى احد اطراف القضية.[٤٩]

وكان لتلك الجهود اثرها في تنشيط مساعي لجنة الامم المتحدة منذ اجتماعها الاول في جنيف بتاريخ ١٥ حزيران عام ١٩٤٨ حيث ذهبت اللجنة الى شبه القارة الهندية في ٧ تموز عام ١٩٤٨ واجتمعت مع المسؤولين في كل من البلدين وجامو وكشمير[٤٠]، ثم وضعت تقريرها الذي طالبت فيه الاطراف المتنازعة باصدار قرار وقف اطلاق النار وقبول تعيين مراقبين عسكريين للاشراف على الاستفتاء وسحب القوات الباكستانية والهندية من جامو وكشمير على ان تقوم السلطات المحلية بإدارة الاقليم تحت اشراف الأُمم المتحدة.[٤١]

وعلى هذا الاساس اصدر مجلس الامن قراره في ١٣ أب عام ١٩٤٨ لوقف اطلاق النار وسحب قوات البلدين خارج الاقليم.

إنّ اهم ما اتسمت به اعمال لجنة الامم المتحدة هو تحقيق وجود عسكري للامم المتحدة في الاجزاء المتنازع عليها لاغراض المراقبة، وارسال التقارير الى السكرتير العام للامم المتحدة عن أي انتهاك لوقف اطلاق النار.

---

[٣٩] كاظم السهلاني، المصدر السابق، ص١٢٩.

[٤٠] المصدر نفسه، ص١٣٠.

[٤١] لياقت علي خان، مراحل تطور قضية كشمير، مطبعة الصباح، بغداد، ١٩٤٩، ص١٢.

رابعا: الموقف الدولي من الحرب الهندية – الباكستانية عام ١٩٤٧.

شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات سياسية كبيرة أسفرت عن انقسامه إلى معسكرين، احدهما قادته الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وهو ما عرف بالمعسكر الغربي أما الطرف الآخر فقادهُ الاتحاد السوفيتي وعرف بالمعسكر الشرقي. وكان كل جانب منهما يحاول أن يركز نفوذهُ ويستقطب اكبر عدد ممكن من الدول، لذلك بدأت ما تُعرف في التاريخ السياسي بالحرب الباردة، ونظرا للأهمية الإستراتيجية والسياسية الذي تلعبهُ شبه القارة الهندية فقد انعكس تأثير تلك الحرب عليها ونتيجة قرب الهند وباكستان من حدود الاتحاد السوفيتي عملت الولايات المتحدة وبريطانيا على كسب ود قادة البلدين بعد الاستقلال عام ١٩٤٧؛ لذا أصبحت الهند وباكستان محلا للتنافس السياسي بين المعسكرين الشرقي والغربي في أثناء الحرب الباردة، حيث كانت الهند ميالة خلال السنين التي تلت الاستقلال إلى الولايات المتحدة أكثر من ميلها إلى الاتحاد السوفيتي، وقد أبدى القادة السياسيون الأمريكان ارتياحهم لهذا التقارب، وهذا ما عبر عنه سفير الولايات المتحدة في الهند جون كينت (Joon kint) بقوله " إن الهند بلاد فلاحين وبرجوازيين يسودها النظام الرأسمالي ... وان معظم القادة الهنود يتعاطفون معنا ... "[٤٢]

[٤٢] محمد جمال، المبادرة السياسية والفكرية لحرب الأسبوعين في شبه القارة الهندية " ١٩٩٩، ص ١١٨ .

أ -موقف الاتحاد السوفيتي:

أما قادة الاتحاد السوفيتي فقد انتقدوا سياسة الهند، وأطلقوا عليها لقب المستعمرة الانكلو- أمريكية .إلا أن العلاقات الحسنة بين الولايات المتحدة والهند لم تستمر طويلا، فقد أصابها الفتور في خريف عام ١٩٤٩،عقب رفض الطلب الذي تقدم به نهرو للحصول على مساعدات اقتصادية أمريكية من دون أيّ شروط أو قيود [٤٣] ، فضلا عن رفض الهند الانضمام إلى المعسكر الغربي في أثناء الحرب الباردة لانتهاجها سياسة عدم الانحياز. وقد أبدى بعض القادة الأمريكان انزعاجهم من سياسة الهند الجديدة، إذ عبر السيناتور ناولاند (knowland) - زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ - عن ذلك بقوله" ... إن الهند بلد محايد؛ لذلك فهم لا يستحقون المعونة الاقتصادية والعسكرية ... "، لذلك أخذت الولايات المتحدة تبحث عن بدائل أخرى لشغل منصب المدافع عن المصالح الأمريكية في شبه القارة الهندية ضد النفوذ السوفيتي.[٤٤]

هكذا كانت العلاقات الأمريكية - الهندية متغيرة على مدى عقد من الزمان تبعا لتغير الظروف السياسية، ولم تكن العلاقات الحسنة بمثابة تحالف رسمي للهند مع الولايات المتحدة، كما حدث بالنسبة لباكستان، فالأخيرة كانت تربطها بالولايات المتحدة أوثق العلاقات التي يعود تاريخها إلى ما بعد الاستقلال عام ١٩٤٧. فقد حاولت منذ تأسيسها التفاوض مع

---

[٤٣] المصدر نفسه، ص ١١٩ .

[44] Zylfikar Ali Bhutto , The Myth of Independended,London,1967 , P . 43

الولايـات المتحـدة فـي سـبيل دعمهـا عسـكريا واقتصـاديا والوقـوف معهـا ومساندتها في قضية كشمير، مقابل إقامة القواعد العسكرية الأمريكية فوق أراضيها. وقد نجحت الولايات المتحدة في إقامة قاعدة طيران عسكرية في مدينة بشاور تضم طائرات من طراز (U – 2)،التي تقوم بمهام التجسس فوق الأراضي السوفيتية ؛ وكانت الولايات المتحدة تعزز من علاقاتها مع باكستان؛ لان ذلك سيزيد من حدة التوتر الهندي – الباكستاني، مما يدفع الهند إلى مدِّ جسور العلاقات مع الولايات المتحدة، لإبعادها عن باكستان، ومن ناحية أخرى ستعمل باكستان على المطالبة بالمزيد من المساعدات والخبرات الأمريكية مما يعني المزيد من مبيعات الأسلحة؛ وبذلك استخدمت الولايات المتحدة قضية كشمير ورقة ضغط على الحكومة الهندية.[٤٥]

وقد حّذرت الحكومة الباكستانية الإدارة الأمريكية من مغبة انحيازها إلى الهند في هذه الحرب، بأن لديها بدائل أخرى يمكن أن تستخدمها لتهديد الوجود الأمريكي في شبه القارة الهندية ومنها :

١. يمكن لباكستان أن تصفي القواعد العسكرية الأمريكية على أراضيها، والانسحاب من الاتفاقية الثنائية الموقعة معها، وعن حلفي بغداد وجنوب شرق آسيا .
٢. يمكن لباكستان التوصل إلى اتفاق مع الاتحاد السوفيتي لتوريد الأسلحة والمعدات العسكرية اليها٠ .

---

[٤٥] محمد جواد علي، الصراع الأمريكي – السوفيتي في المحيط الهندي، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٠٠ – ١٠١ .

٣. يمكن لباكستان أن تبرم اتفاقية عسكرية سرية مع الصين، في حال أي انحياز أمريكي لمصلحة الهند..

ب الموقف البريطاني:

أما بريطانيا فقد أعربت عن أسفها لاندلاع الحرب بين بلدين من أعضاء الكومنولث ، كما وجهت انتقادات لاذعة إلى الهند، حين عبرت قواتها الحدود الدولية مع باكستان متجهة إلى لاهور، وقد أدى الموقف البريطاني هذا إلى فتور في العلاقات مع الهند. حيث انتقد شاشتوري رئيس الوزراء الهندي موقف الحكومة البريطانية بقوله " إن هارولد ولسن (H.welsen) لم ينطق بكلمة واحدة عندما عبرت القوات الباكستانية خط وقف إطلاق النار وشنت هجوما على كشمير ... ".[٤٦]

ويمكن تفسير انتقاد بريطانيا للهند دون باكستان؛ لأنها أرادت الاحتفاظ بنوع من التوازن في سياسة المعسكر الغربي إتجاه باكستان؛ لان وقوف المعسكر الغربي على الحياد وعدم الانحياز لباكستان سيجعل صناع القرار الباكستانيون يفكرون بجدوى البقاء ضمن الأحلاف الغربية، ويدفعهم للارتماء في أحضان الصين الشيوعية التي تقدم لهم الدعم الكافي في صراعهم عن كشمير، وعندها ستجد بريطانيا نفسها في موقف ربما لا تُحسد عليه في الشرق الأقصى. وهكذا أرادت بريطانيا أن تنحاز ولو بصورة إعلامية لباكستان؛ وذلك بإدانتها الهجوم الهندي، واتخذت الحكومة البريطانية نفس الموقف الأمريكي، وأعلنت عن إيقافها المساعدات العسكرية

---

[٤٦] سمعان بطرس فرج الله، المصدر السابق، ص ٤٥.

والاقتصادية للهند وباكستان، في محاولة منها لإجبارهما على إيقاف هذه الحرب.[٤٧]

ج- الموقف الصيني:

أما الصين فكانت تربطها بالهند أوثق العلاقات، إذ يعود تاريخها الى ألفي سنة . فالهند تشترك معها بحدود كبيرة يصل طولها إلى ٣٥٠٠ كم، وتربطها علاقات تجارية ودينية. فتجارة الهند كانت تمر عبر جبال الهملايا وكان الحجاج الهندوس يذهبون للحج في جبل كيلاس وبحيرة مانشاروفار الصينية[٤٨] . وفي الغزو الياباني للصين في ثلاثينيات القرن الماضي أعرب حزب المؤتمر الهندي عن تضامنهُ مع الشعب الصيني بإرسالهِ بعثة من المعونات الطبية. وعند انتصار الثورة الشيوعية عام ١٩٤٩، كانت الهند ثاني دولة غير شيوعية تعترف بالنظام الجديد في الصين وحكومة ماوسي تونغ، وكانت الهند تأخذ زمام المبادرة في الإلحاح على تنفيذ مطالب الصين فيما يتعلق بمقعدها في الأمم المتحدة حتى إن نهرو كان من أكثر المنتقدين لسياسة الولايات المتحدة لعدم اعترافها بالحكومة الصينية. إلا أن بعض القيادات الصينية انتقدوا نهرو ورفاقه ووصفوهم بأنهم " كلاب تجري وراء الامبريالية "[٤٩]. وهكذا اتسمت العلاقات الصينية الهندية بالتشنج والرفض الكلي بعضهما لبعض مما انعكس ايجابيا على علاقات الصين مع باكستان التي اتسمت بالتقارب والتعاون المستمر منذ السنوات الأولى لقيام حكومتي البلدين. فباكستان كانت أول دولة غير شيوعية تعترف بالحكومة الصينية الجديدة.

---

[٤٧] المصدر انفسه، ص ٤٥.

[٤٨] الاسترلامب، المصدر السابق، ص ٣٣٣ – ٣٣٩ .

[٤٩] المصدر نفسه، ص٣٤٠.

الخاتمة:

١ -افتقدت باكستان منذ تأسيسها عام ١٩٤٧ للمقومات الأساسية للدولة، فكان تأسيسها على اساس ديني فحسب بعيدا عن كل المقومات الاساسية الاخرى للدولة من قومية أو لغة، أما الارض فكانت مقسمة على اقليمين احدهما شرقي ويسمى باكستان الشرقية؛ والآخر غربي وُيسمّى باكستان الغربية تفصل بينهما ارض هندية، وكان كل اقليم من الاقليمين متباينا عن الآخر في الثقافة واللغة والقومية فلا يجمعهم إلا الدين .

٢ -تمتعت باكستان في السنوات الثلاث الاولى بحكم مركزي قوي استمد قوته من شخصية مؤسس باكستان محمد علي جناح.

٣ -عندما دعمت الولايات المتحدة الامريكية باكستان شعرت الهند بأنها أصبحت منفردة؛ وليس لها من يقف في جانبها إتجاه سياسة الولايات المتحدة الامريكية في محاولة اضعاف باكستان، ورأت بأنّ بها حاجة الى حليف قوي يعطي للهند هيبتها إتجاه القرارات التي التزمت بها في تدخلها العسكري في الشأن الباكستاني، فكان أفضل حليف لها هو الاتحاد السوفيتي الذي كان في صراع دائم مع الولايات المتحدة الامريكية التي اتخذت من سياسة الاحتواء طريقا لها في مواجهة الاتحاد السوفيتي .

٤ ـ يتضح الموقف الامريكي المخادع في السياسة الخارجية التي اتبعتها مع كل الاطراف المتنازعة بأنها كانت لها علاقات طيبة مع باكستان والغرض من ذلك لكي تكون هي الوحيدة المستفيدة من النتائج التي تتوصل إليها الازمة .

الفَرْق لـ (قطرب)
مخطوط يتيم
بين ألـ (عطية) و ألـ (تميم)

الأستاذ المساعد الدكتور
عدنان أمين محمد

الأستاذ المساعد الدكتور
خليل رشيد أحمد

جامعة جرمو – كلية التربية

الملخص :

يهدف البحث للموازنة بين تحقيقين على مخطوط فريد هو كتاب (الفرق) لقطرب، والغريب ظهور فرق كبير بين هذين التحقيقين: أحدهما بقلم الدكتور خليل العطية، والأخر بقلم: الدكتور صبيح التميمي، علما كان المخطوط، قد حققه المستشرق (رودولف غاير) .

وقد أشرنا على مواضيع هذا الفرق في نقدنا للتحقيقين في إشارة إلى نقاط أيجابية يجب الاقرار لها، وأخرى سلبية لا بدّ منها في هذا العمل وكل عمل.

يخلص هذا العمل في مجمله الى الموزانة بين تحقيقين تزامنا معا بعض الشيء فأُجريا على مخطوط يتيم! ساقتهُ المصادفة إلى طرف! والإهداء إلى طرف آخر. وجاء تحت إشراف ومعاونة طرف مشترك واحد! حتى استقر طبعا وتسويقا وتداولا! .

وعلى الرغم من هذه المشتركات المضارعة إلاّ انّ العملين لم ينجوا من الشبهات والتشابه أو اللبس والتفريق والخلاف والمنقصة! سواء في توارد خاطر أم في هامش عابر أو متن مغاير أو إشكال في رسم لفظ أو تقديم في عبارة أو تأخيرها وغير ذلك! .

ولا يمكن لهذه الأسطار أن تنال من طرف على حساب طرف آخر ؛ لأنّ كلّ طرفٍ بذل جهدا في إقامة معوّج أو سدّ خروم أو معالجة سقط أو استبدال عبارة هنا أو هناك؛ لتقويم تعبير وإيصال فكرة أقرب إلى مراد الكاتب، وتقريب ما يمكن تقريبه ولا سيما في مخطوطة عسيرة القراءة دفعت طرفا الى تقديم هذا وتأخير ذاك على عكس ما فعل الآخر! أو ما حصل من خلاف في رسم الكلمة سواءً في سياق عبارة أم في بيت شعر بل أحيانا نجد خلافا لم يرد بحقه تهميش واضح أو تقميش ناجع ! وأشياء أُخر لمعنا إليها في مواضعها .

وفي الوقت الذي نجلُّ عمل الطرفين، لا نبرئ أنفسنا من سهم دالف وإبهام في الحكم سهوا عبر تلكؤ في صياغة شيء قَصُرَ فهمنا عن اِيداعه في الموضوع اللائق! ومن هنا يحقّ لأيٍّ كان من ردَ اليراعة إلى نحر ما كنا في ظلّ حوار يبغي نقد الذات قبل محاورة الآخر مع كلَ تجلّة للآخر أيّاَ كان!

في ١٩٨٧م، تصدّى (الدكتور خليل العطية) لتحقيق كتاب (الفرق) لـ (قطرب)، وهو المرموز إليه بـ (العطية) في عنوان هذا العمل، و (ع) في التناول! .

وفي ١٩٨٨م، تناول تحقيق العمل ذاته(الدكتور صبيح التميمي) و (الدكتور محمد علي الرديني) والمرموز إليهما بـ(التميم) في عنوان هذا العمل، و(ت) في التناول! والتميمي هو الذي اهتدى مصادفةً إلى العثور على المخطوطة التي جاءت مهداة إلى(العطية)! .

وحقيق بالذكر أنّ العملين جاءا بعد قرن من الزمان على تحقيق المستشرق الألماني(الدكتور رودولف غاير) في ١٨٨٨م، حين حقق أجزاء من المخطوطة لا كلّ المخطوطة! هذه من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ(الدكتور رمضان عبد التواب) كان معوانا لعملي (الدكتور العطية)، و(الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)! وقد أقرّ (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)بسبق (الدكتور العطية) إلى تحقيق المخطوط في حاشية تصدير الطبعة الثانية (١٩٩٢م)، إذ صدرت الأولى في (١٩٨٨م).

وارتأينا من موقع الحرص على التراث في عرض العملين في ظلّ الإشارة والتنويه لا التنبيه أو التشويه إلا في حالة تعالى الصراخ في الحوار الثقافي، فحينئذٍ ينتهي دور العقل في مواصلة الحوار ؛ ليغدو الأمر سفسطة على محك الغوغاء والبوغاء عبر رحًى تطحن قرونا! .

المخطوط بين النقد والتحقيق:

تحت عنوان(ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها[١] لـ (قطرب) [٢] نشر المستشرق الألماني رودولف غاير[٣] تحقيقه

---

[١] هذا هو عنوان الكتاب كما جاء في مصورة المخطوط (هذا ما قال قطرب في كتاب ما خالف فيه البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها) الذي نشره المستشرق (رودولف غاير) لأول مرة وبالعنوان نفسه ذكره بروكلمان! وهو الذي أمسى (الفرق) عند من جاء بعده.

ينظر: تاريخ الأدب العربي(بروكلمان ١٤٠/٣، كتاب الفرق في اللغة لـ(قطرب) بتحقيق: الدكتور خليل إبراهيم العطية، ط، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧/٤/٢٠ م،ص٤١، كتاب الفرق(قطرب) بتحقيق: الدكتور صبيح التميمي/ الدكتور محمد علي الرديني، ط/ مؤسسة الأشرف/ ط٢ بيروت ١٩٩٢، ص٣٥.

[٢] قطرب: لقب أضفاه عليه سيبويه، لأنه كان يبكر للأخذ عنه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل! وكان ثقة فيما يرويه عند البعض، ودون ذلك عند آخرين، إلا أنه أستطاع أن يصل إلى قصور الخلافة ليكون مؤدبا لأولاد الرشيد ! وهوبصري المذهب، فقد اختلف الرواة في وفاته وله مؤلفات في اللغة والنحو وغريب القرآن، وكان معتزليا في عقيدته.

ينظر: (الفهرست: ٧٨، وفيات الأعيان ١١٣/٤، تاريخ بغداد ٢٩٨/٣، نزهة الألباء، ٧٦، معجم الأدباء ٥٢/١٩، أخبار النحويين البصريين: ٣٨، مراتب النحويين: ٨٥، طبقات النحويين: ٩٩، تاريخ العلماء النحويين: ٨٢، إنباه الرواة ٢٢٠، معجم المؤلفين ١٥/١٢، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة:١٧٥، نور القبس: ١٧٥ بغية الوعاة ٢١٠/١، وغير ذلك ...)

[٣] رودولف غاير (١٨٦١ – ١٩٢٩): مستشرق (ألماني – نمساوي) له بصمات بائنة على تراثنا الإسلامي، ولا سيما في تحقيق ونشر النصوص مثل (ديوان أمرئ القيس

في مجلة (SBWA)/ ١١٥/٣٨٠-٣٩١، وهو أول من تصّدى لنشر هذا المخطوط في ١٨٨٨م. إلّأ أنا لا نعرف منهج هذا المستشرق[٤] في تحقيق

في المجلة الآسوية (١٨٩٢م) و (ديوان ابن جندل التميمي في ١٩١٥م بمناسبة تكريم المستشرق(زخاو)، و (ديوان الشنفرى) بمجلة إسلاميكا في (١٨٨٧)، وكتاب (الوحوش للأصمعي) و (ديوان الاسودي يعفر)، نشر في (ليدن) ١٩٢٨ م في ضمن منشورات جب، ....، و(ديوان الأعشى بن قيس بشرح أبي العباس ثعلب سنة ١٩٢٧م، مطبعة (آذلفهلزهوسن) الذي حققه فيما بعد (الدكتور محمد محمد حسين) شرحا وفهرسة، وهو عمل لم يلق استحسان (الدكتور محمود إبراهيم الرضواني، الذي أعاد التحقيق من حيث أنتهى(غاير) في جزاين، طبعة وزارة الثقافة، قطر ٢٠١٠م، إذ أضاف (٣) نسخ من عمان واليمن والهند وبلغت الزيادات(٨١٤) بيتا.. وحقق (غاير) أيضا كتاب(الفرق) لـ (قطرب) تحت عنوان (ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها في العدد(١١٥) سنة ١٨٨٨م، في مجلة SBWA، وتوفي ١٩٢٩م بعد عطاء ثر في خدمة التراث الإسلامي.

ينظر: الأدب الجاهلي في آثار الدراسين قديما وحديثا، الدكتور عفيف عبدالرحمن، ص٢٧، والمستشرقون ج٢ ص١٠٢(نجيب عقيقي)، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤.

[٤] المستشرق: مصطلح يعني دراسة الفكر الغربي لأعمال المشارقة في شتى جوانبها في التاريخ والديانات واللغات ونظم الاجتماع والسياسة والثروات وغير ذلك من المواقف الفكرية الناقذة توافقا أو تنافرا – غير أن ميزان الاعتدال له معياره في فصل الخطاب بين موازنة أعمال المستشرقين والنوايا الحقيقة التي وراءها في الحقول التي يختص بها كل مستشرق على حدة! ويمكن تصنيف هؤلاء المستشرقين إلى هذه الأصناف في مدارسة تراثنا الإسلامي.

الصنف الأول: وهو صنف لا ترتجى براءة اعماله الاستشراقية، ولا ترتجى وضعها في قفص الاتهام وفي حلقة مغلقة بإدلة ثبوتية تدين نشرياتها جملة وتفصيلا لما سرد

هذا المخطوط أو بيان وصفه للمخطوط! وهو أمر دفع بعض الدراسين إلى نقد هذا العمل بالاستبعاد تارة، وبالاستغراب تارة آخرى! إذ استبعد (الدكتور

من تأويل مجحف بسند ضعيف وتمحّل معقد لإنطاق النص بما لا يحتمل تعليلا وتحليلا في لوي واضح لعنق النص لخدمة فكر ملتوٍ! غير أنّ للغيارى من ابناء التراث المشرقي مرصد ثاقب في كشف بواطن ذلك التفكير وعلى دراية بمعرفة أثمان السلع الواردة لتعكير مياه الضفاف قبل الولوج في عمق البحر! ولا نستبعد صفة المرتزفة وإلصاقها بهذا النفر الضال الذي قد تقف دوائر مشبوهة من ورائهم! وفي ثقافتنا الشرقية زمرة ضالة تطبّل وتزمرّ بقوة لهذه الزمرة الضالة أشبه ما يكون بمقولة: (والطيور على أشكالها تقع) ٌ وما بين الأسطار يتضح المسار، وتتجلي الغُبار! .

الصنف الثاني: وهم فئة أحرار، عدول في التفكير والتناول، وهم النصفة من أصحاب الراي في محاكمة النصوص أو الأشياء! وهذه الفئة مستنيرة تحررت من العقد النفسية المعرفية والعقدية! بل لا تخضع لجهة ممولة أو دافعة لغرض أو علة! وهي فئة أتزنت فكريا في طروحاتها، إذ تزن الكلمة وتزينها وتضع في موضعها المناسب بمداد فائق، وحرف عابق،لإرواء كل وامق، ايّا كان، ولجم المائق!

الصف الثالث: وهم فئة تعمقت في دراسة التراث الإسلامي حتى طأطأت رأسها أزاء ثقافة الشرق وعقيدتها الرسالية وأستسلمت مبكرا أو مؤخرا لنداء الحنفية السمحاء, استجابت لنداء التوحيد والنطق بالشهاديتن لتحوز على حسن الخاتمة في شمّ هذا الرحيق المختوم! وهذه الأصناف (ثالثة الأثافي) ما تزال تمضي في عروق الاستشراق في ديمومة واستمرارية تقدح شرارة فكرية بأدوات معرفية معروفة وموجهة! ولا يمكن لهذه الثلاثية الإنصهار في بودقة واحدة، لأن طبيعة الفكر تلازم طبيعة البشر في قبول فكر أو ردّه أو العدول عنه أو عرضه ! وللمستشرق مذهبه فيما يدرس ويتدارس ويطرح ويحاور، وله مراياه ومعايبه، وهو شأن يجري على البشر أجمعين إن كان شرقيا أم غربيا، وإلا لتساوت البنان في كل إنسان! وهو محال على مرّ الأزمان!

حنا حداد)، ان يكون هذا المنشور كتابا مستقلا لـ(قطرب)، وعدّ عمل (غاير) فصلا من كتاب (خلق الإنسان)[٥]، أو (خلق الفرس)[٦] وهما من مصنّفات قطرب[٧]، ثم أمسى هذا الاستبعاد استغرابا عند (الدكتور حسين نصار) الذي قال:(والغريب انه لم يتعرض للإنسان، ولم يذكر ما يطلق عليه من أسماء، والأحوال التي عالجها على الرغم من تصريحه بذلك في عنوان الكتاب)[٨] وعزا ذلك الى خروم كثيرة في المخطوط حتى أضحى مخطوطا يشكو من المعايب والشوائب والنقص[٩] غير أن هذا الاستبعاد أوالاستغراب من لدن(الدكتور حنا حداد) و (الدكتور حسين نصار) نتيجة اجتهاد منهما، فيما نجد أنّ (الدكتور العطية) يميط اللثام في إزالة الغشاوة في معرض تثمينه عمل المستشرق(غاير) بالقول: (وغاير مشكور على ذلك كلّه، إذ كفاه تصديه لنسخة فريدة عسيرة القراءة، ونفضه عنها غبار الزمن، في وقت عزت فيه المطبوعات العربية)[١٠] ملتمسا الاعذار لـ(غاير)، وواصفا تحقيقه(وفي هوامش الكتاب مواضع أُخر جارى فيها (غاير) الأصل مما لا يخلو من تصحيف أو تحريف أو حرّفهُ إلى وجه جانبه فيه الصواب، ولأنّ (غاير) اختار مختارات يسيرة في اثنتي عشرة صفحة من كتاب قطرب في

---

[٥] ينظر: الفهرست: ٥٨، ونزهة الألباء: ٧٧، ووفيات الأعيان ٣١٢/٤، ومعجم الأدباء ١٠٦/٧، وبغية الوعاة: ١٠٤ .

[٦] ينظر / المصادر السابقة.

[٧] ينظر: الأضداد: ١٨، لقطرب، تحقيق: حنا حداد (ط الرياض:١٩٨٤).

[٨] دراسات لغوية: ١٧٨ (الدكتور نصار) ط بيروت: ١٩٨١ .

[٩] نفسه: ١٧٨.

[١٠] كتاب الفرق في اللغة (الدكتور العطية)، مكتبة الثقافة الدينية: ١٩٨٧م.

الفرق ...)[11] وفي ظلّ هذه الاختيارات – المنتخبة – كان (غاير) يضع: (عنوانات لهذه الاختيارات نحو: قال في أسماء الحمار، أسماء الذئاب وصفاتها، قال في أسماء القطيع وما إلى ذلك، وضبط النص المنشور بالشكل، وأتم بعض النقص في عباراته، وعينّ بحور أبيات الشواهد، وخرج طائفة من مسائله على وفق ما أمكنهُ، وفي زمن عزت فيه المطبوعات العربية)[12] وفي ردٍّ (الدكتور العطية) على اجتهادات (الدكتور نصار)، الذي عزا ما جاء من نقص في المخطوط لخروم كثيرة اصابت المخطوط، قال(الدكتور العطية): (وبالتالي يظن أحد المعاصرين أن في الكتاب خروما كثيرة، وليس كذلك كما يستبان من الكتاب هذا)[13] وحري بالذكر أنّ (الدكتور رمضان عبدالتواب)، المشرف على عمل (الدكتور العطية) ـ قد أقرّ بأن تلميذه (الدكتور العطية) قد استطاع من العثور على (نسخة كاملة من الكتاب، فحققه من جديد، لم يضن عليه بوقت أو جهد، فقابل المخطوط بالمطبوع)[14] وعدّ(الدكتور عبد التواب) عمل (غاير) مجريا على نسخة غير كاملة، بل هو مختصر لكتاب (الفرق) لـ (قطرب)[15] ومثل هذا الكلام فيه من الكفاية؛ لإقامة الدليل على دفع استبعاد (الدكتور حداد)، الذي عدّ عمل (غاير) فصلا من كتاب(خلق الإنسان) أو (خلق الفرس) – كما

---

(11) نفسه: ٣٢ .

(12) نفسه: ٣١.

(13) نفسه: ٧ (بتصدير: الدكتور رمضان عبد التواب)

(14) نفسه: ٧.

(15) كتاب الفرق لقطرب " ٢٩ (تحقيق: الدكتور صبيح التميمي، الدكتور محمد علي الرديني) مؤسسة الأشرف، ط ١، بيروت:١٩٨٨م.

أسلفنا[١٦] – أمّا قول(الدكتور عبدالتواب) عن نسخة)(غاير) بإنها غير كاملة، ومختصرا لكتاب(الفرق) لـ (قطرب) [١٧] فهي عبارة غير دقيقة بعدما أمست نسخة كاملة فيما سرد المحققان(الدكتور صبيح التميمي، الدكتور محمد علي الرديني)، بقولهما: (أما الآن، وبعد العثور على الكتاب فالحال غير هذه أو تلك ...)[١٨] وهما (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) كانا قد استعانا بالدكتور (عبدالتواب) في تحقيق العمل[١٩] أسوة بالدكتور (العطية) الذي استعان هو الآخر بالدكتور (عبدالتواب) مشرفا وناشرا للعمل ذاته[٢٠].

نقول: وتحقيق (الدكتور العطية)، ثم (الدكتور التيممي، الدكتور الرديني) أشبه بالتوأم في عملية الإنجاب، إلاّ أنا لمسنا من ملامح التشابه والتفريق في قراءة الطبعتين، نوجزها بالآتي:

١. اعتمد (الدكتور العطية) ثم (الدكتور التميمي) على ذات النسخة التي اعتمد عليها المستشرق (غاير)ّ وان اختلفت طريقة حصول الطرفين على هذهِ النسخة.

إذ حصل (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) على نسخة الفرق لـ(قطرب) عن طريق المصادفة، إذ صرحا في تصدير التحقيق

---

[١٦] ينظر: الأضداد (الدكتور حداد): ٢٠ .

[١٧] الفرق لقطرب (الدكتور العطية):٧ .

[١٨] نفسه: ٢٩ .

[١٩] ينظر: الفرق لقطرب (الدكتور التميمي والرديني):٦ .

[٢٠] ينظر: الفرق لقطرب:(الدكتور العطية): ٣٥ .

(وشاءت الظروف أن يقف الدكتور صبيح التميمي على النسخة الكاملة مصادفة عندما أرسل طلبا إلى مكتبة (فينا) للحصول على نسخة من مخطوطة (الفرق) للأصمعي أثناء تحقيقه له[٢١] وارسل له ضمن مجموع – من بينها هذا الكتاب..)[٢٢] أما (الدكتور العطية) فهو الآخر اعتمد على نسخة (غاير) إلاّ أنه ذكر في كيفية حصوله على النسحة، فهي مهداة من أخيه (جليل العطية) الذي (تكرّم بإهدائي مخطوطة الكتاب، بعد سعيه الدائب للظفربها، وحبب إلي العمل فيه، ...)[٢٣] من دون ذكر الجهة التي استطاع اخوه من خلالها الحصول هلى هذه النسخةّ! غير أنا وجدنا في تقديم كتاب (الوحوش) للأصمعي، بتحقيق (الدكتور جليل العطية)[٢٤] شقيق (الدكتور خليل العطية)، وحين تناوله التعريف بكتاب (الوحوش)، بقوله:

(وقد نشر هذا الكتاب أوّل مرة سنة ١٨٨٨م على يد المستشرق الألماني (غاير)، غير أن النسخة التي اعتمدت في التحقيق – هي نسخة فينا كانت ناقصة، ...)[٢٥] واذا ما علمنا أن هذا الكتاب (الوحوش) للأصمعي يقع في ضمن مجموعة محفوظة بمكتبة فينا

---

[٢١] الفرق للأصمعي حققه: الدكتور صبيح التميمي، ط بيروت: ١٩٨٧م.

[٢٢] الفرق لقطرب: (الدكتور التميمي، والرديني):٦.

[٢٣] الفرق في اللغة لقطرب: (الدكتور العطية):٣٥ .

[٢٤] الوحوش للأصمعي: (الدكتور جليل العطية) طذ عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

[٢٥] نفسه: ٦.

بـرقم(٣٥٥)، وهـي: خلـق الإنسـان للأصـمعي، والوحـوش للأصـمعي، والفـرق للأصــمعي، والفـرق لقطـرب، وفعـل أفعـل المجهـول، والأبـل للأصـمعي، والأضـداد للأصـمعي[٢٦] ممـا لا يـدع مجـالا للشـك بـأن (الدكتور العطية) أعتمد على النسخة من كتاب(الفرق) لقطرب التي تقع في ضمن هذه المجموعة التي حصل عليها أخوهُ (الدكتور جليل العطية) الذي أخذ يعمل على تحقيق (الوحوش) للأصمعي، وأهدى أخاه (الدكتور خليل العطيـة) مخطـوط (الفرق) ليعمل علـى تحقيقـه . ومـن هنـا يكـون الطرفان (الدكتور خليل العطيـة) ، (الـدكتور التميمـي، الـدكتور الرديني) إعتمدا على النسخة نفسها في ضمن مجموعة (فينا) برقم(٣٥٥)، أجريا عليها التحقيق!

٢. ذكــر (الــدكتور العطيــة): (يتــألف الأصــل المخطــوط مــن كتــاب (الفرق) من (٣٤) ورقة، ضمن مجموع مخطوط يحتوي علـى (١٧٣) ورقــة محفــوظ بفينــا تحــت رقــم(٣٥٥) بحجــم ٩،٥ فــي ٥،٥ جــلّ مخطوطاتــه للأصــمعي، وهــي: خلــق الإنســان والوحــوش، الفــرق، والابل، والاضداد، وكتاب الفرق لقطرب بعنوان (ماخالف فيه الإنسان البهيمة...)، وترتيبه قبل كتاب الاضداد، ومعدل سطور المجموع سنة عشـر سـطرا بمعـدل احـدى عشـرة كلمـة لكـل سـطر...)[٢٧] ووصـف

---

[٢٦] ينظر: كتـاب الفرق لقطـرب:(الـدكتور العطيـة): ٣٣/٣٢، كتـاب الفرق لقطـرب: (الـدكتور التميمـي والـدكتور الردينـي):٣٤/٣٣ والوحـوش للأصـمعي (الـدكتور جليـل العطية): ٢٤.

[٢٧] كتاب الفرق لقطرب:٣٣/٣٢ (الدكتور العطية): ٣٣/٣٢ .

(الدكتور العطية) هذه النسخة (ونسخة الكتاب فريدة لا أخت لها في العالم، وتبينت لي هذه الحقيقة بعد تقليب معظم فهارس المخطوطات)[٢٨] وتحولت مفردة (فريدة) إلى (نادرة) في تقديم تحقيق (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): بقولهما: (هي مخطوطة نادرة محفوظة بمكتبة فينا ضمن مجموع برقم (٣٥٥) يضم سبعة كتب، هي: خلق الإنسان[٢٩] للأصمعي والوحوش[٣٠] للأصمعي، والفرق[٣١] للأصمعي، الفرق لـ (قطرب)[٣٢] وفعل وأفعل لمجهول[٣٣]

---

[٢٨] نفسه: ٣٣.

[٢٩] خلق الإنسان للأصمعي، نشره هفنز في ضمن (الكنز اللغوي؟)، ط بيروت ٣-١٩ .

[٣٠] الوحوش للأصمعي، تحقيق الدكتور جليل العطية، ط عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، وقبل ذلك نشره المستشرق (جاير) أول مرة سنة ١٨٨٨م.

[٣١] الفرق للأصمعي، نشره المستشرق (مولر) في فينا سنة ١٨٧٦م ثم الدكتور صبيح التميمي في بيروت ١٩٨٧.

[٣٢] الفرق لقطرب: نشره (جاير) الألماني في ١٨٨٨م في مجلة SBWA (فينا) ثم حققه (الدكتور العطية) في ١٩٨٧ ثم (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) في ١٩٨٨ كما جاء في اسطار عملنا.

[٣٣] فعل وأفعل: نشره الاستاذ عبدالكريم الغرباوي كتابا منسوباُ الى الأصمعي في مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، الصادرة عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ٤/٤٦٧-٥٢٧ (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) وذلك اعتمادا على مخطوطتي دار الكتب المصرية بالقاهرة وهذا الكتاب ليس في الحقيقة للأصمعي وإنما هو لأبي جاسم البجستاني، وقد نشر بتحقيق الدكتور خليل إبراهيم

والإبل[٣٤] للأصمعي، والأضداد[٣٥] للأصمعي...)[٣٦] وقالا عن كتاب الفرق لقطرب: (هو الرابع من المجموع، ويقع في ٣٤ ورقة، وفي كل ورقة وجهان .... ما بين (١٥) الى (١٧) سطرا في الصفحة الواحدة، وفي كل سطر ما بين (٨) إلى (١٠) كلمات ....)[٣٧] .

٣. اعتمد (الدكتور العطية) في نشر الكتاب على (الدكتور رمضان عبدالتواب) الذي راجع الكتاب ثم (وتولى الإشراف على طبعه ونشره)[٣٨] كما كان (الدكتور عبدالتواب) له اليد الطولى على تحقيق العمل ذاته عند (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)، بقولهما: (حتى ألجأتنا الحاجة إلى الاستعانة باستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب لتوثيق جملة من الشواهد الشعرية، وتكرم مشكورا بتلبية طلبنا ..)[٣٩] .

العطية، وقدم له بدراسة مصححا نسبته إلى مؤلفه ونشره تحت عنوان: فعلتُ وأفعلت (البصرة -١٩٧٩م).

ينظر: الوحوش: ١٩ (للأصمعي) بتحقيق: الدكتور جليل العطية، عالم الكتب، بيروت: ١٩٨٩م.

[٣٤] الأضداد للأصمعي: (ضمن ثلاث كتب في الأضداد) ط بيروت: ١٩١٢م.

[٣٥] الفرق لقطرب ٣٤/٣٣ (بتحقيق التميمي والرديني).

[٣٦] نفسه: ٣٤ .

[٣٧] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٣٥.

[٣٨] الفرق لقطرب (الدكتور التميمي، والدكتور الرديني):٦ .

[٣٩] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٩ .

٤. قال(الدكتور العطية) في تصدير تحقيقه للمخطوط: (ينشر أول مرة، تاما كاملا)[٤٠] وقال (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): (نقدّمه الآن كاملا لأول مرة)[٤١] .

٥. ذكر (الدكتور عبدالتواب) في تقديم تحقيق (الدكتور العطية): (فهذا أول كتاب يصل إلينا في موضوع الفرق بين الإنسان والحيوان والطير، ...... وأقدمه على الاطلاق كتاب (قطرب) هذا ....)[٤٢] وذكر (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) مايشبه الذي قيل عن تحقيق(الدكتور العطية)، بالقول: (فهذا أول كتاب يصل إلنا من هذا النوع، وربما أول ما ألف في هذه الظاهرة هو كتاب (الفرق) لقطرب)[٤٣] .

٦. وفيما يخصّ عنوان المخطوط، فقد جاء في نشرته الأولى عند المستشرق (غاير) تحت عنوان (هذا ما قال قطرب في كتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها)[٤٤]غير أن(الدكتور العطية)التمس بعض الذرائع والأعذار لمخالفة هذا العنوان! وفي ذلك يقول: (دعتني دوافع عدة لترجيح تسمية الكتاب بـ (الفرق) من أنّ عنوانه

---

[٤٠] الفرق لقطرب (الدكتور التميمي، والدكتور الرديني):٦ .

[٤١] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٥.

[٤٢] الفرق لقطرب (الدكتور التميمي، والدكتور الرديني):٦ .

[٤٣] ينظر: الفرق لقطرب (الدكتور العطية) ٤١، والفرق لقطرب (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني):٣٥، وبهذا العنوان جاء في (تاريخ الأدب العربي (بروكلمان)) ١٤٠/٣.

[٤٤] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٣٣ .

(ما خالف الإنسان البهيمة ....، منها أنّ صاعدا قارى النسخة على شيخه أبي سعيد السيرافي قال: بدأ بقراءة هذا الكتاب كتاب الفرق ...)[٤٥] وهذا دليل راجح؛ لتأييد كونه (الفرق)، وأن تسميته (ما خالف الإنسان البهيمة) عنوان جانبي له نظائر في كتب الفرق الأُخر، ففي كتاب (الفرق) للأصمعي، وهذا (كتاب ماخالف الإنسان من البهائم والسباع عن الأصمعي)[٤٦] وفي كتاب(الفرق) لـ (ثابت)[٤٧] ابتداء كتاب الفرق: (ثابت بن ابي ثابت: هذا كتاب ما خالف فيه تسمية جوارح الإنسان جوارح ذوات الأربع من البهائم والسباع وغير ذلك)[٤٨] ومثل هذا مذكور في صدر كتاب(الفرق)[٤٩] لأحمد بن فارس[٥٠] ثم إجماع من ترجم لقطرب على تصنيفه كتابا باسم (الفرق)[٥١] وليس بالاسم الذي ورد في عنوان المخطوط – ينهض دليلا يزيد من قوة

---

[٤٥] نفسه: ٣٤/٣٣ .

[٤٦] نفسه: ٣٤ .

[٤٧] نفسه: ٣٤ .

[٤٨] حققه الدكتور رمضان عبد التواب، سلسلة روائع التراث اللغوي، ط الخانجي بالقارهرة، ودار الرفاعي، الرياض: ١٩٨٢.

[٤٩] قال أحمد بن فارس:(هذا كتاب الفرق بين الإنسان وغيره من الحيوان، ...) الغرق لابن فارس: ٥١.

[٥٠] ينظر: الفهرست:٧٨، وإنباه الرواة ٢٢٠/٣، معجم الأدباء ٥٣/١٩، ووفيات الأعيان ٣١٢/٤، والوافي بالوفيات ١٩/٥، ...).

[٥١] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٣٤ .

ما أوردنا من ذرائع في تسميته التي ارتضيناها)[٥٢] مضيفا (ويلوح لي أنّ الناسخ المجهول للأصل سها عن ذكره)[٥٣] ولا يختلف (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) فيما سرداه عن العنوان بكلام يشبه – غالبا – ما ردده (الدكتور العطية)! إذ نراهما على خلاف مع المستشرق(جاير)، بقولهما: (وهذا الافتتاح لم يكم عنوانا للكتاب، بل هو تعريف موجز له، وهو أمر تعارف عليه مؤلفو كتب الفرق)[٥٤] و(ما أثبت في حاشية الكتاب من رواته بإنّ هذا الكتاب كتاب الفرق)[٥٥] ثم (ما استهلت به كتب الفرق المعروفة، وهو ....)[٥٦] كما عن الأصمعي (ما خالف فيه الإنسان ذوات الاربع .....)[٥٧] وافتتاح الفرق لـ (ثابت): (هذا الكتاب ما خالف فيه تسمية جوارح الإنسان جوارح ذوات الأربع ....)[٥٨] وعند ابن فارس في كتابه الفرق: (هذا الكتاب في الفرق بين الإنسان وغيره من الحيوان)[٥٩] ثم (ولم يقل أحد أن أسماءها هي هذه العبارات بل هي كتب تحمل اسم (الفرق))[٦٠] ومما يحسب لـ (الدكتور التميمي، الدكتور

---

[٥٢] نفسه: ٣٤ .

[٥٣] كتاب الفرق لقطرب (الدكتور التميمي، و الدكتور الرديني): ٢٥ .

[٥٤] نفسه: ٢٦ .

[٥٥] نفسه: ٢٦.

[٥٦] نفسه: ٢٦، والفرق للأصمعي: ٦.

[٥٧] نفسه: ٢٦ .

[٥٨] نفسه: ٢٦، والفرق لابن فارس: ٥١ .

[٥٩] نفسه: ٢٦ .

[٦٠] نفسه: (العطية): ٢٩ .

الرديني) تحقيقهما كتاب (قطرب)، بعنوان (الفرق) كما هو سائر الكتب التي تحمل عنوان (الفرق)، مثل (الفرق للأصمعي) و(الفرق) لابن أبي ثابت، و(الفرق) لأحمد ابن فارس... الخ انا تذنيب وتذبيل العنوان بعبارة (من اللغة) ليصبح العنوان (الفرق في اللغة)، فلا ترى مبررا لهذه الزيادة! وكنا نود لو تذرع(الدكتور العطية) بحجة تساند هذه الإضافة على الأصل! وهو الذي استدل بذرائع شتى على أن العنوان (الفرق) لا غير – كما أسلفنا.

٧. ذكر(الدكتور العطية): (وثمة اتفاق بين كتاب (الفرق) لقطرب وكتاب ثابت بن أبي ثابت في (الفرق) ....)[٦١] ثم (ثم تتفق شواهدها الشعرية وسواها، والكثير من عبارتهما... وقد أشرنا الى جملة منه في الهوامش.. مما يدعو إلى الظن أن كتاب قطرب كان في جملة مصادر كتاب ثابت – وأن لم يُشر إليه)[٦٢] وقال(الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): (إنّ ثابتا قد جعل من مادة قطرب مصدرا رئيسا لكتابه – على الرغم من عدم إشارته إليه)[٦٣] و(الدكتور العطية) يشير إلى مواضع التشابه بين عمل قطرب وثابت في هامش النص المحقق[٦٤] وهي المواضع نفسها التي جاءت على شكل جدول في عمل (الدكتور

---

[٦١] نفسه: ٢٩.

[٦٢] نفسه: (التميمي والرديني): ٢٩.

[٦٣] نفسه: (العطية)، ينظر الهوامش: ٥١،٥٠،٤٩،٤٨،٤٧، .. ٦٤.،١٥١،٩٠، ... الخ.

[٦٤] نفسه: (التميم والرديني): ٣٠.

التميمي، الدكتور الرديني) بقولهما: (ويتضح اعتماد ثابت على قطرب من النصيين التاليين)[٦٥] واختار نصوصا من باب (الظفر)، وباب(الثدي)[٦٦] وهما نفس البابين بنصيهما من اختيار (الدكتور العطية)[٦٧] بما يشبه الطلع النضيد مضارعة ومتشابهة!

وذكر المحققان(الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): (ومثل هذا كثير جدا، ولولا مخافة الإطالة لذكرنا امثلة أخرى، مما تثبت بأدلة قاطعة أنّ ثابتا جعل كتاب قطرب قطب الرحى لكتابه)[٦٨] نقول: لا يستوجب في العمل العلمي اي مخافة أو تردد، فالدكتور (العطية) أشار إلى جملة ذلك بلا تردد أو مخافة في حاشية العمل المحقق من لدنه[٦٩] وله ريادة التنويه في الموازنة بين عمل(ثابت) التالي لعمل(قطرب)، وكأنهما صنوان، وعدت عملية تحقيق قطرب أيضا بما يشبه وضع التوأم حيت تلا عمل (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) عمل (الدكتور العطية) بما يشبه التؤام إلا في مواضع زاد هذا وسقط من ذاك من تسوية البنان!.

٨. وفي هذه الفقرة يمكن سرد ما وقع من خلاف يسير نتيجة السهو لا الاجتهاد والمتابعة عند هذا الطرف أو ذاك بما يميز هذا على ذاك

---

(٦٥) نفسه: ٣٠ .

(٦٦) نفسه: (العطية) ٥٢/٤٩ .

(٦٧) نفسه: (التميم والرديني): ٣١.

(٦٨) نفسه: (العطية): ٤٥، ٤٦، ٤٧, ٤٨، إلى آخر صفحات الكتاب (صفحة ١٨٨).

(٦٩) ينظر: مجلة المورد، العراق، بغداد، مج٢ ع١ – ١٩٨٤م، ونصوص محققة في النحو واللغة: ٢١ (الدكتور حاتم الضامن).

أحيانا أو بالعكس من دون تقديم عبارة عند هذا أو تقديمها عند ذلك أو تذكيرها أو شكلها، واشياء أخرى نعرضها كالاتي:

أولا: مال (الدكتور العطية) في تثبيت وفاة قطرب إلى سنة (٢١٠ هـ)، نقلا – في ظل الأمانة العلمية – عما توصل إليه (الدكتور حاتم الضامن) الذي تتبع المسألة في المطبوع والمخطوط ، ليقول(الدكتور العطية) عن وفاة قطرب: (أما وفاته فقد أجمع من ترجم له أنها كانت سنة ٢٠٦ هـ) ببغداد، بيد أن المخطوطة التي نشرها (الدكتور حاتم الضامن) لكتاب (الأزمنة) لقطرب في مجلة المورد[٧٠] تدل على أن وفاته نيفت الى سنة ٢١٠ هـ)[٧١] وهي السنة التي ثبتها (الدكتور العطية) على الغلاف الخارجي في تحقيقه كتاب (الفرق) لقطرب[٧٢] وفي متن التحقيق ايضا[٧٣] إلاّ أن هذه الوفاة أصيبت بإرباك على الغلاف الخارجي / وفي متن تحقيق (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)[٧٤] إذ المثبت على الغلاف الخارجي لطبعة (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) هي سنة ٢٠٦هـ بعبارة المتوفي سنة (٢٠٦ هـ)[٧٥] وصواب العبارة (المتوفى لا المتوفي) بألف مقصورة

---

[٧٠] الفرق (لقطرب): العطية: ١٣ .

[٧١] نفسه (العطية) صورة الغلاف، ط الثقافة الدينية، بمراجعة: الدكتور رمضان عبد التواب، ط ،:١٩٨٧م.

[٧٢] نفسه: ١٣، ٢٤ .

[٧٣] نفسه (التميمي والرديني) صورة الغلاف، مؤسسة الأشرف / ط ٢، بيروت: ١٩٩٥، الوفاة (٢٠٦هـ).

[٧٤] نفسه، ط بيروت: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م (الوفاة ٣٠٦هـ)– نظنّ سهوا من الطباعة.

[٧٥] نفسه: ١٦ .

لا باليـاء المثنـاة! وفـي موضـع مـن المـتن(٢١٠هـ)[٧٦] وفـي موضـع آخـر (ت بعـد ٢١٠هـ)[٧٧] مـن دون مناقشـة هـذا التذبـذب فـي تعـدد الوفيـات أو استساغة(٢٠٦هـ) التي أُثبتت على غلاف الطبعة[٧٨] .

نقـول: والغريـب فـوات(الـدكتور العطيـة) و(الـدكتور التميمـي، الـدكتور الردينـي) سـنة (٢٢٦هـ) وفـاةً لـ(قطـرب) . إذ ذكـر (الـدكتور حنـا حـداد): (وام تحـدثنا مظـان ترجمتـه بشـيءٍ عـن مولـده ونشـأته الأولـى، غيـر أن هـذه المظان كلّها أجمعت على أن وفاته كانت سنة(٢٠٦هـ)، فلم نجد واحداً ممن ترجموا للرجل – أي قطرب _ أو عرفوا بـه يقول غير هذا)[٧٩] مضيفا(غير أني وقفت على إشارتين تصلحان لتشكيك بهذا التاريخ وتنفيانـه / وأول هاتين الإشارتين جاءت في بعض النسخ الخطية لكتاب(البلغة في تاريخ أئمة اللغة) للفيرزآبادي الذي حققه محمد المصري[٨٠] ونشرته وزارة الثقافة السورية سنة

---

[٧٦] نفسـه: ٢١، وفـي المثلـث لقطـرب (ت بعـد (٢١٠هـ): ٢١ (الـدكتور عـدنان عبدالخطيب)، ط دمشق: ٢٠١٦ (الغلاف).

[٧٧] في ط٢، ١٩٩٢م تم تصحيح الوفاة إلى(٢٠٦هـ) بدل(٣٠٦ هـ) التي جاءت في ط١، ١٩٨٨م .

[٧٨] شرح مثلثات قطرب (الفيرزآبادي): ١٦ .

[٧٩] هناك تحقيق آخر لكتاب الفيرزآبادي (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)، تحقيق: يوسف هبود، لم يشر إلى ما أشار إليه الدكتور حنا حداد والأطرف أنّ القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) تفرّد بذكر سنة(٢٠٢هـ) سنة وفاة قطرب، وهو أمر مستبعد لا يعضده أدنى دليل (ينظر: البلغة في أصول اللغة: ٣٠٤، تحقيق: نذير مكتبي/ ط بيروت: ١٩٨٨م .

[٨٠] هي نسخة المكتبة الأصفية بحيدر آباد برقم (٥٩) (البلغة: ٤٨).

١٩٧٢م، فقد جاء في واحدة من النسخ[٨١] التي قابل عليها المحقق مخطوطة الكتاب عند الحديث عن قطرب أن وفاته كانت سنة ٢٢٦هـ، كما جاء في نسخة ثانية[٨٢] من النسخ المقابلة أن وفاته (٢٦٠هـ)، غير أن محقق الكتاب لم يأخذ بأي من التاريخين اعتمادا على إطراد تاريخ وقاته وإجماع الذين ترجموا على انّ وفاته كانت سنة ٢٠٦هـ، فأثبته في ترجمته كما وجدته في المظان)[٨٣] وعن المحقق: محمد المصري (وفاته في (ب): سنة ٢٦٠هـ وفي (أ) ست وعشرين)[٨٤] إلا أنه قال: (وكلاهما تصحيف، والتصحيح من المصادر)[٨٥] غير أن (الدكتور حنا حداد)، وقد وجد في سنة (٢٢٦هـ) إشارة جديرة بالتنويه، بقوله: (أما ثاني الإشارتين ,أجدرهما بالأخذ فهي التي جاءت في مقدمة كتاب (الأزمنة وتلبية الجاهلية)على لسان محمد ابن الجهم السمري أحد تلاميذ قطرب حين قال: (أملى علينا أبو علي قطرب محمد بن المستنير هذا الكتاب سنة عشر ومائتين)[٨٦] مضيفا(فإذا صح أن قطربا كان حيا سنة ٢١٠ هـ، وأنه كان يملي على تلاميذه كتبه في ذلك التاريخ، أصبح من المقبول أن يكون تاريخ وفاته هو سنة ٢٢٦هـ، أو بعد ذلك كما جاء في بعض نسخ كتاب (البلغة في تاريخ أئمة اللغة) السابق

---

[٨١] هي نسخة مكتبة برلين برقم (١٠٠٦٠) (البلغة: ٤٨).

[٨٢] شرح مثلثات قطرب (الفيروز آبادي): ١٦٠ .

[٨٣] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٢٨٤ (الهامش:٤).

[٨٤] نفسه: ٢٨٤ (الهامش: ٤)

[٨٥] شرح مثلثات قطرب (الفيروز آبادي): ١٦٠، وكتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٨٤ .

[٨٦] شرح مثلثات قطرب (الفيوز آبادي): ١٦٠ .

ذكره)[٨٧] وقد أستأنس بعض الباحثين ممن درس قطربا- بقبول سنة ٢٢٦هـ، وفاةً لقطرب، وعدّها أقرب للصواب، بالقول: (فتكون السنة التي ذكرها الفيروآبادي في البلغة، وهي سنة ست وعشرين ومئتين هي أقرب إلى الصواب والله أعلم)[٨٨] نقول: إذا سلمنا في ضوء هذا المنطق والعقل – بسنة ٢٢٦هـ وفاة لقطرب، فهنا يجب التسليم بأنّ (أبا زياد الكلابي ت٢١٠ هـ)، أي المتوفى قبل قطرب، وهو أوّل من بين من صنفوا في (الفرق)[٨٩] هو من صنّف في هذا الباب أو الظاهرة، وهو أول كتاب وصل إلينا في الباب نفسه. غير أن إشكالا آخر قد يحصل مستقبلاً عَمَّا فات أهل التحقيق – إذا ما علمنا أن مصادر قد سمّى كتاب أبي زياد الكلابي بـ (الفروق)[٩٠] نقول: ليس كلّ ما ورد تحت مسمّى (الفروق) يشترط أن

---

[٨٧] جهود قطرب في معاني القرآن وإعرابه: ١٩، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة تكريت: ٢٠٠٨م، للباحث: خضير حسين صالح محمد الجبوري.

والجهود نفسها حققت تحت عنوان(معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه) – بعد العثور على المخطوط لـ (قطرب) دراسة وتحقيق: محمد لقريز، توصل الباحث إلى القول (إذن، قطرب كان حيّا في سنة ٢١٤هـ) ص٧٦ (أطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية – الجزائر: ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

[٨٨] ينظر: إنباه الرواة ١٢١/٤.

[٨٩] ينظر: خِزانة الأدب ١١٩/٣، والفروق لإبي جعفر البرقي كمالا في معجم الأدباء ٣١/١ .

[٩٠] ينظر: الفرق في اللغة لـ(قطرب)، (العطية): ٢٤-٢٨، بتحقيق: (التيممي والرديني) ٢١-٢٤.

يكون كتابا في (الفرق) أي في مسميات أعضاء الإنسان بما يقابلها من أعضاء البهائم كما أسلف أهل التحقيق[٩١] إذ وردت رسالة تحت عنوان(الفروق)، تناولت المؤنثات السماعية لا مسميات أعضاء الإنسان والبهائم، وهي الرسالة التي صنّفها (نورالدين نعمة الحسيني الجزائري، ونشرها المستشرق(الدكتور أوغست هنفر)[٩٢] وهذا الإشكال يظلّ قائما حتى يفصح كتاب (فروق أبي زياد الكلابي) عن نفسه ويحيط عن الإشكال الحاصل ولا ندري أين أنزوى؟ وهل تصله يد التحقيق؟ نأمل ذلك.

ثانيا: ذكر (الدكتور صبيح التميمي، الدكتور محمد علي الرديني)، وتحت عنوان(تراث الفراق)، وفي مقدمة القائمة(ابي زياد الكلابي(ت بحدود ٢١٠هت))[٩٣] نقلا عن (ترجمته في إنباه الرواة ١٢١/٣) ذكر ذلك في الفهرست:٧٣)[٩٤] وهنا حدث سهو في النقل من جهتين:

الأولى: جاءت ترجمة أبي زياد في (١٢١/٤) في إنباه الرواة لا في (١٢١/٣) .

الثانية: ما ذكره المحققان عن وفاة أبي زياد الكلابي (ت بحدود ٢١٠هـ)[٩٥]، وفي إشارة إلى (إنباه الرواة والفهرست)! نقول: بأن المصدرين المذكورين لم يتطرقا من قريب أو بعيد إلى وفاة (أبي زياد الكلابي)!

---

(٩١) البلغة في شذور اللغة: ١٥٤ (نشرة: أوغشت هفنر)، ط بيروت: ١٩١٤م.

(٩٢) الفرق (لقطرب) الدكتور التميمي والرديني: ٢١.

(٩٣) نفسه: ٢١ .

(٩٤) نفسه: ٢١ .

(٩٥) نفسه: ٢١، والفرق لابن فارس(الدكتور رمضان عبد التواب): ٤٠-٤٣.

ثم كان(الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)، قد استفادا من قائمة (الدكتور رمضان عبدالتواب)، بقولهما: (ومن المؤلفين الذين احصاهم الدكتور رمضان عبدالتواب في مقدمة(فرق ابن فارس)[٩٦] وما وقفنا عليه رتبنا القائمة التالية، وهي:

١- أبو زياد الكلابي (ت بحدود ٢١٠هـ)

ترجمته في إنباه الرواة ٤/١٢١. ذكر ذلك في الفهرست: ٧٣[٩٧]

نقول: حبذ لو تاسوا بقائمة الدكتور رمضان عبدالتواب الذي ذكر أبا زياد الكلابي من دون الإشارة إلى وفاته، إذ الوارد في تلك القائمة: (أبو زياد الكلابي، يزيد بن عبدالله بن الحر (كان في أيام الخليفة العباسي المهدي – انظر ترجمته في: إنباه الرواة ٤/١٢١): ذكر ذلك في الفهرست: ٧٣، ..)[٩٨].

نقول: أما الذي بحث في وفاة أبي زياد الكلابي، وعزّز الاستدلال والبحث فيها، فهو (الدكتور خليل العطية) في دراسة بعنوان (أبو زياد الكلابي وكتابه النوادر)، بقوله: (أما وفاته فإنّ احداً لم يشر إليها ممن ترجم له من الأقدمين، وافترض الزركلي أنها كانت نحو ٢٠٠هـ، وهو نص الدكتور حسين نصار إنها كانت ٢١٥هـ،، وهو لم يذكر مظنته . ويبدو أنها كانت بين

---

[٩٦] نفسه: ٢١ .

[٩٧] الفر ق لابن فارس (الدكتور رمضان عبدالتواب):٤٠ .

[٩٨] مجلة المورد، مج ٩، العدد(٣) /١٩٨٠م، بغداد (ابو زياد الكلابي وكتابه النوادر)، الدكتور خليل العطية / ص٣٩.

التاريخين إذا ما علمنا أنه نزل بغداد أيام المهدي الذي دامت خلافته بين ١٥٨هـ - ١٦٩هـ)، وصدّقنا إقامته ببغداد أربعين سنة. أما مكانها فقد كان ببغداد)[٩٩] وفي خضم المناقشة والمقامشة، يهتدي الدكتور العطية إلى (٢١٠هـ)، لاختيار سنة وفاة أبي زياد الكلابي فيقدّم – في ضوء هذا أبازياد – ليكون في مقدمة من صنّفوا في (الفرق)[١٠٠] وفي هذا الاختيار حجة داحضة على من لا حجة له!

٩. إذا كان اعتماد (الدكتور العطية) ثم (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) على نسخة واحدة يتيمة – لا أُخت لها، وهي تلك التي نشرها المستشرق (غاير)، أو بالأخرى نشر أجزاءً منها لا كلّها[١٠١] إلاّ أنّ ما يحسب في ميزان تتبع (الدكتور العطية) أنه جهد أو كان بجهد في المتابعة وغربلة الخزائن المعرفية تفتيشا وتقميشا، حتى قال: (ونسخة الكتاب فريدة لا أخت لها في العالم، وتبينّت لي هذه الحقيقة بعد تقليب معظم فهارس المخطوطات)[١٠٢] ثم نجده قد تابع المسألة عند من تناول هذا المخطوط(الفرق) لـ (لقطرب) وأعني الاستاذ ميخائيل عواد، فعلّق على ذلك – نسخة ميخائيل عواد – بقوله: (أشار إليها ميخائيل في المورد[١٠٣] فقد بان لي عند الفحص أنها منسوخة عن

---

[٩٩] ينظر: الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٢٤ .

[١٠٠] نفسه: ٣٠ .

[١٠١] نفسه: ٣٣ .

[١٠٢] ينظر: المورد / مج ١٣ / العدد(٢) /١٩٨٤م، بغداد .

[١٠٣] الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٣٣.

الجزء اليسير المطبوع بعناية (غاير) المنشور بفينا ١٨٨٨م، وقد كتبت هذه النسخة المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا لكلية الأداب في بغداد تحت رقم(٩٩٢) سنة ١٣٢٤هـ بخط السيد محمد السعيد ابن السيد عبدالغني الراوي)[١٠٤] مضيفا (لذلك لم أجد فائدة من الإشارة إليها، بعد أن تبيّن لي أنّ الناسخ نقل القطعة المطبوعة بقضّها وقضيضها)[١٠٥].

١٠. وفي ما جاء من (تراث الفرق)، فقد احصى الدكتور رمضان عبد التواب أربعة عشر مؤلفا في (الفرق) [١٠٦] في ضمن مقدمة كتاب (الفرق) لأحمد بن فارس، الصمادر في القاهرة ١٩٨٢/ بتحقيقهِ، وهو أتم احصاء حتى ظهور الكتاب الملمع إليه)[١٠٧] ثم أردف (الدكتور العطية) قوله: (وقد تسنى لي بحمد الله في هذا الاحصاء إضافة ستة في الباب نفسه، لم يذكرهم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب)[١٠٨] وما استدركه (الدكتور العطية) على ما احصاه (الدكتور عبد التواب) من كتب (الفرق)، فهي كتب (الفرق) لـ (أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري ت ٣٢٩ هـ و(ابي الطيب اللغوي ت ٣٥١هـ) و (ابن جني ت ٣٩٢هـ)، (أحمد بن أبراهيم معلى ت (؟)) و (ابي موسى

---

[١٠٤] نفسه: ٣٣ .

[١٠٥] ينظر: الفرق لابن فارس(الدكتور رمضان عبد التواب): ٤- ٤٣ .

[١٠٦] الفرق لقطرب (الدكتور العطية) ٢٣-٢٤.

[١٠٧] نفسه: ٢٤ .

[١٠٨] نفسه: ٢٦، ٢٧، ٢٨.

الضرير البغدادي (؟))، و (أبي جعفر البرقي(؟))[١٠٩] أما (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)، فهما وقفا على تصانيف في (الفرق) رتباها مع ما أحصاه الدكتور رمضان عبد التواب، بالقول: (ومن المؤلفين الذين أحصاهم الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمة (فرق بن فارس)، ومما وقفنا عليه رتبنا القائمة التالية، وهي كتب أبي زياد الكلابي، وقطرب، ......)[١١٠] ثم قالا: (بهذا نكون قد اضفنا على قائمة الدكتور رمضان عبد التواب خمسة مؤلفين، وهم: (الجاحظ، وثعلب،, احمد بن معلى،, ابو الطيب اللغوي،, ابن جني)[١١١] والأسماء الثلاثة الاخيرة جاء ذكرها عند (الدكتور العطية) في ضمن إضافته إلى قائمة (الدكتور رمضان عبد التواب) – كما سلف – إلاّ أنّ (الدكتور العطية) فاته ذكر (الجاحظ، وثعلب) في ضمن قائمته، كم فات (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) ذكر (المنذري، والضرير، والبغدادي، والبرقي) في القائمة التي رتباها، وهم ممن اضافهم(الدكتور العطية) إلى قائمتهّ ، وهذا يعني أن عدد تصانيف (الفرق) هو (٢٢) تصنيفا لا (١٥) تصنيفا كما جاء في قائمة (الدكتور رمضان عبد التواب)[١١٢]، ولا (٢٠) تصنيفا كما جاء في قائمة (الدكتور

---

[١٠٩] الفرق لقطرب (الدكتور التميمي والرديني): ٢١–٢٢.

[١١٠] نفسه: ٢٤ .

[١١١] ينظر: الفرق لابن فارس(الدكتور رمضان عبد التواب): ٤٠– ٤٣

[١١٢] ينظر: الفرق لقطرب (الدكتور العطية)

العطية)[١١٣] ولا (١٩) تصنيفا كما جاء في قائمة (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)[١١٤] ولكلّ بصمته في التتبع والإضافة، والشيئ بالشيء يذكر.

وصف المخطوط ومنهج المحقق:

سلف القول: إنّ المستشرق (غاير) لم بفصح عن منهجه في نشر (الفرق) لـ (قطرب) / ولم يأتِ بوصف النسخة التي اجتزأها أو اختصرها من حيث حجم الصفحات أو عدد السطور أو عدد الكلمات في كل سطر.. ويبدو لنا إنّ المستشرق (غاير)، كان يهدف من هذا الاجتزاء هو التعريف بالكتب وأبوابه لا إخراج او تحقيق الكتاب كاملا، وقد يكون هذا الأسلوب ميزة شائعة وخاصة به، والذي يدفعنا إلى مايشبه الجزم في هذا الجانب، وهو انّ المستشرق (غاير) الذي وُصفَ عمله في نشر(الفرق) لـ (قطرب) بإنه نشر مختصرا للكتاب[١١٥] أو هو الجزء الصغير من الكتاب[١١٦] أو (قطعة يسيرة)[١١٧] أو مختارات يسيرة في اثنتي عشرة صفحة من كتاب قطرب في (الفرق)[١١٨] والذي يؤيد مذهبنا في (غاير) ولعه بالمختصرات، إذ نجده فعل الأسلوب نفسه في نشر كتاب الوحوش للأصمعي، إذ نشر صفحات من

---

[١١٣] نفسه: (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني):٢١-٢٤

[١١٤] نفسه (الدكتور العطية):٧

[١١٥] نفسه (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني):٢٥

[١١٦] نفسه (الدكتور العطية): ٣٠

[١١٧] نفسه: ٣٣

[١١٨] الوحوش:٦(التقديم)بتحقيق: الدكتور جليل العطية، ط بيروت: ١٩٨٩م.

الكتاب لا الكتاب كله، وفي ذلك يقول محقق كتاب الوحوش للأصمعي: (وقد نشر هذا الكتاب أول مرة سنة ١٨٨٨م على يد المستشرق الألماني (جاير)[١١٩] وذلك في مجلة المستشرقين الألمان SBWA (١١٥/٤٥٣-١٤٢٠، معتمدا في ذلك على نسخة واحدة هي ذات الرقم ٣٥٥ فينا، غير أنها ناقصة في مواضع كثيرة، ..)[١٢٠] ولهذا (جاءت النشرة مبتسرة)[١٢١] نقول: وهذا الابتسار، أو النقص الذي يقال عنهما، هما في الحقيقة دلالة واضحة على أنّ (غاير) كان ينبغي التعريف بالعمل وأبوابه اسوة بما فعل في تحقيق (الفرق) لـ (قطرب) حين أجتزأ من المخطوط – كما أسلفنا – غير انّ من جاء بعد (غاير) أخذ على عاتقه قراءة المخطوط كله لإخراج العمل كاملا، ومن هنا يتضح التباين وبرز النقد لمن لم يمحص دقة المتابعة والمقابلة .

وعودا على بدء،نقول: إنّ (الدكتور العطية)، قد وفرّ علينا العناء، وأختصر المسافة في التعريف بعمل (غاير) أو (جاير)، إذ وصف عمله بالاجتزاء وعدم الاكتمال أو نسخة عسيرة وفريدة في آن معا ! ثم اعتماد (غاير) على اختيارت مع خلو النسخة من العنوانات الجانبية أو الفرعية – داخل المتن فاختار (غاير) عنوانات لاختياراته، وبذل جهدا في ضبط النصّ لسدّ الخروم التي حصلت في مواضع شتى في نسخته المعتمدة[١٢٢]

---

[١١٩] نفسه:٦

[١٢٠] نفسه:٦

[١٢١] يتطر: الفرق لقطرب (الدكتور العطية): ٣٢

[١٢٢] نفسه: ٣٥/٣٤.

أمـا (الـدكتور العطيـة) فقـط وصـف المحقـق، بقولـه: (كـان مـن وكدي اخراج كتاب (الفرق) على وفق ما أرادهُ مصنفه (قطرب)، . وقد عمـدت إلـى اصـله فخرَّجْتُ – مـا أمكـن – مـن مسـائلة وابياتـه وأمثالـه، وعرضت محتوياته على ما طبع من كتب الفرق، وأفادتني نشرة الدكتور حـاتم الضـامن لكتـاب (ثابـت)، ونشـرة الـدكتور رمضـان عبـد التـواب لكتـاب (الفـرق) لابـن فـارس الكثيـر، كـان لمعجمـات العربيـة مـن نحـو: لسـان العـرب والمخصـص ومـا إليهمـا الـدور الجلـيّ فـي تبيـان الصـواب، وتطلب الضبط، وبيان المقتبس منـه – وبقيت مسائل احتاجت إلـى مزيد مـن المصـادر والمراجـع للبـتّ فـي أمرهـا، فـي مكـان عـزّت فيـه المطبوعات العربية. ثم كان لي إيراد طائفة يسيرة من المسائل التي وجدتها معزّوة للمصنف في باب (الفرق) جعلتها تذنبيا لـه وذيـلا، علـى أمـل ان تكـون سـقطت مـن الأصـل، أو كانـت مسـائل أوردهـا (قطـرب) فـي كتـاب (الصـفات) أو سـواه مـن مصـنفاته[١٢٣] والطريـف ألأ نـتلمس إشـارات بائنـة فـي مـنهج تحقيـق العمـل ذاتـه (الفـرق لقطـرب) عنـد (الـدكتور التميمـي، الـدكتور الردينـي) إلاعبـارة (أمّـا الأبـواب فقد خلـت مـن العنـاوين، لذا اجتهدنا في وضع مسمّيات لها كما هو معروف)[١٢٤] والتقى المحققان بوصـف مـنهج(قطـرب) فـي (الفـرق) علـى شـاكله (هَدَفُـهُ)[١٢٥] و(المـنهج

---

[١٢٣] نفسه: (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): ٣٤.

[١٢٤] نفسه:٢٧.

[١٢٥] نفسه:٢٧.

العام) [١٢٦] و (أبرز معالم المنهج الداخلي)[١٢٧] ثم (أما منهجية قطرب في كل باب، فهو ...)[١٢٨] ثم (ونعود الى حديثنا عن أبرز معالم المنهج الداخلي في ذكر المادة، وهي....)[١٢٩] وكان الأولى من كل هذا – أو إضافة عليه لو سرد المحققان منهج تحقيقهما للمخطوط الذي غاب تماما عن العمل ! إلاّ أن (الدكتور العطية)، يكون قد أغنى المتلقي، ,وأثرى هذا الجانب وهو ما لمعنا إليه في الفقرة الثالثة في ضمن (المخطوط بين النقد والتحقيق) فلا مدعاة للإعادة.

أما الفهارس الفنية، فقد جاء ترتيبها ووضعها عند (الدكتور العطية) كالآتي: (الآيات القرآنية، والأحاديث والأثر، والأمثال، والأقوال، والأعلام، واللغات، والقوافي)[١٣٠] وهي الفهارس نفسها في تحقيق (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني، إلا في استبدالها عبارة (القوافي) بـ (الأشعار)، وعبارة (اللغات) بـ(لهجات القبائل)[١٣١] .

بين الطبعتين:

قبل كلّ شيء جاء في الهامش(١) ص٦ (مقدمة الدكتور التيممي، الدكتور الرديني): (أنهي تحقيق هذا الكتاب في الوقت الذي أنهى فيه الأخ

---

[١٢٦] نفسه:٢٨.

[١٢٧] نفسه:٢٨.

[١٢٨] نفسه:٣١.

[١٢٩] نفسه: (الدكتور العطية): ١٩٥

[١٣٠] نفسه: (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): ٢٢٠، ٢٢٣.

[١٣١] نفسه: ٦.

الاستاذ الدكتور خليل العطية تحقيقه أيضاً – وهو على علم بذلك – وأرسلا الى المطابع وقدر لكتابه أن يخرج رائدا)[١٣٢] وأقرّ (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) في الطبعة الثانية (١٩٩٢) [١٣٣] إذ صدرت الطبعة الأولى في ١٩٨٨م، أي بعد طبعة (الدكتور العطية) بعام[١٣٤] وحريّ بالذكر أن (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)، قد أصيبا بذهول ,ارباك أزاء ما حدث لطيعة عملهما، ولمعا إلى ذلك في (ط٢: ١٩٩٢م) حين التقديم بالقول: (قبل أن نختم لا بدّ لنا أن نشير إلى أنّ هذا الكتاب قد مرّ بمسيرة طباعية مؤلمة، فبعد أن تأخر في الجزائر باحدى مطابعها، تسلّمتهُ دار الغرب الإسلامي ببيروت، ورقد أكثر من سنة، ومن ثم أتفقنا مع دار الأشرف فطبعه بعد سنة ونصف دون أن يشركنا في تصحيحه، وإذا به نسخة تستحق الحرق، فقد ضمّت أكثر من خمسمائة موضع مابين تحريف، أو تصحيف، أو سقط أو تقديم أو تأخير، بالإضافة إلى إسقاط الفهارس الفنية للكتاب،/ ممّا اضطررنا إلى ايقاف توزيعه)[١٣٥] وهذا الاتهام لدار الطبع رفضته الدار التي وجدت نفسها أزاء نسختين من عمل(الدكتور التميمي، الدكتور الرديني)، فردّت عليهما (تبدو عبارة المحققين قاسية إلى حدّ ما لمجافاتها الدقة. إذ أن الأمر ليس على ما ذهبا إليه. ففي القوت الذي استلمت فيه دار الاشرف النسخة

---

[١٣٢] نفسه، ط ٢، مؤسسة الأشرف، بيروت: ١٩٩٥م.

[١٣٣] نفسه، ط ١، بيروت: ١٩٨٨م، وصدرت ط١(الدكتور العطية) عن مكتبة الثقافة الدينية: ١٩٨٧م.

[١٣٤] نفسه: (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): ٧ (المقدمة).

[١٣٥] نفسه: ٧ (المقدمة).

المعدّلة كان هناك نسخة أخرى يفترض أنها جاهزة للطبع لدى دار الغرب الإسلامي كلفنا ايضا بسحبها بحيث اصبح لدينا نسختان سلمنا أحداهما للطبع دون أن نعلم أيهما الأصح وكانت نسخة دار الغرب وهي تلك المعنية بكلام المحققين فاشتركنا جميعا في الخطا وبشكل عفوي)[١٣٦] وهو أمر قاد أحد الباحثين إلى الاستغراب من وجود سنة(٣٠٦هـ) ست وثلثمائة وفاةً لقطرب، وهي التي عدّلت إلى (٢٠٦هـ) ست ومائتان في الطبعة اللاحقة[١٣٧].

وفيما يتعلق بالطبعتين:نرمز لطبعة (الدكتور العطية) بـ(ع)، ولطبعة (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) بـ (ت)، ونرمز للصفحة بـ (ص)، ونقول: قام(ت) بتقسيم كتاب(الفرق) لـ (لقطرب) الى ٢٤ بابا، بالقول: (نظمّ قطرب مادة كتابه في أربعة وعشرين بابا رئيسا، وهي (الفم، الشفة، الأنف، الصدر، الثدي، فرج الرجل، فرج المرأة، الدبر، المخاط، البصاق، العرق، الجلوس، خروج، الريح، قضاء الحاجة، الغلمة . النكاح، الحمل، الولادة، واسماء الأولاد، الجماعة، الأصوات، الزجر، الموت، من خشاش الأرض)[١٣٨] غير انّ (الدكتور العطية) كان قد قلّص هذه الأبواب إلى

---

[١٣٦] ينظر: ألفاظ خلق الحيوان من ذوات الظلف في كتاب الفرق لقطرب (ت ٢١٠هـ) – دراسة دلالية– أطروحة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة الموصل: ٢٠١٦/ للباحث: صلاح الدين سليم محمد، ص٦.

[١٣٧] الفرق لقطرب: (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني): ٢٧.

[١٣٨] نفسه: (الدكتور العطية): ٤٥.

(١٨ بابا، فهو جمع بابي (الفم والشفة)تحت باب(الفم) [١٣٩] وبابي (فرج الرجل والمرأة) تحت باب (الفرج)[١٤٠] وسُمي باب(قضاء الحاجة) بـ(الغائط)[١٤١] أما باب(من خشاش الأرض)[١٤٢] عند (الدكتور التميمي، الدكتور الرديني) فهو مدرج تحت باب(الموت)[١٤٣] عند (الدكتور العطية).

والآن نودّ الإشارة إلى ما جاء في متن التحقيق(النصّ المحقق) من خلاف على الرغم من اعتماد الطرفين على مخطوط يتيم حصلا عليه كلّ بطريقته كما ألمعنا لذلك .

- (ع) ص٤٥ (قال الفقيه أحمد بن سعد بن شاهين)
- (ت) ص٤١ (قال الفقيه أحمد بن شاهين) من غير (سعد)
- (ع) ص٤٦ (...... الصُّفارا) بضم الصاد
- (ت) ص٤٣ (........ الصَّفارا) بفتح الصاد
- وفي حشاية (ت) ص٤٣ (والصفار: يبيس البهمى وله شوك يعلق بجحافل الخيل).

نقول: وفي اللساة ٣٥٨/٧، ٣٦٢، جاء (الصفار) بضم الصاد وبفتحها بالمعنى نفسه.

---

(١٣٩) نفسه: ٥٤.

(١٤٠) نفسه: ٦٩.

(١٤١) الفرق لقطرب (الدكتور التميمي والرديني): ٢١٦.

(١٤٢) نفسه (الدكتور العطية): ١٨٥.

(١٤٣) نفسه (الدكتور العطية): ١٨٥.

- (ت) ص٤٤ (والراعف: الأنف)، وفي(ع) ص٤٧ لم ترد هذه العبارة.
- (ع) ص٤٨ (والهرثمة: سويداء عند أنفه كأنهّا جُعَل)
- (ت) ص٤٥ (والعرتمة: سويداء عند أنفه كأنهّا جُعَل)
- (ع) ص٤٨ (وقالوا: العوتمة والهرثمة: مقدم أنف الكلب)
- (ت) ص٤٥(وقالوا: العرتمة والهرثمة: مقدم أنف الكلب)

نقول: الصواب (العرتمة) بالراء لا بالواو، إذ وردت مادة (عرتم) بالراء في الصحاح ٤/١٦٠٨ –١٦٠٩ (مقدّم الأنف، عن يعقوب: كان ذلك على رغم عرتمته، اي على رغم أنفه، وهي العرتبة بالباء، وربما جاء بالثاء، وليس بالعالي)

- (ع)ص١٤ (وقالوا: فنطيسة الخنزيز) وفي(ت) ص٤٦ (وقالوا: قنبيعة الخنزيز، وقنبعته، ...)

نقول: سقطت عبارة (قنبيعة) في (ع) ص٤٨

- (ع) ص٤٩ (ويقال له ...)، وفي (ت) ص٤٧ (ويقل له:) – ربمّا خطأً طباعي –
- (ع) ص٥٠ (وهو البُرثن لا ضفر له)– بالضاد – وفي(ت) ص٤٨ (وهو البُرثن لا ظفر له) – بالظاء–
- (ع) ص٥١ (والكِركرة: ترحى الزّور) – ربما خطأ مطبعي – وفي (ت) ص٤٩–٥٠ (الكِركرة: رحا الزور)، نقول: وفي الصحاح ٢/ ٦٨٨ (الكِركرة: رحا الزور)

- (ع) ص٥٢ (حَوصلة، وحَوصلة، وحَوصلاء) بفتح الحاء في كلّها.
- (ت) ص٥٠ (حَوصلة، وحوِصلة، وحَوصلاء) بكسر الحاء في الثانية.
- (ع) ص٥٣ (ويقال: اللوعة: لسواد حول الحلمة) وفي الحاشية (بتمامه في الفرق لثابت ١/٩٠)
- (ت) ص٥١ (ويقال: اللعوة: لسواد حول الحلمة) وفي الحاشية (اللسان ٥/٥٠٤٥، وروي: اللوعة ايضا)
- (ع) ص٥٣ (يقال: ثدي المرأة العى ...)، وفي الحاشية (بتمامه في الفرق ١/٩٠).
- (ت) ص٥١ (يقال: ألعى ثدي المرأة إلعاءً)– ليس كذلك في (ع) ص٥٣
- (ع) ص٥٤ (يقال له: من الذكر: الفرج)... والهوف ... والمُتمئِزُّ..
- (ت) ص٥٣ (يقال له: من الإنسان: الأبر، والزب)... والعوف ... والمُتمئي..
- (ع) ص٥٥ (فيما حكي عن علي) وفي الحاشية (لعله المراد علي بن سليمان أبو الحسن الأخفش الأصغر)
- (ت) ص٥٤ (فيما حكي عن علي) بلا تعليق في الحاشية.
- (ع) ص٥٥ (والغرُمول: الخُصية)

- (ت) ص٥٤ (والغُرمول: ....) وفي الحاشية (في هذا الموضع كتبت كلمة (الخصية)، ولم نَرَ لها موضعا مناسبا في السياق)

نقول: لعلّ ما جاء عن الغُرمول بمعنى: الخُصية من هقوات قطرب أو النساخ، إذ جاء في اللسان ٦٠/١ (غرمل): الغُرمول: الذكر الضخم الرخو، وقد قيل: الذكر مطلقا، ويقال له: الغرمول قبل ان تقطع غُرلتهُ، هذا قول ابي زيد . وجاء في حديث عن ابن عمر: أنه نظر إلى غراميل الرجال في الحمام فقال: أخرجوني! وكانوا مُخْتتِنين من غير شكٍ، وقبل: الغُرمول لذوات الحافر، قال بشر:

وخِنذْيذِ، ترى الغُرمولُ فيه كطيَّ الزّقّ علَّقهُ التِّجارُ

- (ع) ص٥٥ (يا أيها العودُ الضعيف الأثيلً مالك إذ حُثَّ التجار تزحلُ)

وفي الحاشية (بلا عزو: الفرق لثابت ٩٢/١، واللسان (بثل).

- (ت) ص٥٥ (يا أيهًا العودُ الضعيف الأثيلْ مالك إنْ حُثّ المطي تزحلْ)

وفي الحاشية (هي في اللسان: ثيل ٥٢٦/١، والأول برواية (يا ايها العودُ الثقال الأثيل، وفي ثابت ٩٣/١ برواية أخرى).

نقول:لا ندري مصدر هذا اللبس في مخطوط يتيم بين أهل التحقيق في رواية (المطي) عند (ت) ورواية (التجار) عند (ع) إنّ في الأمر سهوا في النقل أثناء التصويب!.

- (ع) ص١٥٦ (وللضبة أيضا: قُرْنتان اي رِحِمَان) بكسر الحاء، الحاشية في الفرق لثابت ٩٢/١ اي زوايتا رحم – نقول: ريّما اراد (زاويتا ...)
- (ت) ص٥٦ (وللضبة ايضا : قُرْنتان: أي رحْمان) – يتسكين الحاء، وفي الحاشية ثابت ٩٢/١.

نقول: وفي اللسان ١٧٥/٥ (والرَّحِمُ: أسبابُ القرابة،, وأصلها الرَّحِمَ التي هي منبت الولد، وهي الرحمْ) أي بكسر الحاء وتسكينها!

- (ع) ص٥٦ (والأولى التي كبُرت)، وفي الحاشية (في الأصل: في ال١ذي كثرت ، ولعل ما اثبت الصواب) .
- (ت) ص٥٦ (والأولى هي التي كثرت).
- (ع) ص٥٨ الحاشية (قلت: لعلّ في نصّ قطرب سقطا بدلالة الشرح الذي أورده قطرب بعد البيت)، وهذا السقط عند (ت) ص ٥٨: (والزرنب – أيضاَ – فرج المرأة إذا عظم . ويقال لِمثل ذلك من ذي الحافر: ظبية الفرس والأتان . وقال خجاها بغُرمول وفِلْذِ مُذْ مَلْك فَخَّرقَ ظبيْها الحصانُ المثتبقُ

وزاد (ت) ص٥٨: (وقالوا أيضا: ظبية الناقة مثل الفرس وقالوا أيضا: الحياء من ذي الظلف)

- (ع) ص٥٨ (وقال الأخطل: ..... قُلاحةً)، وفي (ت) ص٥٩ (وقال الأخطل ... ملاحةً)

- (ع) ص٥٩ (والحيا أيضا....)، وفي (ت) ص٦٠ (والحياء أيضا) بالهمزة.
- (ع) ص٦٠ (وقالوا في مثل الدبر من الانسان من البهائم).
- (ت) س٦١ (وقالوا في في مثل الإنسان، والبهائم).
- (ع) ص٦١ (ثلاث ذِه يحملن ذَه) بكسر الذال الأولى وفتحها في الثانية.
- (ت) ص٦٣ (ثلاثُ ذه يحملن ذِه)- الذال الأولى غير محركة، والثانية بالكسر
- (ع) ص٦٢ (مِبعَر، واست البعير)
- (ت) ص ٦٤ (مِبعَر البعير، واست البعير)
- (ع) ص٦٢ (الزّمِكَّى و زِمجّى) بألف المقصورة في الكلمتين، وفي (ت) ص ٦٥ (الزمكاء والزمجاء) بالهمزة فيهما .
- (ع) ص٦٦ (قال أبو داود .... فضَخُ من الكُحيل ..)
- (ت) ص ٦٩ (قال أبو داؤد .... نضحٌ من الكُحيل....)

نقول: أشار (ع) و(ت) إلى شعر أبي داؤد: ٣٢٠ في الحاشية – ربّما خطأ طباعي.

- (ع) ص٦٦ (والعصيم: العَرَق، وما جفّ على الوبر)- من غير عبارة (فقتلهُ)!

- (ت) ص٦٩ (والعصيم: العَرَق، وما جفَّ منه على الوبر فقتلهُ)
- (ع) س٦٦ (وبركم البعير)، وفي(ت) ص٦٩ (وبَرَّك البعير)
- (ع) ص٦٧ (وردم يردم رُداما) بزنة فُعال – وفي(ت) ص٧٠ (وردم يردم ردما)– بزنة فعل
- (ع) ص٦٩ (وقالوا: في ذي الظلف: حَبقَت العَزوْ وخَبقت تخبقُ خَبقْا)
- (ت) ص٧٢ (وقالوا في ذي الظلف: حبقتِ العنز حبقاً)
- (ع) ص٦٩ (باب الغائط): (وقالوا في الحدث) من الانسان خَرىء خِراءةَ وخروءاً، الخُرءُ، والخُرءان للجميع، وفي الحاشية (ثلاث كلمات مطموسات في الأصل)، عوض(وقالوا في الحدث)
- (ت) ص ٧٣ (باب قضاء الحاجة): (وقالوا في مثل الحدث عن الانسان) خَرىء خِراءةَ وخِرءاً، الخرءوالخُرءان للجميع، وفي الحاشية (في مثل) مطموسة .
- (ع)ص٧٠ (العِقى لأول ما يخرج من بطن أمّه) بالف المقصورة، وفي (ت) ص٧٣ (العقيّ....) بالياء
- ((ع) ص٧٠ (والعَذِرةُ والعاذر: الخُرْءُ)، وفي(ت) ص٧٣ (العَذِرة، والعاذر: للخرء)
- (ع) ص٧٣ (وقال سُراقة البارقي.....)، وفي الحاشية(ليس في ديوانه)
- (ت) ص٧٣ (وقال سُراقة البارقي.....)، الحاشية خالية من ذكر الديوان والإشارة إليه.

- (ع) ص ٧٠ (وقال: النّجوُ العَذِرة ... استنجى) – بالف المقصورة –
- (ت) ص٧٤ (وقال: النّجوُ للعذرةِ .... استنجاء) بالهمزة
- (ع) ص ٧١ (تُعجلُ كفّ الخارئ المطيبِ   يا رخماً قاظ على ينجوبِ)
- (ت) ص ٧٤ (يا رَخْماً قاظ على ينجوب   يُعجلُ كفّ الخارئ المطيبِ)

نقول: إنّ سبب اختلاف رواية الصدر والعجز بين الطرفين(ع،ت) هو استخدام (ع) ديوان الأعشى، بتحقيق: محمد محمد حسين، واستخدام (ت) ديوان الأعشى، بتحقيق: فوزي عطوي

- (ع) س ٧٢ (, وأخذه هرار ...) عبارة سقطت من(ت) ص ٧٦، وجاء في حاشية (ت) ص ٧٦ (وفي الحاشية بخط مغاير عبارة: واخذه هرار)
- (ع) ص٧٣ (الذّرق، يقال: قد ذَرّق ... وَمَزَق)،
- (ت) ص٧٧ (الذّرق، ويقال: قد ذرق ...ومَزَق وَزَرَق)، والأخيرة سقطت في(ع) ص ٧٣
- (ع) ص٧٣ (قال الطرماح: ... النعامْ) بتسكين الميم، وفي (ت) ص ٧٨ (.... التعامِ) بكسر الميم .
- (ع) ص٧٤ (باب الشهوة)، وفي(ت) ص٧٨ (باب الغُلمة)
- (ع) ص ٧٥ (أشد النوق ضَبْعاَ) بتسكين الباء، وفي(ت) ص٨٠ (ضبِعاَ) بكسر الباء
- (ع) ص ٧٥ (واستحرمت)، وفي(ت) ص٨١ (واحرمتْ واستحرمتْ)

- (ع) ص٧٦(كان لم طخاءةً، أي هباءة) وفي الحاشية (في الأصل طخاية أي هبابة، وهذا من اللسان (طخا) وفيه: يقال: على قلبه طخاء وطخاءة أي غشية وكرب)

- (ت) ص٨١(كان ذلك في طحيائه: أي في هبابه)، وفي الحاشية (في اللسان ٤/٢٦٤٦) (وأقبل التيس في طحيائه: أي هبابه)

- (ع) ص٧٧(وَمَطأ الرّجل المرأة ... والعّترْ .. بالتسكين والتحريك ... النكاح كلّه)

- (ت) ص٨٢(ومرأ الرّجل المرأة .. والعقر .. بالتسكين والتحريك ... والبِعال: النكاح كلّه)

- (ع) ص٧٨(وغسلها، وعسلها ... وعسّاها يُعسّيها عيسا)

- (ت) ص٨٢(خجْعاَ، وغسلها، وعَسَلها ... وغشاها يغشاها غشيا)

- (ع) ص٧٩ (والأزُّ: النكاح، وهو بؤزّها ....)، وفي(ت) ص٨٥: النكاح، وهو يؤزّها .. درسها) والأخيرة سقطت من(ع) ص ٧٩.

- (ع) ص ٧٩(وقالوا: الاباهُ، واباءُ، والباءة، والباهة – والهاء اصلية – وهو النكاح)

- (ت) ص٨٥(ويقال: إنّه لطيبّ الباه، والباء، والباهة – والهاء اصلية – وهو النكاح كلّه)

- (ع) ص ٧٩ (ومَنى – يعني يغير ألف ....) وفي (ت) ص٨٥ (وَمنى يُمني بغير ألف)

- (ع) ص٨١ (وكَـرَضَ الفحـلُ كِرَاضــاَ، ...) وفــي الحاشــية (الكــلام مطموس في الأصل، وأثبته بعد جهد)
- (ت) ٨٧ (وطرقها الفحلُ وأطرقته أنا) وفي الحاشية (.....، وثابت ١/١١٣)
- (ع) ص ٨١(فما بلغت غُلّةً...) الحاشية (في الأصل: علّ(بالعين المهملة) ..(غلل) من اللسان ..)
- (ت) ص٨٨(– مما يلغت علّة) الحاشية (في الأصل بالعين المهملة، وهو مسموع عن الأصمعي، وبعضهم يرى أنه تصحيف وصوابه بالمعجمة (اللسان: علل)
- (ع) ص ٨٢ (والزاجل – بالهمز وغير الهمز – ماء الفحل، وقد زَجَل فيها الماء يوجل زجلا)
- (ت) ص٨٨ (والزاجل – بالهمز وغير الهمز – ماء الفحل، وقد زجل الفحل وفيها الماء يزجلُ زجلا)
- (ع) ص ٨٣ (باب الحمل بعد النكاح) – في مثل الحمل من النساء)
- (ت) ص٩٠ (باب الحمل ... وفي مثل الحمل من المرأة) الحاشية (موضع لطمس مقداره ثلاث كلمات)
- (ع) ص ٨٥(بخضت بخاضا، ومخضت لغة) الحاشية (في الأصل: قيل: بخضت، وانظر: خلق الإنسان للأصمعي:١٥٨، والفرق لثابت ١/١١٦).

- (ت) ص٩٢ (.. مَخضت مخاضاَ، ومخضت لغة) والحاشية (أي بكسر الخاء وفتحها) وفي (ثابت ١١٩/١) نقول: والغريب من(ت) عد الإحالة على (خلق الإنسان للأصمعي) وهو بتحقيقهّ!.
- (ع) ص٨٧ (حملت ... الجراد وفي(ت) ص٩٥ (جمعت .. الجرادة).. بتاء قصيرة.
- (ع) ص٨٨ (باب الولاد بعد الحمل) وفي(ت) ص٩٥(باب الولادة وأسماء الأولاد)
- (ع) ص٨٨ (النُّفاس) بضم النون – وفي(ت) ص٩٦ (النفاس) الحاشية (نوادر أبي زيد، وثابت بكسر النون)
- (ع) ص٨٩ (وقال أبو دواد ... غُدوةُ ...) الحاشية (شعر أبي دواد:٣٤٩)، وفيه: حّرة..)
- (ت) ص٩٦ (وقال أبو دواد .... غَدوةُ..) الحاشية (الديوان: ٣٤٩) من غير إشارة للاختلاف)!

نقول ما هذا الفرق في نقل اسم الشاعر؟ فهو(أبو دواد) عند(ع) و(أبو دؤاد) عند(ت) (شعر أبي دواد الإيادي) والصواب شعر أبي دؤاد الإيادي، الذي جمعه المستشرق غوستاف غرونبام وترجم هذا الجمع الدكتور إحسان عباس، ونقحه وزاد عليه، وهو مستل من كتاب (دراسات في الأدب العربي)، بيروت: ١٩٥٩م.

وقــد حــدث خطــأ طبــاعي عنــد(ع) ص٢١٨ إذ أصــبح اســم المستشــرق(غرنبــادم)، وعنــد(ت) ص٢٤٤ (غرينــاوم) وطرفـا التحقيـق عضدا الشاهد الشعري من تحقيق المستشرق ص٣٤٩ !

وللزيادة: فإن شعر أبي داؤد الأبادي جمعه وحققه فيما بعد(أنوار محمود الصــالحي، والـدكتور أحمـد هاشـم السـامرائي) تحـت (ديـوان أبــي دواد الأيادي) من غير تهميز الواو – عن دار العصماء، دمشق: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- (ع) ص٨٩(..، تنتِجُ بالكسر) الحاشية (في الفرق لثابت: نتيجُ)
- (ت) ص٩٧ (..، فهـي نتـيجُ – بالكسـر ..) الحاشـية (ثابـت ١٢٠/١، وأراد بالكسر أنها ليست (نتوج) ، نقول: يبدو(ت) يصحّح على(فرق ثابت) من دون ابداء ملاحظة في الحاشية، وهذا يعضد كلام(ع) الذي ذكر الخلاف بين ما جاء عند قطرب، وما أشار إليه في الحاشية عن (ثابت)
- (ع) ٨٩ (.. وعائذُ) بالذال المعجمة– وفي(ت) ص ٩٧ (وعائِدُ) بالدال المهملة.
- (ت) ص٩٧(وزَلِقٌ) الحاشية (هكذا في الأصل بدون ياء، وما في ثابت والصحاح: زلق ١٩٩١/٤، واللسان: رلق ١٨٥٥/٣ (زليق) بالياء)
- (ع) ص٩٠(أن يجئ رجلاه ..) وفي (ت) ص٩٨ (أن تجئ رجلاه)
- (ع) ص٩٠(.. رَمَتْ باسته وثْنا ألف القوابل) و(لعلّها لغة)

- (ت) ص٩٨(.. رَمَتْ باسته وثْنا أكفّ القوابل) و(لعلّها لغته)

- (ع) ص٩١(خلقٌ وجُمّاع) الحاشية _ جُمّاع كل شيئ مجتمع خلفه (اللسان: جمع)

- (ت) ص٩٩ (خلق: رجاع)، الحاشية (أي القتهُ قبل أن يستبن خلفه (أنظر اللسان: رجع ١٥٩٤/٣).

- (ع) ص ٩٣(فأمّا الطفلة – بفتح الطاء –)، وفي (ت) ص١٠٢-١٠٣ (فأمّا الطقفلة) – بفتح الفاء-

- (ع) ص ٩٣(ويقال: فعل ذلك في وليدته) و(ت) ص١٠٢(يقال: هو وليد بين الولادة، ويقال: فعله في وليدته)

- (ع) ص٩٤ (زُعْرُاع)، ويافع) الحاشية (خلق الإنسان:١٩، والفرق لابن فارس: ٨٥، والمخصص ٣٥/١).

- (ت)ص١٠٣ (زُعرُع)، ويافع) الحاشية (العين: رع ٨٧/١، وابن فارس: ٨٥، والمخصص ٣٤/١).

نقول: الذي في (الفرق) لابن فارس: ص٨٥ (فهو: رَعْرَع) وفي المخصص ٣٥/١ (هو خينئذ: حالم ومحتلم ورعرع وراعراع ومترعرع)، ويبدو أن (الزاء) المعجمة – الزاي – في(ت)ص١٠٣ تصحيف طباعي وقع سهوا!

- (ع) ص٩٥ (وهو فتى)، وفي(ت) ص١٠٤ (ثم هو فتى).

- (ع) ص٩٦ (قال بعض طيئ رَجُلَة) – بفتح الراء وضمّ الجيم وفتح اللام –

- (ع) ص١٠٤ (قال بعض طيئ رُجَلَة) – بضم الراء وفتح الجيم واللام.

- (ع) ص٩٧ (وقد حُكيَ لنا فرسة)، وفي (ت)ص ١٠٧ (وقد حِحُيٍ لنا فرسة بالهاء)

- (ع) ص٩٨ (فيكون رباعيا(سنة) الحاشية(ساقط من الأصل مزيد من ثابت) أي: سنة.

- (ت)ص١٠٨ (فيكون رباعيا– بلاسنة – وفي الحاشية(ابن فارس:٨٧، والصحاح،١٢٤/٣، والمخصص١٣٨/٧، نقول: لم يعرض(ت) عبارة قطرب على (فرق ابن ثابت) لتقويم السياق!

- (ع) ص٩٨ (فرفع(ثمان)) الحاشية (في الأصل: الثمن)

- (ت) ص١٠٨ (فرفع(النون)) الحاشية (النون من ثمان)

- (ع) ص٩٩ (ويقال للحمار: عيرٌ، وسحل، وابن مِقلاء : وللأُنثى: أتان)– بلا حاشية –

- (ت) ص١٠٩ (ويقال للحمار: عيرٌ، ومسكل، وزُمَّلَق . والأُنثى: أتان) الحاشية(العين: عير ٢٣٨/٢، والمخصص ٤٤/٨)، (العين: سحل ١٤٠/٣)، (اللسان: زملق ١٨٦٥/٣، وفي الأصل (زمقلا)، وفي المنشور ابن فعلاء)

- (ع) ص١٠٣(ثم تنقص(قُوّتُه) الحاشية (الزيادة ساقطة من الأصل مزيدة من فرق ابن فارس:٨٩).
- (ت) ص١١٣ (ثم تنقص(بعد قُوّتُه)- بلا حاشية -
- (ع) ص١٠٤(والأدرمُ) الحاشية (في الأصل: والدوز تحريف، وصوابه في اللسان(درم)، المخصص ١/١٥٥).
- (ت) ص١١٤ (والدِردم) الحاشية (في الأصل:(الدروز)، وهو تحريف – في أغلب الظن – والتصحيح من اللسان:درر ١٢٥٤/٢، وفيه (الدردم: الناقة المسنّة)، وكذا ورود اللفطة بعد هذا الموضع .
- (ع) ص١٠٤ (وكأن الميم زائدة مثل: سُتهم، وضِرزم) سقطت من (ت) ص١١٤.
- (ع) ص١٠٤ (وهو: سَخْلٌ مارَضَعَ) وفي(ت) ص١١٥(وهو سخلٌ ما رضِع اللبن).
- (ع) ص١٠٥(وهذا ...تُلقى...) وفي(ت)ص١١٦(هذا ... يلقى..)
- (ع) ص١٠٧ (ومأجة....) بالهمز، وفي(ت) ص١١٨ (وماجه) بلاهمزة -
- (ع) ص١٠٧ (ونعاجٌ قواصى) – بألف المقصورة، الحاشية (كذا وذلك جائز على حكاية أبي الخطاب الأخفش كما روى سيبويه).
- (ت) ص١١٨ (ونعاجُ قواصي) بالياء، الحاشية(ثابت ٧٢/٢).
- (ع) س١٠٩ (وقالوا: إرْخُه)، (ت) ص١٢١ (وقالوا: أزْحُ) بحاء المهملة.

- (ع) ص١١٠ (والهبرج: الشبوب) الحاشية (في الأصل: الشوبوب تحريف، وصوّبه (غاير) أيضا وسيورده قطرب بعد حين، وانظر عن المشب والشبب والقهب – المخصص ٣٣/٨، ٤٠/٨.

- (ت) ص١٢٢ (والهبرجُ والشبوب) – بالنسق بينهما – الحاشية (الوحوش:٣٦٣، وفيه المشب والشيب والشبوب والهبرج للمسنّ، والقهب في العين: قهب ٣٧١/٣.

- نقول: الذي جاءفي (الوحوش للأصمعي ص ٤٧ بتحقيق: الدكتور جليل العطية أخ الدكتور خليل العطية): (شبوب وشَبَبَ ومُشِبٌ وهو كلّه المُسَّنُ)، ولم يأتِ (الهبرج) في السياق نفسه عن المسنَّ ن وإنما في قول العجاج(ديوانه ٢٤/٢ بتحقيق(السطلي)، وديوانه:٣٥٤ بتحقيق: الدكتور عزة حسن):

- يتْبعنَ ذيّالا مُوشّى هَبْرَجا فهنّ يعكفن به إذا حجا

- (والهبرجة اختلاط في المشي والهبرج الذي يُخلّط في مشيه) الوحوش:٤٨.

- (ع) ص١١٠ (الفارض: الهَرَمَة ...) بفتح الهاء، وفي(ت)ص١٢٣ (الفارض: الهِرمة) بكسر الهاء.

- (ع) ص١١٢(ثم هو: شهر...)، وفي(ت)ص١٢٥(ثم هو: الخشف بعد الجداية، والأُنْثى: خشفة، ثم هو شطر) فقرات سقطت من(ع) ص١١٢ وجاء (شطر) بالطاء لا بالصاد!

- (ع) ص١١٢(فيقال لولد الأروى: (غفر)، والأروى أنُثى الوعل (ويقال للذكر: وَعِلٌ/ ... غفر..) الحاشية (الزيادة ساقطة من الأصل، مزيدة من (غاير).
- (ت) ص١٢٥ (فيقال لولد الأروى – والأروية أنثى الوعل – غفر –) الحاشية (وجملة الأروية أنثى الوعل) كأنها اعتراضية).
- (ع) ص١١٧(ويقال لولد الذئب من الضبع: الديسم) الحاشية (في الفرق لابن فارس:٨١، ويقال: الديسم: ولد الذئب ؟
- (ت) ص١٣٠ (ويقال لولد الذئب من الضبع: النهسرُ والسِّمع) الحاشية – المصادر بلا تعليق.
- (ع) ص١١٨ (والثُرمُلَةُ أنُثى الثعالب) الحاشية (في الأصل: والثرغل، وهي كذلك عند(غاير) تحريف وصوابه في الوحوش: ٢٩، والمخصص ٧٦/٨، والفرق لابن فارس: ٩٦، واللسان (ثرمل).
- (ت) ص١٣١ (والثُرغُلُ: أنثى الثعالب) الحاشية (التكملة ثرغل ٢٨٤/٥، والراموز في اللغة، مخطوط: ثرغل ١٣/٣.
- نقول: والوارد في اللسان ٩٤/٢ (والثُرملة بالضم: من أسماء الثعالب، الأصمعي: الأُنثى من الثعالب ، ثُرملة) وفي اللسان ٩٣/٢ (ثرغل: الثرغول: نبت)، وفي التاج ١٥١/٢٨:
- (الثُرغلُ:.. أهمله الجوهري، وقال الصاغاني عن بعضٍ: (أنُثى الثعالب)، .. نبتُ ..، والثُرملة: (الثعلب) أو أنثاه).

- (ع) ص١١٩ (ويقال لولده: الجرو، والجُرو..) الحاشية (وأضافت ثابت: الجَرو بكسر الجيم أيضاً، ولعلّه ساقط من الأصل).

- (ت) ص١٣٣ (ويقال لولده: الجَرو، والجُرو والجِرو) بتثليث الجيم – الحاشية (ثابت ٧٦/٢) ومثلثات الفيروزآبادي: ١٣٥)

- (ع) ص١٢١ (القرنب – بالقاف – الفارة، ويقال للفأرة: القَرنب، والدّثيمة –بالدال)

- (ت) ص١٣٦ (والفِرنب – بالفاء – الفأرة، ويقال للفأرة: الفرنب .. والرثيمة – بالراء)

- (ع) ص١٢٢ (وقالوا لأولادها هذه: المَفْيولاء)– أي الفيل – وفي الحاشية (كذا في الأصل، وبعده، ولأولاد الفيلة، ولعله من انتقال النظر، ولعلّ المفيولاء شبهة بالمبعُولاء: جماعة البغل، أنظر: الصحاح (بغل ١٦٣٦/٤).

- (ت) ص١٣٧ (وقالوا لأولادها هذه: المفيولاء) الحاشية (في هذا الموضع جاءت عبارة(ولأولاد الفيلة)، وهي – في أكبر الظنّ – سهو –)

- (ع) ص١٣٠ (والدردق:(صغار) النعّام،..) الحاشية (الزيادة ساقطة في الأصل، مزيدة من (غاير) والبيت بلا عزو في المخصص٥٥/٨، وفيه: يأوي، وأورد(غاير) البيت خلافا للأصل: قوادمها..

- (ت) ص١٤٦(والدردق: النعام) الحاشية (المخصص ٥٥/٨) وفيه (أنهّا صغار النعام، وقد أضاف الدكتور جاير في نشرته كلمة(صغار) إلى

النعام، البيت في الحيوان ٣٦٧/٤، ونسبه إلى علقمة بن عيدة، من قصيدة له يصف ناقتهُ برواية: يأوي..

- نقول: والبيت مثبت في (ديوان علقمة الفحل: ٦١ بشرح الأعلم الشنتمري) بتحقيق: لطفي الصقال، ودرية الخطيب، بمراجعة: الدكتور فخرالدين قباوة ط١حلب:١٩٦٩، وفيه

- يَأوي إلى خُرَّقٍ زُعْرٍقوادمها كأنهّنّ إذا بَرَّكْنَ جُرْثومُ

- بلفظة (خُرَّق) لا (دردق) كما في تحقيق(ع) أو(ت)، وجاء في شرح البيت في الديوان (يأوي إلى خُرَّقٍ) أي: يأوي هذا الظليم ‘لى فراخ خرّق بالأرض، اي: لوازم بها، لأنّها صغار، لا تطيق النهوض، وقوله (زعر قوادمها)، يعني أن ريش القوادم لم ينبت بعد لصغرها). والطريف أن طرفي التحقيق(ع) و(ت) لم يعضدا الشاهد الشعري بمراجعة الديوان، وفي هذا مثلمة بالتحقيق! لا سيما والديوان معروف ومتداول!

- (ع) ص١٣١ (وقالوا: هذه نِسرُ .. وقالوا لفرخ العقاب: هيثم، وزهدم) الحاشية (في الفرق لابن فارس:٨٣، فرخ العقارب: ضَرِم، وفرخ النسر: هيثم . انظر: المخصص ١٤٧/٨، وفي الأصل:ذمرم، وهذا من اللسان(زهدم) وفيه: الزهدم الصقر، ويقال:فرخ البازي.

- (ت) ص١٤٧(وقالوا: هذا نِسرُ .. وقالوا لفرخ العقاب: هيثم، وضَرِم) الحاشية (الصحاح: ضرم ١٩٧١/٥).

- (ع) ص١٣١ (قال الطرّماح: خُوار..) – بالخاء– الحاشية (في الديوان:٤٥٩(جوار..)– بالجيم–

- (ت) ص١٤٨ (قال الطرّماح: خُوار ..) الحاشية (الديوان:٤٥٩)

- نقول: لم يشر(ت) إلى الخلاف بين ما ورد في (فرق قطرب)،وبين رواية الديوان، كما فعل (ع) ثم حدث سهو طباعي عند (ت) في ترقيم الشاهد الشعري(للطرماح)، إذ الرقم(٩) في نهاية الشاهد الشعري، وهو(١) في الهامش . للتنويه فقط!

- (ع) ص١٣٤ (كبيض الأنوق لا ترى فيه مطعما) بتقديم العين على الميم في(مطعما)

- (ت) ص١٥٠ (كبيض الأنوق لا ترى فيه مطمعا) بتقديم الميم على العين في(مطمعا)

- (ع) ص١٣٥ (فقالوا:.... وغرينة) سقطت من(ت) ص١٥١.

- (ع) ص١٤٣(..عوامل) الحاشية (وفي الأصل: عواهل تحريف) أي هاء عوض الميم!

- (ت) ص١٦٠(.. عواسل) الحاشية(وفي الأصل: عواهل) أي الهاء عوض السين!

- (ع) ص١٤٣ (وقالوا في: العنتر: الذُبان) وفي(ت) ص١٦٠ (وقالوا في العنتر: الذباب)

- (ع) ص١٤٤(... في البرّ..) وفي(ت) ص١٦٢ (في الديّة..)

- (ع) ص١٤٥ (... وجميزهم...) وفي (ت) ص١٦٢: (سقطعت عبارة جميزهم)!

- (ت) ص١٦٩ (والعاكب: الجماعة من الإبل أيضاً، قال الراجز:

- جاءت الصبح لها ظباظبُ   فَغَشِي الذادة منها عاكبُ

والرعيلُ والرعلة: الجماعة من كلّ شيئ . وقال مابين العشرة إلى العشرين . والبـرك الكثيـر مـن الإبـل) كـل هـذه الفقـرات سـقطت عنـد(ع) ص١٥٠/١٥١.

- (ع) ص١٥٢(وأمّا الرَّفُ: فالشاء الكثيرة) في الحاشية (في الأصل: بالزاي تصحيف، وانظر: فرق ابن فارس: ١٠٠، وفاء الشاء ساقطة في الأصل).

- (ت) ص١٧٠ (وأما الرّف: الشاء الكثير) – بلا تاء قصيرة – وفي الحاشية(الشاء:١٨، وثابت ٨٢/٢، وابن فارس: ١٠٠).

- (ع) ص١٥٥ (خَيطى، وخِيطان، وخِيط) والأخيرة بزنة (فعل) بكسر فائها– الحاشية في الأصل: خيطان بضم الخاء تحريف وصرفها(غاير) إلى(خيوط) وانظر: (المخصص ٥٧/٧، وفي ثابت ٨٥/٢، ومبادئ اللغة: ١٦٨، ومنها التصويب).

- (ت) ص١٧٤ (خَيطى، وخِيطان، وخُيطان) – والأخيرة بضم فائها بزنة (فُعلان) –الحاشية(وخُيطان) الأخيرة– وردت بالضم، ولم نقف عليها.

- (ع) ص١٥٥(لبَّدُ) – بضم اللام وتشديد الباء، وفي(ت)ص١٧٥ (لِبَدُ) بكسر اللام وتخفيف الباء.

- (ع) ص١٥٦ (الرعاق) راء مهملة، وفي(ت) ص١٧٦(الزّعاق) بزاء معجمة – زاي .
- (ع) ١٥٧ (.. بالشيطين..)، وفي(ت)ص١٧٧(... بالمشيطين) بزيادة الميم.
- (ع) ص١٦٢(وفحيح الحيات بعد الأفعى أصوات أفواهها). بعد – بالباء.
- (ت) ص١٨٣(وفحيح الحيات يُعد من أصوات أفواهها) يعدُ – بالياء.
- (ع) ص١٦٣(وهو إذا تكلمن) وفي(ت) ص١٨٥ (وهو إذا تكلم)
- (ع) ص١٦٤ (والحمام: يهدل، وهو الذكر)وفي (ت) ص١٨٥ (والحمام يهدل، وهو الرغاء).
- (ع) ص١٦٥(وترى المكاء فيها ساقطا لَثِق الريش إذا ما زَفْرفا).
- (ع) ص ١٨٦(وترى المكاء فيها ساقطا لَثِق الريش إذا ما زَفّ زقا).
- (ع) ص١٦٥ (قوقأت الدجاج) وفي(ت) ص١٨٨ (قوقأت الدجاجة) بتاء قصيرة.
- (ع) ص١٦٩ (أدخلوا على آخرِهِ) الحاشية (في الأصل: الآخرة تحريف)
- (ت) ص١٩٢ (أدخلوا على الآخرة) الحاشية (أي (دع) الثانية)
- (ع) ص١٧٠(وقالوا: قَرقار قَرقار .. مرته) بفتح القاف في اللفظين.

- (ت) ص١٩٢ (قَرقار، وقِرقار) بفتح القاف الأولى وكسر القاف الثانية، وفي ص١٩٣(مِرية) لا (مرته) كما في (ع)ص١٧٠ .
- (ع) ص١٧٠ وقالوا:(عَوْبَ لا أفعل ذلك) الحاشية (اللسان (عوب)).
- (ت) ص١٩٣ وقالوا: (عَوْذٌ لا أفعل ذلك) بلا تعليق في الحاشية.
- (ع) ص١٧١(ثم أتبع ذاك آهْ – ساكنة – لها) وفي(ت) ص١٩٣ (ثم أتبع ذلك(آه) ساكنة الهاء)
- (ع) ص١٧١(وقالوا في الفرس: إحَهْ، وهجِدْ)، وفي(ت) ص١٩٤(قالوا في الفرس: إجدْ وهجِدْ)
- (ع) ص١٧١ (إجدم) بكسر الهمزة، (ت) ص١٩٤ (أجدم) بفتح الهمزة.
- (ع) ص١٧١ (وشأشأ، قد سأسأت به) وفي(ت) ص١٩٤ (وسأسأ وقد سأسأت به) كلها بالسين.
- (ع) ص١٧١(.. مخابط..) وفي(ت) ص١٩٥ (..خابط..)
- (ت) ص١٩٥(وقالوا للحمار عند السوق حِيهٍ حيهٍ، وهَرّهَرّ)
- (ع) ص١٧٢(وقالوا للحمار عند السوق حَيهِ حَيهِ، وهِرْهِرْ) بفتح الهاء وكسر الحاء في لفظتي (حَيهِ) وكسر الهاء وسكون الراء في لفظتي (هِرْهِرْ).

- (ت) ص١٩٥(وقالوا للحمار عند السوق حِيهٍ حِيهٍ، وهَرّهَرّ) بكسر الهاء وتنوين الهاء في لفظتي (حِيهٍ) وفتح الهاء وتشديد الراء في لفظتي (هَرّ).

- (ع) ص١٧٢ (... الأبهات ..) وفي(ت) ص١٩٥ (.. الأبدات ..).

- (ع) ص١٧٢ (هابْ) بتسكين (ويحرك فتحا يغير نون)، وفي(ت)لاص١٩٦ (هابَ) بالفتح (ويحرّك فتحا يغير نون)

- (ع) ص١٧٣ (وقالوا في الحمار: حِي وحي، ... إذا أوقفتهُ).

- (ت) ص١٩٦ (وقولوا في الحمار: وحَاوحي، ... اذا وقفته).

- (ع) ص١٧٣(وقالوا: هأهأ بالخيل .. وقالوا هأى هأي – مهموز ومقصور) الحاشية (كذا في الأصل، رسمه الناسخ: هأهأ وينفيه الضبط الثاني بعده، فلو صحّ لكان من الكلم النادر، وفي القاموس: هِئ هِئ ولعله الأصل).

- (ت) ١٩٧ (وقالوا: هاها بالخيل، ...)– من دون همز– (وقالوا: هأْهأْ – مهموز ومقصور)– بلا حواشٍ.

- (ع) ص١٧٤ (وقالوا أيضاَ: جاهِ جاهِ) بكسر الهاء في الأولى والثانية.

- (ت) ص١٩٨ (وقالوا أيضاَ: جاهٍ جاهٍ) تنوين الهاء في الأولى والثانية .

- (ع) ص١٧٦ (وقالوا: إيْ إيْ) بكسر الهمزة – وفي(ت) ص٢٠٠ (أَيْ أَي..) بفتح الهمزة.

- (ع) ص١٧٤ (وقــال ..... يَــرُدّهُ ....) باليــاء، وفـــي(ت) ص١٩٨ (وقال ... تردّهُ..) بالتاء.
- (ع) ص١٧٥ (... حــابَ...)- بفــتح البــاء - وفـــي(ت) ص١٩٩ (.. حابٍ ..) بتنوين الباء المكسورة.
- (ع) ص١٧٦ (وقـالوا: إِيْ إِيْ) بكسـر الهمـزة وسـكون اليـاء، فـي(ت) ص٢٠٠ (وقالوا: أَيْ أَيْ) بفتح الهمزة وسكون الياء.
- (ع) ص١٧٦(وقــالوا: فّـدَه الرجـلُ..)- بالفــاء - وفـــي(ت) ص٢٠١ (وقالوا: نَدَه الرجلُ) بالنون.
- (ع) ص١٧٨ (وأهِ و أهِ) بكســر الهــاء، وفـــي(ت) ص٢٠٢ (وأهٍ وأهٍ) بتنوين الكسر في الهاء.
- (ع) ص١٧٨(وهَأْهَـأْ) بتسـكين الهمـزة، وفـي(ت) ص٢٠٢ (وهـاءِ هـاءِ) بكسر الهمزة.
- (ع) ص ١٧٨ (أيـو إيـهِ) بكسـر الهـاء، وفـي(ت)ص٢٠٢ (أبـو إيـهٍ) بتنوين الكسر في الهاء.
- (ع) ص١٧٩ (جورهـا..) بـراء مهملـة ... و(هيجـي..) باثبـات اليـاء - (وأراد هيجي من هاج يهيج)
- (ت) ص٢٩٣ (جوزها..) براء معجمة لا زاي و(هيجِ) بجيم مكسورة من دون ياء (و أراد هيجِ من هاج يهيج)

- (ت) ص٢٠٤ في قول الراجز (فيايهٍ ايايهٍ أيايهْ) هذا الرجز سقط من(ع) ص ١٧٩.

- (ع) ص١٨٠ (جَحْ جَحْ جُحُ) بفتح وسكون في الأولى والثانية، وضم الحرفين في الثالثة .

- (ت) ص٢٠٤ (جَّحْ جَّحْ جَّحْ) بفتح وسكون في الألفاظ الثلاثة.

- (ع) ص١٨٠ (حِكح)، وفي(ت) ص٢٠٥ (جطح).

- (ع) ص١٨٠(تريد)، وفي(ت)ص٢٠٥ (يريد)

- (ع) ص١٨٠(وجِرَحْ جِرَحْ) بالراء المهملة، وفي(ت) ص٢٠٥ (وجزحْ جِزح) بالزاي المعجمة.

- (ع) ص١٨١ (وحاءٍحاءٍ- مهموز مجرور منون -) وفي(ت) ص٢٠٦ (وحاي حاي -بياء مجرور منون)

- (ع) ص١٨١(داغْ داغْ) – تسكين العين، وفي(ت) ص٢٠٧ (داعٍ داعٍ) – تنوين العين بالكسر.

- (ع) ص١٨٢(تدعوه)،وفي(ت)ص٢٠٧ (تدعوها).

- (ع) ص١٨٢(وه)، وفي(ت) ص٢٠٨ (وهو).

- (ع) ص١٨٢(عبُ عبُ ويلك بالضم للباء)، وفي(ت)ص٢٠٨ (عبُ عبُ- بالضم للباء) من دون ويلك.

- (ع) ص١٨٢ (عهعت بها عهعة)، وفي(ت)ص٢٠٨(عهعهت بهل عهعهة) بتكرار العين والهاء.
- (ع) ص١٨٣ (زّه زَه) بزاي معجمة، وفي(ت)ص٢٠٩ (رَه ره) براء مهملة.
- (ع) ص١٨٣ (كأنه قال: مدريّة فرخمها).
- (ت) ص٢٠٩(وأشلي إليك مديرى، كأنه قال: مدرية فرخمها) واضح ما سقط من(ع) ص١٨٣.
- (ع) ص١٨٣(وجٌ) بالجيم، وفي(ت)ص٢١٠ (وَحْ) بالحاء المهملة الساكنة. وكذلك (وسقْ) سقطت من (ع) ص١٨٣.
- (ع) ص١٨٤(هْي هيْ بكسر الهاء)، وفي(ت) س٢١٠ (بكسر الهاء – هِيْ هِيْ) الحاشية (اللسان هيه ٤٧٤١/٦، هكذا ورد الضبط قبل اللفظ).
- (ع) ص١٨٤ (فيما يغلب على(..)) الحاشية (كذا فراغ في الأصل وفيه أيضا: يقال الكلب تحريف، (ت) ص٢١١ (فيما يغلب على(...) الحاشية (في هذا الموضع سقط).
- (ع) ص١٨٢ (حَفُ حِفْ) بفتح وضم في اللفطة الأولى، وكسر وسكون في اللفطة الثانية .
- (ت) ص٢١٢ (حَفْ حَفْ) بفتح وتسكين في اللفظتين.
- (ع) ص١٨٥ (القوام) بزنة (فعال)، وفي(ت) ص٢١٢ (القوم).

- (ع) ص١٨٦ (ولفظ بها) الحاشية (في الأصل، ولفظها صوابه من الصحاح (لفظ)).
- (ت) ص٢١٣ (ولفظها) – بلا تعليق في الحاشية –
- (ع) ص ١٨٦ (وفاق يفوق فوقا)، (ت) ص٢١٤ (فاق يفوق فؤوقا) بتهميز الواو الأولى.
- (ع) ص١٨٦(وساف يسوف سوفا) – بالفاء – وفي(ت)ص٢١٤ (وساق يسوق سوقا) بالقاف، وفي الحاشية (الصحاح: سوق ٤/١٥٠٠).
- (ع) ص١٨٧ (يموت)، (ت) ص٢١٤ (تموت).
- (ع) ص١٨٨ (وألمعت المنون)، (ت) ص٢١٥ (وألمعت المنون به).
- (ع) ص١٨٨(قفى عليهم) بالفاء ، (ت) ص٢١٦ (قضي عليهم) بالضاد.
- (ع) ص ١٨٩ (طُحَنَ) بضم الطاء وفتح الحاء، (ت) ص٢١٦ (طَحُن) بفتح الطاء وضم الحاء.
- (ع) ص١٨٩ (طُحن دابة) بضم الطاء وفتح الحاء وتنكير(دابة).
- (ت) ص ٢١٦ (طَحُن لدابة) بفتح الطاء وضم الحاء، ومجيئ(دابة) مجرور باللام.
- (ع) ص ١٨٩ (وهي: الظرابيّ مشدودة الياء)، (ت)ص٢١٧ (وهو الظرابيّ– مشددة الياء).

- (ع) ص١٩٠ (الأُهُب) – بضم الهمزة والهاء)، (ت) ص٢١٨ (الأُهَب) بضم الهمزة وفتح الهاء .
- (ع) ١٩٠ (والأُنثى: الحرباء)،(ت) ص٢١٨ (والأُنثى: الحرباءة).
- (ع) ص ١٩١ (وأنشد الطرماح ..... وغاب حُبينُ حيث زاغت بنو سعد)

والحاشية: ديوانه:١٩٢ ؟، وفي(ت) ص٢١٩ (وأشد الطرماح ...... وغاب حًبين حين زاغت بنو سعد) أي (حين) هنا، وفي (ع) (حيث) وفي الحاشية: ديوانه: ١٩٢ .

نقول: ورواية الديوان أظهر وأثبت إذ (حيث) عوض (حين).

ملاحظة

قام(ع) ص١٩٣ باعداد تذبيل للكتاب بعنوان (الذيل) من خلال (٤) اربعة الفاظ (البُغة، الطائر، القنفذ،) عن (اللسان) و (البادل) عن (أمالي القالي) فضمها لكتاب(الفرق) لقطرب، إذ وردت في سياق كلام لقطرب في المصدرين .

ختاما فهذا جهد الباحثين الجليلين في تحقيق مخطوط يتيم بإخلاص قد يطوي هفوات غريبة على الرغم المحك المشترك، إلاّ أنهّا تعكس اجتهادا ووجهة نظر، ومذهبا في التحقيق لا يخدع المتلقي من المشاركة في مناقشة الخلاف والاختلاف وإبداء الملحوظات، إذ للناس فيما يعشقون مذاهب .

المصادر:

- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد السيرافي (ت ٢٦٨هـ)، تحقيق: محمد علي خفاجة، ط القاهرة: ١٩٥٥م.
- الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب (المتوفي بعد ٢٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور حنا حداد، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء / ط١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الأضداد، للأصمعي (ت ٢١٥هـ) – ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، ط بيروت: ١٩١٢م.
- الأضداد، لقطرب، تحقيق: حنا حداد، ط الرياض: ١٩٨٤م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي(ت ٩١١هـ) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: ١٩٦٤م.
- البلغة في أصول اللغة، للقنوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق تحقيق: نذير محمد مكتبي / ط١: دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، للفيروز آبادي، (ت ٨١٧هـ) تحقيق: محمد المصري/ ط وزارة الثقافة السورية: ١٩٧٢م.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، للفيروز آبادي، تحقيق: بركات يوسف هبود/ ط بيروت: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- البلغة في شذور اللغة(مجموع مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب ظهر معظمها في مجلة الشرق) ط بيروت: ١٩١٤م
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة ومراجعة: عبد الحليم النجار/ ط الهيئة المصرية: ١٩٩٣م-١٩٩٥م.

- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ط القاهرة: ١٩٣١م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، للتنوخي (ت٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- خِزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبدالقادر البغدادي(ت ١٠٩٣هـ) تحقيق: الدكتور محمد نبيل طريفي، بإشراف الدكتور إميل يعقوب، ط١:دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٨م.
- خلق الإنسان، للأصمعي (ت٢١٦هـ)، تحقيق: الدكتور أوغست هفنر، ضمن كتاب الكنز اللغوي، القاهرة: (ب.ت).
- دراسات لغوية، الدكتور حسين نصار، ط بيروت: ١٩٨١م.
- شرح مثلثات قطرب، الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور حنا جميل حداد، مجلة آفاق الثقافة والتراث .
- طبقات النحويين واللغويين / لأي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر: ١٩٧٣م.
- الفرق لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط٢: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الفرق في اللغة لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت٢١٠هـ)، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم العطية، مراجعة: الدكتور رمضان عبدالتواب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية بمصر: ١٩٨٧م.
- الفرق لقطرب (ت٢٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور صبيح التميمي، الدكتور محمد علي الرديني، مؤسسة الأشرف، ط٢ بيروت:١٩٩٥م.

- فعلتُ وأفعلتُ، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: الدكتور خليل إبراهيم العطية، البصرة:١٩٧٩م.
- الفهرست، لابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: رضا تجدد، ط طهران: ١٩٧١م.
- المثلث في اللغة، لقطرب (ت بعد ٢١٠هـ)، تحقيق: عدنان عمر الخطيب، ط دمشق:٢٠١٦م.
- مراتب النحويين، لأبي طيب اللغوي(ت٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة: ١٩٥٥م.
- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر: ١٩٦٤م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي(ت ٦٢٧هـ)، ط القاهرة:١٩٣٦م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد: ١٩٥٩م.
- نصوص محققة في اللغة والنحو، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن/ ط وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة بغداد:١٩٩١م.
- نور القبس المختصر من المقتبس، للمزربان، اختصار الحافظ اليغموري، تحقيق: رودولف زلهايم، ط فيسبادن:١٩٦٤م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتر وآخرين، فيسبادن: ١٩٦٢م.
- الوحوش، عبدالملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتور جليل العطية، بيروت: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

- وفيات الأعيان، لابن خلكان(ت٦٨١هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط بيروت: ١٩٦٨-١٩٧٢م.

الرسائل الجامعية

- ألفاظ خلق الحيوان من ذوات الظلف في كتاب (الفرق) لقطرب (ت٢١٠هـ) .
- دراسة دلالية – أطروحة دكتوراه، للباحث: صلاح الدين سليم محمد، بإشراف: الدكتور رافع عبدالله مالو، كلية الأداب، جامعة الموصل: ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.
- جهود قطرب في معاني القرآن وإعرابه، أطروحة دكتواره، جمع وتحقيق ودراسة: خضر حسين صالح محمد الجبوري، بإشراف: الدكتور جمعة حسين محمد البياتي، كلية التربية، جامعة تكريت: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- معاني القرآن وتفسيير مشكل إعرابه، لأبي على محمد بن المستنير قطرب، أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق: محمد لقرير، بإشراف: الدكتور منصور كافي، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجمهورية الجزائرية:١٤٣٦هـ – ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٥م-٢٠١٦م.

الدوريات

- مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد (٣)، العراق: ١٩٨٠.
- مجلة المورد، المجلد الثالث عشر، العدد (١)، العراق: ١٩٨٤.
- مجلة المورد، المجلد الثالث عشر، العدد (٢)، العراق: ١٩٨٤.

إشتغال نظرية الجشطالت في المنجز الطباعي

المدرس الدكتور
فلاح حسن علي العتابي
كلية الاعلام – جامعة بغداد

الأستاذ المساعد الدكتور
فرات جمال حسن
كلية الفنون الجميلة – جامعة بغداد

الملخص:

اكدت نظرية الجشطالت ان الانسان يكتسب الخبرة من المحيط الذي يعيش فيه، وكل المشاهد وتفاصيلها تترسخ في الذهن، وبمستويات مختلفة بين الناس. إذ إنّها قدّمت مفاهيم كانت غاية في الأهمية، وبالذات ما يتعلق بعمليات الإدراك وكيفية حدوث الابصار ومفهوم السلوك البصري، والتوزيع الذاتي الدينامي والتحديد العلائقي، والتنظيم وإعادة التنظيم والمعنى.

إنّ علماء نفس النظرية قدموا أفكارا ووقائع جديدة في مجال سيكولوجية الادراك وفسروا الكثير من الوقائع والعمليات المعرفية مثل الذاكرة، الاستبدال والانفعال، وخلصوا من هذه التفسيرات الى وضع مبادئ وقوانين تتيح التنبؤ بالبيانات ابتداءً من شروطها.

(الاطار المنهجي)

مشكلة البحث

تسعى هذه الدراسة الى البحث في نظرية الجشطالت واثرها في المنجز الطباعي. وان العملية التصميمية تخضع للكثير من المتغيرات التي تطرأ على جزء معين، أو على مجمل العمليات التصميمية، وقد تكون تلك المتغيرات مباشرة أو غير مباشرة، جذرية أو سطحية، صغيرة أو كبيرة. ومن هنا يمكن ان نتساءل:

١- ما أهم سمات نظرية الجشطالت، وما أهم مرتكزاتها في المنجز الطباعي؟

٢- ما الكيفيات وآليات اشتغال نظرية الجشطالت في التصميم الطباعي؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في نظرية الجشطالت، ومستجدات الدراسات السيكولوجية التي تبحث بميدان غاية في التخصصية، مما سيمكن من استثمار نظرية الجشطالت في التصميم بعامةٍ والتصميم الطباعي بخاصةٍ.

هدف البحث:

يسعى البحث إلى الكشف عن انعكاسات نظرية الجشطالت ، وآلية اشتغالها في فن التصميم الطباعي.

حدود البحث:

الحـدود الموضـوعية: بنيـة المنجـز التصـميمي فـي ضـوء نظريـة الجشطالت. الحدود الزمانية: سنة ٢٠٠٩؛ لان معظم النماذج تم انتقاؤها في هذه المرحلـة، التـي قام بتصميمها (المصمم ميلتون كلاسر[*]) وانجزها فـي هذه السنة فقط.

الحدود المكانية : الولايات المتحدة الاميركية.

---

[*] ميلتون جلاسر: ولد في ٢٦ حزيران ١٩٢٩ في مدينة نيويورك. التحق بالمدرسة العليا للموسيقى واتحاد كوبر، وأتيحت لـه الفرصـة للدراسة في أكاديميـة الفنون الجميلـة في بولونيا بإيطاليا بوصفهِ باحثا في برنامج فولبرايت. ومن هذه التجارب ولد فنانا.

في عام ١٩٥٤، انضم إلى استوديوهات Pin Pin ، التي أسسها بعض زملائه من خريجي اتحاد كوبر. قام بتوجيه المجموعة مع سيمور تشاواست، الذي لا يزال مدير الشركة الحاليـة – مجموعـة بوشبن، شركة إنش بـان، جعلتها تنبض فـي عـالم الفن بمعروضات في جميع أنحاء العالم، في اليابان والبرازيل وفرنسا. غلاسر غادر الشركة في عام ١٩٧٤ .

لقـد أثـر ميلتـون جلاسـر تـأثيرا عميقـا فـي عـالم التصـميم الجرافيكـي ، وجميـع أعمالـه فـي جميـع أنحـاء نيويـورك. كـان لديـه تـاريخ طويـل مـن الخبـرة الفنيـة فـي المدينــة ، وهــو مســتمر فــي التــأثير فــي عــالم التصــميم فــي مدرســة الفنــون البصرية. (https://ara.worldtourismgroup.com/milton-glaser-nyc-s-iconic-graphic-designer-57607)

تحديد المصطلحات:

النظرية (theory): وهي ((جهود وأبحاث مجموعة من الباحثين في موضوع معين)) (مصطفى ناصيف، ١٩٣٨، ص ٢٠٤). وتعرف كذلك على أنّها ((عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات التي تعطينا نظرة منظّمة لظاهرة عن طريق تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، وهذا بهدف تفسير تلك الظاهرة والتنبؤ بها مستقبلا)) (بول جبيوم وآخرون، ١٩٦٣، ص٣٣).

الجشطالت(Gestalt):

هي ((شيء يزيد على حاصل جمع أجزائه، أي أن له خصائص لاتنتج من مجرد جمع خصائص عناصر)) (رمزية الغريب، ١٩٧٨، ص٢٣٣). في حين عرّفها إياد الحسيني بأنّها: ((علم نفس الشكل، إذ لاتوجد ترجمة دقيقة للكلمة باللغتين الانكليزية أو العربية، وهي عملية إدراك الشكل والموسيقى والمؤثر، وردود الفعل، والجزء، والكل، والكل الجزئي والشكل والارضية، وأهم محاورها هو اهتمامها بإدراك لغة الشكل البصرية)) (اياد، ٢٠٠٨، ص٢٣٣).

يتبّنى الباحثان تعريف (الحسيني) تعريفا اجرائيا للجشطالت؛ لانه الأقرب الى متطلبات البحث الحالي.

(الاطار النظري والدراسات السابقة)

المبحث الاول

اولا: الأصل التاريخي لنظرية الجشطالت:

لم تكن الجشطالت وليدة العقد الأول من القرن العشرين، ولم يكن منبعها الأوّل ألمانيا على وجه الدقة، أورد علماؤها بحيوية جديدة في ميدان علم النفس ولاسيما في مجال الإدراك، وإنما تشعبت بها سبل الماضي وإن كان هناك اتفاق على مبدأ الكلية، فلا يأتي باحث بنقض ما أخطه من رأي أرسطو؛ لأنه أقرب للفلسفة منه إلى مجال السيكولوجي بوصفه حقلا علميا تجريبيا، وإنما شفيعي في ذلك أن لكل نظرية جذور ما هي إلا أفكار أو إرهاصات تتناقلها الأزمنة إلى أن تستقر وتتضح في الشكل المسمّى لها والمتعارف عليه. لقد ذهب العقل اليوناني في العصور القديمة إلى رأيه في المسألة الكلية في إطار دراسته للعالم واللاهوت والحكمة فرأى (أرسطو) أن الكائن الأول ينبغي أن يكون واحدا غير متجزئ؛ لأن الأجزاء تسبق الكل المتجمع منها. وكان لعلماء المسلمين ثمرة في العلم بأمر الكلية، ويذكر ابن سينا أن الإنسان وحده هو الذي يدرك الكليات بالنفس الناطقة، فالإحساسات المختلفة تجتمع في الحسِّ المشترك، ويُحدث عن ذلك الإدراك الحسّي، فهو بمثابة مركز الحواس الظاهرة (seifpsy.maktoobblog.com).

وفي مقابسة أبي حيان التوحيدي في الفرق بين الجزئي والكل يرى أبو سليمان أن الكل رُفِعَ منه جزءٌ من أجزائه بطلت صورة الكل(زكريا ابراهيم، ١٩٦٦، ص٤٨).

ومع توالي الدهور جاء (كانت) (١٧٢٤م -١٨٠٤م) بوحدة الفعل الإدراكي، فإننا ندرك أشياء يمكن أن تقسم إلى أجزاء، وإن كانت هذه الأجزاء تنتظم بشكل قبلي، ثم جاء بعد ذلك (برنتانو) (١٨٣٨م- ١٩١٧م)، الذي أكد على أن علم النفس علم دراسة الخبرات النفسية عملا وفعلا أكثر بوصفه دراسة لمحتواها، ولا ينكر أحد أن تقدم العلوم الطبيعية كان لها أثر تاريخي بالنسبة للجشطالت، فقد سعت العلوم الطبيعية إلى قوانين شمولية تنتظم تحتها موضوعات متعددة، ففي مباحث نشأة العقيدة الإلهية عند الإنسان نجد أنه جاء اعتقاده بكل آلهة قومه وأدرك، كونها وأفعالها ولما كان التفكير لاحقا على عملية الإدراك فقد انتقل من طور تعدد الآلهة إلى طور التمييز، والترجيح بينها، ثم إلى طور الوحدانية (مايكل فرنهيمر، ١٩٨٣، ص١٩٩).

المنظرون الرئيسون:

يُعدُّ ماكسفرتيمر (١٨٨٠م – ١٩٤٣م) بعامة مؤسس النظرية الجشطالتية وقد انضم إليه في وقت مبكر ولفجانج كوهلر (١٨٨٧م – ١٩٦٧م) وكيرتكوفكا (١٨٨٦م – ١٩٤١ م). وقد نشر الأخيران أبحاثا في النظرية الجشطالتية أكثرمن (فرتيمر) نفسه. وبعد عدة سنوات ارتبط (كيرتليف) (١٨٩١م – ١٩٤٧م) بالثلاثة السابقين وسار على منوالهم، ولكن الطريقة التي تبّناها وإن كانت متأثرة في الأسلوب الجشطالتي إلا أنها كانت مختلفة إلى الحد الذي حدا معظم علماء النفس للاعتقاد بأنه كان مؤسس نظرية قريبة جدا من النظرية الجشطالتية وهي التي عُرفت باسم نظرية المجال (Field Theory) أكثر من كونه من أصحاب النظرية

الجشطالتية وفيما بعد ارتبط اسم كل من رود و (لفارتيموسون) بها (احمد عزة، ١٩٧٦، ص١٢٨).

إن النظرية الجشطالتية نظرية مرتبطة في الأساس بمجال الإدراك. (ومع أن الإدراك كان من المؤكد من بين الأمور المهمة التي يركز عليها الجشطالتيون بشكل تقليدي في عملهم إلا أن التفكير والمعرفة وحلّ المشكلات والشخصية وعلم النفس الاجتماعي كانت من الأمورالتي تحظى بأهمية مماثلة، وما أن حلّ منتصف عقد الثلاثينيات حتى كان أصحاب النظرية الجشطالتية الأساسيين الثلاثة – ومعهما (ليف) (١٩٤٨م –) – قد هاجروا إلى الولايات المتحدة ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه البلاد المقر الرئيس (Arnneim,R.Gestalt,1980,P.189).

ثانيا: مفاهيم البنى الأساسية لنظرية الجشطالت:

الجشطالت (Gestalt):

إن المفهوم الأساسي في النظرية الجشطالتية، لا يمكن ترجمته إلى الإنجليزية والعربية ترجمة دقيقة، وبطبيعة الحال فإن هذا هو سبب بقاء الكلمة الألمانية، وهي جزء من مصطلحات علم النفس الفنية المستخدمة عالميا، والكلمة تعني أقرب ما يكون الى الصيغة أو الشكل أو الأُنموذج أو الهيئة أو النمط أو البنية أو الكل المنظّم، الجشطالت كل مترابط الأجزاء باتساق أو انتظام أو نظام فيه تكون الأجزاء المكونة له مترابطة ترابطا ديناميكيا، فيما بينها وبين الكل ذاته أو قل هو كلٌّ متكامل وكل جزء فيه له مكانة ودوره ووظيفته التي تتطلبها طبيعة الكل، الجشطالت هو النقيض

للمجموع إذ إن المجموع، ليس أكثر من حزمة من الأجزاء أو سلسلة من القطع التي قد تكون مشبوكة أو ملصقة بعضها ببعض بطريقة عشوائية (مصطفى ناصيف،١٩٨٣، ص٢٠٤).

البنية والتركيب (Structure and Composition):

يرى الباحثان ان لكل جشطالت بنية متأصلة فيه وتميزه من غيره، والحقيقة أن مهمة النظرية الجشطالتية تتمثل في وصف البنى الطبيعية بطريقة لا تشوه أصولها ومعظم أنواع الجشطالت لها قوانينها الداخلية التي تحكمها فبنية الجشطالت النمطي تقوم على طريقة ما بحيث يؤدي تغيير أي جزء من أجزائها إلى تغيرات حتمية في الغالب على تلك البنية.

الفحص البصري(Visual Examination):

إن "إدراك العلاقة بين جزئيات الموقف" الشكل وعناصره إدراكا صحيحا، ولكن هذا الفهم الصحيح يكون فجائيا، أي الوصول إلى حلٍّ للمشكلة يكون فجأة ، اما منطلقات نظرية الجشطالت فتؤكد أن أي تحسن في التعلم هو تحسن في تنظيم المجال الإدراكي (محمد المظفر،١٩٨٦،ص١٤). وهو مجرد الفهم للموقف وكيفية الوصول للحلِّ، وقد يقصد به الطريقة التي تعالج بها مشكلة بالبحث عن العلاقات الداخلية والمبادئ الرئيسة، ولكن هناك تعريفا أكثر دقة من ناحية نظرية الجشطالت حيث يمكن القول: إنّهُ يعني إدراك مفاجئ للعلاقات بين عناصر أو جوانب الموقف التعليمي نتيجة إعادة تنظيم تلك العناصر بشكل جديد، وهو دليل على أن الفرد فهم المشكلة وعرف ما يجب عمله لحلها ومما يؤكد أن الحل المفاجئ يأتي محاولةً

صحيحةً بعد المحاولات الفاشلة من خلال ملاحظة الكائن الحيّ الذي لا يكرر المحاولات الفاشلة.

الفهم (Understanding):

إن الكشف البصري هو تحقيق الفهم الكامل للأشياء، ويكون التعلم قد تم حصوله إذا كان هناك استبصار أو فهم، والفهم هو الهدف من التعلم.

التنظيم(Arrangement):

تنظيم بنية الجشطالت بطريقة خاصة ومميزة وفهم تلك البنية يعني تفهم طريقة تكوين مبادئ التنظيم، لفهم سيكولوجية التعلم ومن جانب آخر التعمق بالمعرفة أو الاستبصار، ومن ثَمَّ مبادئ التنظيم الجشطالتي تصبح من الأمور الأساسية لسيكولوجية التعلم، كما هي لسيكولوجية الإدراك. (قاسم صالح، ١٩٨٢، ص١٨).

إعادة التنظيم:

إذا استطاعت الكائنات الحيّة إدراك وفهم كل موقف جديد بصورة مباشرة، وصحيحة وبدون أية مصاعب فمعنى هذا أنه لا توجد حاجة للتعلم، ولكن الكثير من المشكلات تتم بصورة يصعب عمل أي شيء إزاءها أو حلها، إذا ما واجهناها للمرة الأولى بل وقد تبدو المشكلة للوهلة الأُولى غير قابلة للفهم، ولا معنى لها أو أنها غامضة ولا يصبح الحلُّ ممكنا إلا إذا أمكن التعرف بوضوح على الملامح الرئيسة للمشكلة. وهكذا فإن التعلم غالبا ما ينطوي على تغيير إدراكنا الأولي للموقف المشكل وإعادة تنظيم ذلك الإدراك حتى نحقق النجاح وبذلك نجد الطريق للتعامل مع المواقف وإعادة

التنظيم في صورته النمطية يعني استبعاد التفاصيل التي لا جدوى من ورائها وتصبح الملامح الرئيسة للمشكلة بارزة ونرى المشكلة أكثر وضوحا (قاسم صالح، المصدر نفسه، ص٢٤).

الانتقال(moving):

إن الاختبار الحقيقي للفهم هو إمكان انتقال الاستبصار الذي تم الحصول عليه إلى مواقف أخرى تشبه في بنيتها الموقف الأول، ولكنها لا تختلف عنه إلا في التفاصيل السطحية فالتعلم الأعمى القائم على الارتباط من غير المحتمل أن يكون قابلا للتعميم إلى المواقف الأخرى ذات الصلة أو المشكلات المشابهة والاستبصار الحقيقي هو الذي ينتقل إلى المجالات المرتبطة به (قاسم صالح، المصدر نفسه، ص ٤٧).

الدافعية الأصيلة (Authentic motivation):

إن تحقيق الاستبصار هو اكتساب الفهم وبمعنى آخر المكافأة ، والكفاية تمثل أهم أشكالها، ومن هنا فإن استخدام المكافأة الخارجية وأشكال التعزيز غير المترابطة ارتباطا مباشرا ومتداعيا بالعمل المحدد ذاته الذي نتعلم عنه شيئا، أمر ينبغي عدم تشجيعه وإيقافه فالدافع الأصيل لمحاولة عمل شيء له معنى من شيء جديد كافٍ في حد ذاته، ويؤدي إلى التعلم أما الدافع الخارجي فمن المحتمل أن يؤدي إلى التشويش وإلى الاهتمام بشيء لا علاقة مباشرة بينه وبين العمل التعلمي ذاته (اسماعيل شوقي، ١٩٩٩، ص٥١).

المبحث الثاني

اولاـ آليات اشتغال الادراك البصري في المنجز الطباعي على وفق نظرية الجشطالت:

يتعامل المصمم مع العمليات والظواهر والعوامل التي تتحكم في المجال الإدراكي بوصفها مدخلا أساسيا للوعي بطبيعة الرسالة الاتصالية (الجمالية)، ومدى فعاليتها في التأثير في المشاهد. وبقدر وعي المصمم بتلك القدرات الإدراكية يكون نجاحه في أستخدام أسس وعناصر التصميم، وفي التحكم في أمكانية ربط العناصر البصرية وتحقيق أكبر قدر من الأتساق بين الهيئات والأشكال في التصاميم ذات البعدين، كذلك ذات الأبعاد الثلاثة. إذ إن (عملية الإدراك تنطوي على قدرات فسيولوجية تتعلق بوظائف الحواس وتتحكم في آليات الإدراك البصري، كما تتعلق بالقدرات العقلية والنفسية التي تتضافر مع القدرات الفسيولوجية وتتشكّل من منظور الفروق الفردية التي تعكس العوامل الثقافية والبيئية لمستقبل العمل الفني) (اسماعيل شوقي، المصدر نفسه، ص٥٥).

وتمر عملية الإدراك البصري في أطوار متتابعة، تبدأ بالنظرة الإجمالية، ثم بعملية التحليل وإدراك العلاقات القائمة بين الأجزاء، ثم بإعادة تكوين الأجزاء في هيئة كلية، وأن عملية الإدراك البصري تبدأ في الأغلب بالكليات وتتحول الى الجزئيات بهدف التحليل والتأمل تمهيدا لإعادة التحول الى الكليات. وعلى الرغم من النظرة الإجمالية لأي عمل فني تسبق النظرة التحليلية إذ لا يمكن إدراك العلاقات بين الأجزاء ما لم يشمل إدراك المشاهد

أولا المُدرك بأكمله، لأن الأجزاء لا معنى لها إذا كانت منعزلة بعضها عن بعض، بل يتوقف معناها على موقفها من سائر الأجزاء وعلى كيفية إنتظام الشكل الكلي في أجزائه. فان(العمل التصميمي) الثلاثي الأبعاد يمكن للمشاهد أن يراه ككل، ولكن من زاوية أدراك واحدة.

وللمجال البصري خصائص كامنة فيه تُعدُّ بمثابة مثيرات للعملية الإدراكية، إذ يستدعي المرء معاني تـيُسر التعرف على الشيء المرئي، وتأويله وإدخاله في دائرة الأشياء التي يألفها، وعلى ذلك فإن الإدراك يكون إجماليا في مبدئه وتؤدي الألفة بموضوع الشيء المُدرك الى سرعة في الإدراك، كما أن (الإدراك البصري يعد عملية نامية متتابعة، إذ تتحول نواتج الإدراك البصري لموقف ما الى مقدمات تساعد على حسن الإدراك، وسعة مجاله) (علي منصور،١٩٩٦، ص٢٧).

ومن غير شك فإن العمليات الإدراكية البسيطة تؤدي وظيفتها فعلا وتوفر البيانات الحسيّة التي تستند اليها العمليات الأكثر تعقيدا. ويتميز إدراك الإنسان بخصائص متعددة من أهمها:

١- مادية الإدراك:

تتجّلى مادية الإدراك في (قدرة الإنسان على إرجاع المعلومات الواردة اليه من العالم المحيط به، فيقدم المادة الخام والنتاج الأولي لعملية المعرفة، كما يؤلف الطور الأول من عمل جهاز الفرد النفسي والمعرفي، ويكون في الوقت نفسه الإطار المرجعي لكل النتاجات المعرفية الراقية) (عبد الفتاح الديري، ١٩٧٢، ص١٨٣). وقد تبين أن الخاصية المادية للإدراك ليست

خاصية فطرية، بل هي صفة يكتسبها الفرد في سياق نموه، وتتكون لديه على شكل منظومة من الأفعال الحسيّة – الحركيّة، التي تتيح له إمكان اكتشاف مادية العالم الخارجي.

٢- خاصية الكلية:

تتجّلى في أن الإدراك لا يعكس الخصائص المتفرقة للشيء الذي يؤثر مباشرة في أعضاء الحواس، وأنما يمثل صورة كلية ناجمة عن تنظيم الإحساسات في شكل أو نمط أو بنية متماسكة وإظهار الخصائص، والكشف عن العلاقات والروابط التي لا يمكن إظهارها أو أكتشافها عن طريق الإحساسات فقط (قاسم حسين ،١٩٨٧، ص١١٥)، إذ تتكون الصورة الإدراكية الكليّة عن طريق تعميم ماهو مشترك وعام من الصفات والخصائص لفئة أو صنف من الموضوعات؛ لذا يتبين أن مهمة الإدراك الرئيسة تكمن في اكتشاف البنية الكلية الثابتة والجوهرية للموضوع المُدرك (التصميم أو المنجز الطباعي).

عملية الادراك (perception):

تُعدُّ عملية الإدراك عملية غير مباشرة، ولها درجة من التعقيد، سواء اتخذت تلك العملية شكل عملية عقلية – معرفية أو عملية توجيهية تكيفية، أم عملية تفاعلية اتصالية، فاكتمالها وتحقيقها للوظيفة المناطة بها، يحتاج دائما إلى توافر عدد من الشروط الضرورية لحدوث عملية الادراك ونجاحها وهي:

١- العالم الخارجي: تحتاج عملية الادراك إلى وجود عالم خارجي مستقل عن الفرد وحافل باشياء وموضوعات وخصائص وصفات لاحصر

لها، شريطة أن تكون للخصائص المؤثرة درجات من الشدة تقع في حدود معينة تكفي لتنبيه واستثارة أعضاء الحواس التي يستقبلها الفرد، ومن ثم تحويل قوة هذا التنبيه من طاقة فيزيائية أو كيميائية إلى طاقة عصبية (محمد خيري واخرون، ١٩٩٤، ص١٨٧).

٢- الحواس: حتى يتم إدراك العالم الخارجي لابد من وجود حواس؛ لأن (الحقيقة التي لاشك فيها هي أن وعي الفرد بالعالم الخارجي يعتمد كليا على نشاط أعضاء الحسِّ سليمةً لكي يدرك هذا الفرد ادراكا مباشرا) (محمد خيري واخرون، مصدؤ المصدر نفسه ،ص١٨٩).

٣- وجود أجهزة حركية سليمة ونشطة مهمتها التآزر مع أعضاء الحواس لفحص الموضوعات وتعقبها والدوران حولها أو دفعها... بقصد الحصول على معلومات أشمل وأدق عن تلك الموضوعات (قاسم حسين ،١٩٨٧، ص١٩٧).

٤- وجود جهاز عصبي ناقل للمعلومات أو التنبيهات التي أحدثتها موضوعات الادراك من أعضاء الحواس إلى الجهاز العصبي المركزي المتمثل بالجزء الدماغي المتخصص في معالجة المعلومات الواردة.

٥- وجود جهاز عصبي مركزي سليم من الناحية البنيوية (التشريحية) ومن الناحية الوظيفية (الفسيولوجية) تكون مهمتهُ تلقي المعلومات الحسيّة الواردة عن طريق أعضاء الحواس وتجميعها وتنظيمها تمهيدا لمعالجتها، ومن ثم تأويلها وتفسيرها من أجل صنع إنموذج لها أو إلحاقها بأنموذج قد سبق تكوينه من قبل (علي منصور، ١٩٩٦، ص٣٨).

٦- القدرة على التفسير والتأويل من حيث إن الاحساس وحده لا يكفي ولا قيمة له اذا لم يكن له معنى، فالاحساسات وحدها لا تفسر تماما خبرة الفرد بالعالم المحسوس؛ لان الخبرة والتعلم هي التي تمكن الفرد من ترجمة إحساساته التي يتلقاها من العالم الخارجي، أو إعطائها المعاني اللازمة التي تتلاءم مع الشيء المدرك، فكلما زادت خبرات الفرد زاد إدراكه ثراءً فيما بعد(علي منصور، المصدر نفسه، ص٣٩).

٧- الانتباه: يُعدُّ الانتباه من أهم خصائص الإدراك؛ لان له طبيعة انتقالية، ولذا فهو عامل مهم في الإدراك (محمد خيري واخرون، ١٩٩٤،ص٢٢٠).

ثانيا . قوانين الجشطالت في المنجز الطباعي:

تؤثر العوامل المختلفة فيما وكيف ندرك، تصوراتنا تتأثر بالطرق التي تتحفز بها أجسامنا للاستلام من البيئة، وتتأثر تصوراتنا بعواطفنا وباحتياجاتنا وتوقعاتنا ومستوى تعلمنا أيضا.

ولكل من المستقبلات في المنظومة الحسيّة أعضاء وأجزاء ومحاور عصبية خاصة بها مثل أعضاء الإبصار وأعضاء السمع واللمس وهي مجموعة أجزاء تخصصية منفصلة ومميزة عن سائر أجزاء المنظومة وتعمل ضمن نظام مختلف عن الأنظمة الحسيّة الأخرى، ولكن لتخفيف نفس الأغراض الفسيوسيكولوجية، فان هذه الأعضاء تدعى المستقبلات وهي بشكل عام تشترك في كونها تكون المسؤولة عن تغيير شكل الطاقة المادية المستلمة من البيئة المحيطة إلى طاقة وشحنات مندفعة ومتدفقة خلال

الجهاز والقنوات العصبية في الجسم، فالعين البشرية على سبيل المثال، لها نوعان رئيسان من المستقبلات في شبكية العين (الجزء الحساس للإضاءة من العين) وتدعى هذه المستقبلات بالقضبان أو (العصيات) والمخاريط (محمد خيري واخرون، ١٩٩٤، ص٢٧٥).

والقضبان تتحسس وتستلم موجات الضوء، لكنها لا تميز ترددات اللون، وهي ترددات مختلفة من الضوء وعلى ذلك، فان المخاريط هي المسؤولة عن استلام وتمييز الترددات المختلفة من الضوء، وهي لذلك تعرف بمستقبلات اللون. تسمح القضبان لنا بالإبصار في الضوء الخافت، والمخاريط تمكننا من إبصار الألوان والتفصيل الحاد في الضوء اللامع، وهكذا فإن هذه الوظائف التفصيلية ومستوى الكفاية لكل من هذه الأجزاء والمحاور وتنسيق طرق وآليات العمل وتوقيتاته في تلك المُستقبلات يؤثر تأثيرا فاعلا وحاسما في تقرير التأثيرات الإدراكية التي تتعلق بها (علي منصور مصدر سابق، ص٤٣).

وتحدد ميزات فيزيائية ووظيفية معينة في الدماغ بعض سمات الإدراك أيضا، مثلا جزء الدماغ الذي يؤدي مهام استلام الإشارات البصرية له أنواع مختلفة من الخلايا التي تستجيب فقط بموجب حالات معينة من التحفيز الضوئي، وبعضٌ من هذه الخلايا عند وصول الإشعاع الضوئي على شكل دفعات (ومضات)، تتوقف عن الاستجابة إذا حدث نوع من التقاطع الزمني والتعارض المكاني بين نوعين من الإرسالات الضوئية (متصل وومضات) ومثل هذه الخلايا مرتبة في مسالك خاصة من الدماغ تعمل بشكل منسق لا يقبل التعارض، وهذه الحقيقة متعلقة بكيف ندرك وماذا ندرك فعلى سبيل

المثال، بعض الخلايا مرتبة في أعمدة أو في عناقيد (وبحسب الظروف الوراثية للشخص) ومثل هذه الترتيبات تتعلق بكم وكيفية إدراكنا لحافات الأشكال وأحجامها وتداخلاتها؛ ونتيجة لذلك فان تركيب الدماغ عامل مهم وحاسم في الإدراك.(علي منصور مصدر نفسه، ص٩٥)

ويمكن تقسيم العوامل المؤثرة في الإدراك على النحو الآتي:

أولا: عوامل موضوعية:

تشمل مجموعة العوامل المتمثلة في الخصائص الفيزيائية والكيميائية والإشعاعية والحرارية التي تتصف بها موضوعات العالم الخارجي من شكل ولون وحجم وحركة وشدة وتغير، ومن تراكيب وأبنية متنوعة، فضلا عمّا يحيط بهذه الموضوعات وخصائصها من شروط نفسية تؤثر في عملية إدراكها (لندا دافيدوف، ١٩٨٣، ص٢٦٢).

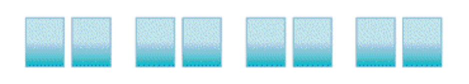
وقد اكتشف أصحاب نظرية الشكل بعض العوامل الموضوعية التي تحكم تكون الجشطالت (الكل) وتمثل السمات الأساسية للشكل: (احمد فائق، ١٩٧٨، ص١٤٧)

عامل مبدأ التقارب، عامل مبدأ التشابه، عامل مبدأ الاستمرارية، عامل مبدأ الإغلاق أو التكميل،

عامل مبدأ الشمول أو السياق، عامل مبدأ التماثل، عامل مبدأ الشكل والأرضية.

١- مبدأ التقارب:

يتمثل في أن المثيرات إذا كانت على شيء من القرب والانتظام، فإن الشكل يميل إلى صياغة الوحدات المتقاربة في وحدة كلية واحدة. كما في الشكل (١)

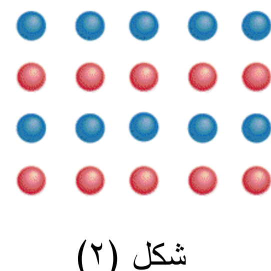


شكل (١)

ندرك كمجموعات الصناديق الأقرب أحدهما من الأخر. لاحظ أننا لا نرى الصندوق الثاني والثالث من اليسار كزوج لأنهما متباعدان.

٢- مبدأ التشابه:

يتمثل في أن المثيرات المتشابهة من حيث اللون والشكل أو التركيب أو الحجم أو الشدة أو السرعة أو الاتجاه تنزع إلى أن تتجمع وتتوحد معا في نمط أو أنماط محددة، بحيث يتم إدراكها على أنها مجموعة أو مجموعات متشابهة تنتمي إلى صنف واحد. كما في الشكل(٢) (مها العاني، ١٩٩٩، ص٤٣)

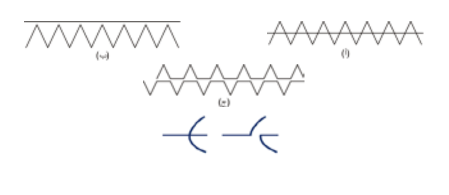


شكل (٢)

يقود قانون التشابه ليربط سوية أجزاء من الحقل البصري المتشابه في اللـون والإضـاءة والنسيج والشـكل أو إي نوعيـة أخـرى؛ لهـذا السـبب نـدرك صفوف الأشياء بدلا من الأعمدة أو ترتيبات أخرى في الشكل.

٣- مبدأ الاستمرار:

يتمثل في عدم الانقطاع في إدراك مسار المثير، أو تدفعه على الرغم من تقطعه في الواقع، فميل الجشطالت إلى الانعزال عن أرضيتها على وفق قـانون انتظامهـا الـداخلي، وقـوانين الانتظـام لا تخـرج عـن كونهـا اسـتمرار المثيـر بحسـب وحـدة مـن رتابـة الواقـع والتـأثير كمـا فـي الشـكل(٣) (فرج الكامل، ١٩٨٥، ص١١٢).



شكل (٣)

يقودنا قانون الاستمرارية لنرى خطا كاستمرار في اتجاه معين أكثر من عمل استدارة مفاجئة نرى خط مستقيم مع خط منحني من خلال الرسم على جهة اليسار. لاحظ أننا لا نرى الرسم على جهة اليمين رسما يحتوي على قطعتين.

٤ - مبدأ الإغلاق:

يتمثل هذا العامل في انه ينطوي على فكرتين تشير الأولى إلى أن

وجود الحدود المغلقة يساعد في إدراك المساحة المحدودة كشكل على أرضية، بينما تشير الفكرة الثانية إلى ظاهرة الإغلاق أو التكميل وخلاصتها أن الشخص المدرك يقوم بصورة تلقائية بإكمال الأشكال الناقصة، كما في الشكل (٤) (مها العاني ، المصدر نفسه،ص٤٥).

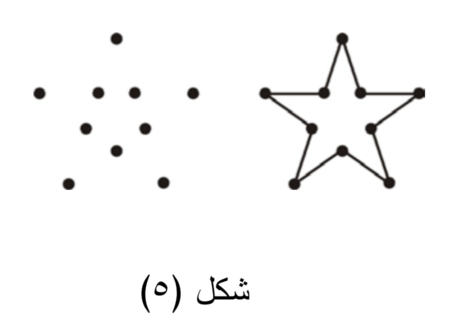


شكل (٤)

٥- مبدأ الشمول:

يتمثل هذا العامل في أن السياق الذي يشمل كل العناصر في الشكل يكون أكثر قابلية للتنظيم الإدراكي من أي سياق آخر لا يستخدم جميع عناصر الشكل، كما أن مبدأ السياق أو الشمول كمبدأ عام يميل إلى أن يتحكم في الكثير من الموضوعات المدركة التي يتحدد معناها على وفق

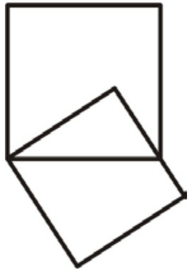
السياق المحيط بها أو التنبهات التي سبقتها أو تصاحبها. فالكلمات والجمل في اللغة المنطوقة يتحدد معناها في ضوء السياق الذي ترد فيه، فضلا عن أن السياق يتحكم أيضا بإدراك الفرد للحروف والكلمات المكتوبة، كما في الشكل (٥) (روبرت شولز،١٩٧٧،ص١٠٠).



شكل (٥)

٦- مبدأ التماثل:

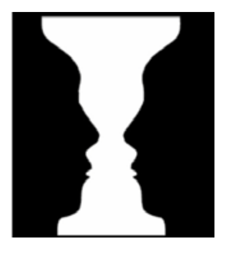
يتمثل في أن عوامل الرؤية التي تتكون من أشكال منتظمة وبسيطة ومتوازنة ترى وكأنها ينتمي بعضها إلى بعض، فمعظم الناس يقررون مشاهدة مربعين متداخلين كما في الشكل (٦) أكثر من كونهما شكلين غير منتظمين ومثلث.



شكل رقم (٦)

٧- مبدأ الشكل والأرضية:

يدرك الفرد الأشياء بصيغ مركبة، بعضها قوي وبعضها ضعيف. والصيغ القوية هي التي تجذب الانتباه. وكل صيغة هي في الواقع شكل له إطار خاص، ويبرز هذا الشكل على أرضية تكون أقل ظهورا. وقد يتساوى الشكل والأرضية من حيث قوة الظهور بحيث يتذبذب الانتباه بينهما كما في الشكل (٧). فأننا إما أن نرى قدحا وأما أن نرى وجهين متقابلين.



شكل رقم (٧)

لهذا التمييز بين الصورة والأرضية ،أهمية بالغة في حياتنا المألوفة حيث يحصل تراكب بين الإدراكات، وتفاوت في المنزلة للأشياء. أن مبدأ الشكل والأرضية يبدو أنه أساس لإدراك جميع الأشياء، فأي شيء لا يمكن رؤيته كشئ إلا إذا فصل عن خلفيته.

وأكدت دراسة ليفين (Levin) عام ١٩٣٦ ودراسة (أنانايف) (Ananaeff) عام ١٩٦٦م وجود أربع مراحل أساسية لنمو الحاجة إلى الإدراك وهي:

١- مرحلة التوتر الذي يشير إلى نقص في المعلومات الضرورية في لحظة معينة عن موضوع معين يشبع حاجة ملحة لدى الفرد في تلك اللحظة، إذ كلما كانت المعلومات الناقصة أكثر أهمية لبلوغ موضوع الحاجة لديه زاد من مستوى التوتر لدى هذا الفرد، وتسمّى هذه المرحلة بالانطباع الإجمالي المبهم.

٢- مرحلة البحث عن المعلومات، وفي أثنائها يزداد التوتر الناجم من الحاجة وإلحاحها، وفي الوقت نفسه تتعاظم قوة التحرك باتجاه الهدف الذي يشبع من هذه الحاجة، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة التحليلية.

٣- مرحلة الحصول على المعلومات الضرورية التي تساعده في إشباع الحاجة إلى الإدراك وتسمّى هذه المرحلة بإعادة تأليف الجزاء.

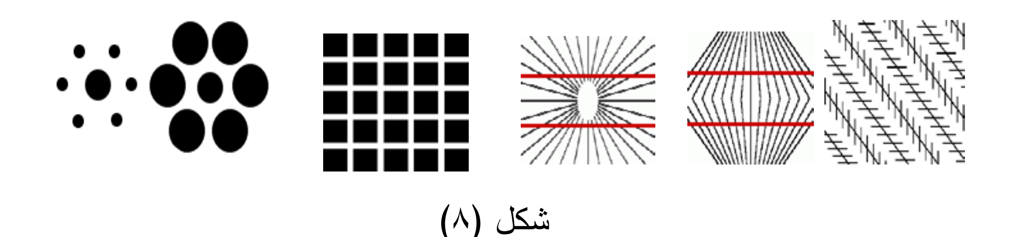
٤- مرحلة التفريغ أو استبعاد حالة التوتر، وظهور مقدمات وشروط معينة تحيط بالفرد، وتكون سببا في نشوء حاجة أو حاجات جديدة بحيث تؤدي بدورها إلى دورة جديدة من النشاط من أجل إشباع الحاجة وهكذا. وتُسمّى هذه المرحلة بالمرحلة العقلية النفسية(فرج عبو،١٩٧٧، ص١٣٢).

- متغيرات الإدراك:

هناك ثوابت وقواعد قياسية للإدراك بفعل الكثير من العوامل مثل تراكم الخبرات التقليدية والقوانين الفيزيائية للإبصار والحقائق التشريحية للعين البشرية والآليات والتسلسلات البديهية للنواقل العصبية وما يترتب عليها من استلامات وتحليلات ذهنية، مما يعني أن خرقا أو تلاعبا مقصودا أو غير مقصود بتلك القواعد والقوانين والأنظمة قد يشكل التفافا على التوصلات التي

تنتجها عملية الإدراك ومن ثم بناء موقف إما خاطئا بشكل غير ملحوظ أو مشوشا ومربكا مما يعني أنّ إدراكنا البصري لا يمكن أن يكون مؤتمنا دائما، فمكوّنات شكل ما وعناصره يمكن أن يحرّف إدراكنا النهائي للشكل على غير حقيقة.

استخدم قدماء اليونانيين تقنيات الخداع البصري والتي ظهرت بتحدب طفيف في أعمدة البارثينون للتعويض عن التقعر الحاصل نتيجة الخطوط المتوازية، ومنذ ذلك الحين تحدث الكثير من الفنانين والفلاسفة والنفسانيين عن الإيهام والخداع البصري. وفيما يلي اشهر نماذج الانحراف الادراكي والخداع البصري. كما في الشكل (٨).



شكل (٨)

نقد وتحليل نظرية الجشطالت:

لقد شكلت نظرية الجشطالت موقعا نقديا جديدا في الفن على أساس ذلك الجهد الابداعي الخّلاق المستقل بكيانه، وان الفنان يحرر نفسه القيود التي تفرضها عليه الكثير من الاحكام والمعايير القديمة ولم تكف هذه الحرية الفنان حسب، وانما طالت حرية الفنان في موضوعه الفني ذاته الذي عدّه أحد القيود التي تحدد ابداعه وتعبيره.

ومن ثَمَّ يرى الباحثان أن موضوع الشكل في نظرية الجشطالت من الموضوعات التي يراها المصمم الطباعي والحدود الأساسية لتفسير المعنى المطلوب خلال منجزه الطباعي، ولا يمكن ان ينفصل الشكل عن المعنى في جميع الحالات او الأساليب التي يعتمدها الفنان ويعد الشكل المظهر الخارجي للمضمون مرتبطا برؤية المصمم، وأحيانا يخلط بين الشكل والهيئة، اذ تمثل الهيئة المظهر الخارجي للمادة او الجسم من دون أخذ التفاصيل التي يحتويها ولكن اذا دققت في التفاصيل فتكون تلك الحالة ازدواجية بين الهيئة والشكل. اذ يمثل الشكل الصياغة الأساسية للجسم او المادة بينما تمثل الهيئة المفهوم العام للشكل أو هي التي تتكون من مجموعة أشكال تختلف في المظهر الخارجي للمادة والجسم. ويميز فرج عبو بين مفهومي الشكل والهيئة فيقول " إن الهيئة هي المظهر الخارجي للمادة أو الجسم من دون أخذ التفاصيل التي يحتويها، ولكن اذا دققنا في التفاصيل فتكون في تلك الحالة ازدواجية بين الهيئة والشكل، ولهذا فالشكل هو الصياغة الأساسية للجسم او للمادة أما فهي الهيئة في المفهوم العام للشكل(راضي حكم، ١٩٨٦،ص٦٤)، إذ أن لكل منجز طباعي شكلا ومحتوى، فالشكل يكون خاضعا للعلاقات التي ترتبط بالتكوينات، ويدرك من خلالها. واما المحتوى والمعنى فيتم استيعابه من خلال تنظيمات الشكل نفسها وان أي عمل تصميمي لا يمكن فصل شكله عن معناه أو بالعكس في جميع الحالات أو الاساليب التي يعتمدها الفنان، فالشكل هو أول عناصر بناء التصميم الأساسية وأكثرها أهمية ومنه تبدأ العلاقات بالعمل وفيه تكون بداية التعبير لما سيكون؛ لأنه عنصر تعبيري وعنصر تنفيذي في الوقت نفسه لما يحمله من دلالات يمكن

مطابقتها مع خزين الذاكرة الصوري أو الاقتراب من تعبيراتها لما ينجزه في عمليات إنشاء وحدة التصميم العامة.

ويعد الشكل اساسيا وضروريا للتعبير عن أية فكرة او معنى (جلال جميل،٢٠٠٢،ص١٦٩). ويتحدد الشكل بالخصائص ويتكون المعنى من قيم وأفكار، وهي اشارة الى ترابط الشكل بالمعنى، لقد ميّز افلاطون بين الشكل النسبي والمطلق، واعتقد أن هذا التمايز يجب ان يطبق على تحليل الشكل التصويري وقد عني افلاطون بكلمة الشكل النسبي، الشكل الذي كانت نسبته او مجاله موزونة في طبيعة الأشياء الحسية وفي طبيعة الصورة المحتوية للأشياء للإفصاح عنها وتجسيد العلة بين الدال والمدلول.

والشكل المطلق الصورة أو التجريد الذي يتكون من مجموعة الخطوط المستقيمة و المنحنيات والسطوح وللشكل أربعة أنظمة بناء شكل هندسي (Shape Geometric) وشكل طبيعي(Natural Shape) وشكل تجريدي (Shape Abstract). إذ إن أنساق مبنى الشكل تتداخل، وتتآزر بالتبادل فيظهر نشاط يحمل في مجمله معنى سيميائيا، وتكمل أنظمة عدة من العلامات بعضها بعضا ويعد التأويل هو النتيجة الحتمية التي تمر عبر العلامات اذ تسمح بالتذكر والتواصل مع الآخر وبإعطاء معنى للشكل(هربرت ريد، ١٩٩٦، ص٢١).

فالشكل يُعدُّ بمثابة مرشد فهو ينّبه المتلقي على عناصر مختارة معينة ويجعل المتلقي يركز اهتمامه عليه فهنا لا نعمل على دراسة الشكل عبر اجزائه الفردية او تتابعيا فحسب، وانما بموجب العلاقات بين تلك الأجزاء، أي ان يدرس الشكل بطريقة جشطاليه لكونه فعلا موحدا ونظاما مكثفا ذاتيا.

بهذا المعنى يتحول الشكل (Shape) بوصفه جزءا واحدا من منظومة الهيأة (Form)، وعلاقات ربطها وصولا الى المعنى الخفي وراءه، أي الدلالة الشكلية، التي تعبر عن الأفكار، فلا يمكن الفصل بين الشكل والتنظيم البنائي للهيكل العام والمعنى، فالتنظيم يعمل على تقويم الشكل وهو يحتاج الى ما يدل عليه (ومن الشكل نكتشف العلاقة الحقيقية بين الفنان وحضارة المرحلة التي يعيشها فالمرحلة او الحضارة او البيئة المحيطة للفنان هي التي تمنح الشكل وتفرض عليه مضمون العمل الفني) (نصيف جاسم، ٢٠٠٤، ص١٦)..

إذ إن للشكل قدرة على القيام بوظائف متعددة ومتنوعة في المنجز الطباعي بوصفهِ مصدرا لقيم متباينة ومنظما لعناصر الوسيط المادي التي يتضمنها العمل ويحقق الارتباط المتبادل فيما بينهما ويدلّ الشكل على الطريقة التي تتخذ بها هذه العناصر موضعها، والشكل الفني ليس مجرد قالب نقوم بصب المضمون فيه، وليس هناك الشكل الفني المسبق المحدد الذي يمكن فرضه على أي عمل فني، والأشكال الفنية تختلف باختلاف بصمات الأصابع، ومن هنا تبرز أهمية وعي المصمم الطباعي بمضمونه " "لهذا فإّن الأشكال القابلة للتطوير الذهني هي الأكثر فهما لفئة بشرية من دون أخرى، وبالمقابل فالأشكال ليس لها محدودية جغرافية في الأقل فإّن المتلقي لا يمكن ان يضع لها محيطا"(كرام هاف،١٩٨٥،ص٦٥).

تستند العملية الفنية في المنجز الطباعي الى مستويين اثنين، أولها: المستوى المرئي وهو الشكل التصميمي المتعين بمقدارها، وثانيهما المستوى غير المرئي، وهو الذي تثيره الدلالات، أو الايماءات المبثوثة في المطبوع

مـن الخـط واللـون والكتلـة...الـخ وبهـذين المسـتويين يكتمـل البنـاء الفنـي والجمالي للمطبوع وهما من الأهمية بمكان، إذ إن افتقار أحدهما يؤدي الى عطل في آلية اشتغال المطبوع ومن ثم يقود الى عرقلة العملية الاتصالية مع المتلقي، وهنا يجب ان نميز بين الشكل الخارجي والشكل الداخلي (فالشكل الخـارجي هو صـلة الدال بالمدلول من زاويـة نظـر المـدلول، ودراسـة الشكل الخـارجي أسـهل؛ لانهـا تبدأ مـن الحقـائق الصـورية المدركـة، ودراسـة الشـكل الـداخلي أصـعب؛ لانهـا تتنـاول سـيكولوجية لحظـة الخلـق لحظـة التكـوين الـداخلي للمـدلول وتجسيدها الفوري فـي شـكل دال) (علـي منصـور، مصـدر سابق، ص٢١).

وتـرى نظريـة الجشـطالت الشـكل كليـا لا يتجزأ وتفتـرض ان الإدراك يـتم تنظيمه في وحدات شكلية كليا " وان الإدراك ليس إدراكا لجزئيات أو عناصـر تجمـع بعضـها بعضـا؛ لتكـوين المـدرك الحسـي، وإنّمـا هـو إدراك لكليـات؛ ثـم تأخذ الجزئيات تتمـايز وتتضـح داخـل هذا الكل الذي تنتمـي إليـه. وان الكل لا يختلـف عـن مجمـوع أجزائـه " (خليل الواسـطي، ١٩٩٨، ص١٥) فالشـكل في أي منجز طبـاعي لا يمكن ان يرى الا من خلال الكل المدرك وليس من خـلال الأجـزاء المكونـة لـه كالصـورة وحـدها او الكتابـة او أي عنصـر مفـرد فلـذلك نلجـأ الـى التشـكيل وهـو عمليـة تنسـيق والوحـدة بـين الأجـزاء كـاللون والشكل والكتابـة وكيفيـة تنسيق هذه المدلولات؛ لإعطـاء معنـى مقصـود مرئـي نستهدف اظهاره لعالم الوجود وهو امر ليس بالهين.

ويبـدو مـن هنـا ان المفـاهيم الادراكيـة سـلوك ينمـو ويتطـور بالمعرفـة والخبرة، فاستقبال المثير المـدرك (للمنجزات الطباعيـة) يعتمـد علـى مايحـدث

من تفاعل بين هيئة المنجز الطباعي والملتقي، وهذا يقودنا الى اهمية الرؤية الادراكية كمرحلة لاحقة للرؤية البصرية في استيعاب ثبات بنية الشكل، او بنيات الاشكال بخصائصه الأربعة وهي: الشكل، والحجم، واللون، والملمس. (خليل الواسطي ، المصدر نفسه، ص٢٠)

من هنا تبرز أهمية التواصل بين المصمم الطباعي والموضوعات البيئية والمعرفية التي تغذي مجالات نشاطه الفني، لذا فالمصمم الطباعي يجب ان يتوافر فيه نسبة عالية من التخزين الحسّي لمفاهيم وأطر عملية الاتصال، وأطر عمليات تقنيات النشر والطبع تمكنه من الوصول الى درجات المنجز الطباعي أو سلم الابداع؛ وذلك لكون العمل يستلزم منهج التفكير البصري في الخلق والابتكار، عند ذلك يمكن للمصمم ان يقدم التوليفة البصرية بمكوناتها الشكلية والجمالية والوظيفية المؤثرة والفعالة، وتفيض تأثيرات جديدة وتترك في نفس المتلقي شيئا له معنًى.

(اجرءات البحث)

منهجية البحث

اعتمد الباحثان منهج التحليل المفاهيمي في تحليل العينات بوصفه الأنسب والأكثر مواءمة لتحقيق هدف البحث.

مجتمع البحث

اقتصر مجتمع البحث بدراسة نظرية الجشطالت وتطبيقها في المنجز الطباعي ، اذ بلغ مجتمع البحث (ثلاثة) نماذج فقط ، مثّلت المجتمع الكلي للبحث.

عينة البحث

جرى اختيار العينة من المجتمع الأصلي الكلي ، إذ بلغ عددها (٣) على وفق المعطيات الآتية:

- العلاقات التصميمية
- التنظيم الشكلي
- المدلولات التعبيرية والجمالية

تحليل العينات

أنموذج (١)

الوصف العام:

اسم العلامة : احب نيوورك

المصمم : ميلتون كلاسر

سنة الانجاز : ٢٠٠٩م

المكان : الولايات المتحدة الاميركية



التحليــل:

يتكـون الملصـق مـن مسـتطيل عرضـي يحتـوي علـى لـونين الاسـود والاحمر على فضاء ابيض.

فكرة الشعار الرئيسة هي التنظيم الصارم الذي استخدمه المصمم في الحروف وإضافة ايقونة شكل القلب للتعويض عن كلمة الحب (LOVE). مما ربط الحروف بهذا التكوين الرمز والمختصر؛ لاجتذاب المتلقي واستقطاب الانتباه عبر العلاقات اللونية المستخدمة والتضاد اللوني في واحدة من أقصى حالات جذب الانتباه البصري ضمن التضاد بين اللونين الاسود والاحمر؛ مما منح التنظيم الشكلي للعناصر البصرية بُعدا هندسيا يوحي بالدقة العالية والانضباط، والاستخدام التجريدي للحروف والايقونة (القلب)، وقد ابتعد عن التوغل في الايحاءات الزمانية والمكانية والمدلولات التي تعتمد على ذلك بل تعامل مع المتلقي عبر رموز تجريدية تتحول الى ثوابت؛ لتؤكد رغبة المصمم بخلخلة الإدراك اللفظي داخل القراءة الهادئة والرقيقة في العلاقات التنظيمية، ومن هنا فان التصميم بحسب استنتاجات نظرية الجشطالت قد عمل بمبدأ الشكل والارضية. ويُعدُّ هكذا تأسيس نوعا من المحاكاة والتشبيه لوقائع قريبة من الواقع.

أُنيط بها تحقيق إثارة بصرية ذي بساطة شكلية متزامنة من التنوع التقني، وهذا ما اثر في ظهور ملصقات أُخرى مشابهة لتلك الفكرة مثل احب بولندا، وغيرها.

أنموذج (٢)

الوصف العام:



اسم العلامة : ملصق ارشادي منظمة الصحة العالمية لمعالجة مرض الايدز

المصمم : ميلتون كلاسر

سنة الانجاز : ٢٠٠٩

المكان : الولايات المتحدة الاميركية

التحليـل:

يتكون الملصق من مستطيل طولي، يحتوي على ثلاثة الوان هي الأسود والأحمر والأزرق على فضاء أبيض. مستخدماً حرف (W) من كلمة (world wide) الشكل الرئيس في الملصق الذي يرمز الى العالمية في معنى الكلمة.. مقسما الحرف لجزأين بوساطة استخدام التضاد اللوني مراهنا على استفزاز مرجعية المتلقي البصرية من ذلك التصميم. وايقونة الجمجمة المتمثلة باللون الازرق والربط بين فكرة الشعار وإدراك المعنى يكون منسجما مع بنية التصميم. وهذا أهم ارتكازات العملية الإدراكية، وما عّول عليه المصمم في قوة الابصار والاثارة البصرية ولاسيما اللونين الاحمر والازرق

فضلا عن النسب الدقيقة والمدروسة للونين التي لم تخلق اي نوع من الفوضى.

اما المكان فقد وفق المصمم بوضع تصميمه ضمن المكان المفترض (الفضاء) الذي خلقته اجواء التصميم وهو عين المكان الذي ينبغي التركيز عليه ليربط بين الشعار والمكان الذي يتحرك فيه فضلا على العناوين التي امتدت في الفضاء الاعلى من الملصق، في حين شغل اسفل الملصق شعار المنظمة.

ان علاقات البناء الشكلي جاءت مركزة على صورة الجمجمة والتي هي الاساس لتمثل الاستخدام المباشر في ايصال الرسالة التحذيرية في خطر مرض الايدز عبر اللون الاحمر فقد نجح المصمم في اثبات نظرية الجشطالت بصريا بنقل الجزئيات الى الدماغ لينتج عملية الادراك والربط بين الاجزاء مما شكلت نقطة جذب بصري لفاعلية علاقة الجزء بالجزء والجزء بالكل اهمية كبيرة في الافصاح عن مضمونية الفكرة، وكانت الهيمنة الشكلية واللونية والحجمية اهم صفات الشكل الرئيس في الملصق.

أنموذج (٣)

الوصف العام:



اسم العلامة: غلاف مجلة العين

المصمم: ميلتون كلاسر

سنة الانجاز: ٢٠٠٩م

المكان: الولايات المتحدة الاميركية

التحليـــل :

تكون الغلاف من تصميم صورة مختزلة كأساس فاعل في تأسيس مرتكز للفكرة، اذ تم اختزال تنوعاتها اللونية واظهار تفاصيل قليلة بوساطةِ قيم لونية محددة مثل اللون الاحمر والشاغل للمساحة الاكبر والازرق والبنفسجي والاصفر وهو هدف وظيفي استخدم في تأكيد الفعل التقني الاظهاري، لقد حقق المصمم فيه ايهاما بصريا ولاسيما في شكل وجه المرأة محققا عزلا وظيفيا بين مكونات الشكل والكتابة في الاسفل.

قوة التنظيم تكمن في متغيرين الاول الاتجاه في حركة وجه المرأة الذي جعل الرئيس مائلا مما أعطى ما يشبه بالإطلالة، والمتغير الثاني يكمن في العلاقة اللونية بين الاحمر والبنفسجي التي أسست للتوازن والتناغم اللوني الذي أسسه على فهم مبدأ الشكل والأرضية الذي يمهد؛ لادراك متباين ومتناقض بين السالب والموجب من العلاقات البصرية. وان التنظيم الشكلي للعناصر البصرية قائمة على مبدأ التجاور والحساب الدقيق للمسافات الفاصلة بين الاجزاء وهو تنظيم متناغم موفق.

(نتائج واستنتاجات البحث)

النتائــج:

توصل الباحثان من عملية تحليل النماذج الى ما يأتي:

١- إن الشكل على وجه الخصوص تتميز فيه النظم بوحدة متكاملة تعبر عن موضوع ما، له تركيبته البنائية وعناصره الأساسية التي لا تستطيع ان يبدو قائما بدونها، لانها تمثل وحدته المادية التي تجعله مجّسدا في موضوع حسيّ متماسك ومنسجم في مادته، كما ينطوي على مدلوله الباطني ويعبر من جهة اخرى عن حقيقة روحية يشعر بها المتلقي وفق قدراته خارج واقعه الملموس.

٢- ان الاشكال تنتظم وتجتمع وفقا لقوانين معينة مجهولة وغامضة تحرك المشاعر بطريقة معينة، وان مهمة المصمم هو ان يجمعها وينظمها ويحرِّك مشاعرنا، وهذه التنظيمات هي ما يطلق عليه الشكل الدال، وبهذا المعنى يمكن فهم الشكل على انه نتاج فني منظم، تتم دراسته موضوعيا وتصميميا على أساس الإطار المعرفي للمصمم الذي يعمل على انتقاء مفرداته من البيئة التاريخية أو التراثية أو المعاصرة، محاولا إعادة بناء وصياغة المفردات بشكل يتلاءم ومتطلبات الفكرة التصميمية مع المحافظة على خاصيتها الشكلية واعادة تأسيسها بتكوين لا يشوه معناها.

٣- ان الشكل هو الصورة المادية المحسوسة التي تشير الى صورة ذهنية تتجلّى من خلال مادة الشكل، وهنا يكمن حوار الرؤية بين كل من الشكل والمضمون.

٤- مصطلح الشكل يشير الى الخطوط والحجوم التي تحقق نظاما، وان دراسة الشكل وبنيته العامة لا تعني تناول الجانب المادي، الذي يتضمن العناصر والمفردات الانشائية ونمط محدود للعلاقات الشكلية فيما بينه فقط، فان للشكل الجانب الديناميكي الذي بوجوده نتعامل مع التأويل والتفسير، وفي بنيته يتم اعتماد علاقات تكوينية محددة؛ للتعبير والاظهار.

٥- القيمة الفنية والمتعة الجمالية تكمنان في الشكل الذي ينصهر في المحتوى مع سائر العناصر المكونة له في السياق الواحد، وان الذوق الجمالي منصبا على العناصر المكونة للشكل متمثلة في الوحدة البصرية التي تنتج عن تنظيم العلاقات بين المفردات الشكلية على سطح التصميم، فضلا عن الخصوصيات التي يحدثها الشكل التصميمي الذي يؤدي التاثير المرجو في نفس المتلقي عن طريق الفنان المبدع.

الاستنتاجات:

١ -إن دراسة الشكل وبنيته العامة لا تعني تناول الجانب المادي، الذي يتضمن العناصر والمفردات الانشائية ونمط محدود للعلاقات الشكلية فيما بينه فقط، فان للشكل الجانب الديناميكي الذي بوجوده نتعامل مع التأويل والتفسير، وفي بنيته يتم اعتماد علاقات تكوينية محددة، للتعبير والاظهار.

٢ -إن القيمة الفنية والمتعة الجمالية تكمنان في الشكل الذي ينصهر في المحتوى مع سائر العناصر المكونة له في السياق الواحد، وان الذوق الجمالي منصبا على العناصر المكونة للشكل متمثلة في الوحدة البصرية التي تنتج عن تنظيم العلاقات بين المفردات الشكلية على سطح التصميم، زيادةً على الخصوصيات التي يحدثها المنجز الطباعي.

المصـــادر:

١. أحمد عزة راجح، اصول علم النفس. المكتبة المصرية. ط١. ١٩٧٦ .

٢. إسماعيل شوقي، الفن والتصميم, كلية التربية الفنية، جامعة حلوان, مصر, ١٩٩٩.

٣. أحمد فائق وعبد القادر، مدخل إلى علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة, ١٩٧٨.

٤. بول جييوم، ترجمة: الدكتور صلاح مخيمر، وعيدة ميخائيل رزق، علم نفس الجشطالت، مؤسسة سجل العرب، دار الحمامي للطباعة، القاهرة ١٩٦٣.

٥. جلال جميل، مفهوم الضوء والظلام في العرض المسرحية، ٢٠٠٢.

٦. دافيدوف، لندا: مدخل علم النفس، ترجمة سيد طوب وآخرون، منشورات مكتبة التحرير، دار ماكجروهيل ١٩٨٣.

٧. الديري، عبد الفتاح: السلوك والأدراك، مدخل الى علم النفس، ط١, مكتبة الأنجلو المصرية,١٩٧٢.

٨. راضي حكيم، فلسفة الفن عند سوزان لانجر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٩. ريد، هربرت: معنى الفن، ت: سامي خشبة، مراجعة مصطفى حسين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

١٠. زكريا ابراهيم : فلسفة الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة. القاهرة ١٩٦٦.

١١. شولز، روبرت، البنيوية في الأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط٧، ترجمة: حنا عبود، القاهرة، ١٩٧٧.

١٢. صالح، قاسم حسين: سيكولوجية أدراك اللون والشكل, منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ٢٠،١٩٨٢– ص ١١٥.

١٣. صالح، قاسم حسين: الأبداع في الفن، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد, ١٩٨٥.

١٤. العاني، مها عبد المجيد: اثر بعض المتغيرات في الإدراك. أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٩.

١٥. عبد الله، إياد حسين: فن التصميم في الفلسفة والنظرية والتطبيق، اصدارات دائرة الثقافة والاعلام، حكومة الشارقة ٢٠٠٨.

١٦. علي منصور، واحمد الاحمد: سيكولوجية الادراك، منشورات جامعة دمشق، كلية التربية ١٩٩٦.

١٧. الغريب، رمزية، التعلم، دراسة نفسية، تفسيرية، توجيهية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨.

١٨. الكامل، فرج: تأثير وسائل الاتصال، الأسس النفسية والاجتماعية، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥.

١٩. كراهم هاف: الاسلوب والاسلوبية، ت كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.

٢٠. فرج عبو: علم عناصر الفن، الجزء الاول، دار دلفين للنشر، ميلاتو ١٩٨٢.

٢١. فرنهيمر، مايكل: نظرية الجشطالت. في كتاب نظريات التعلم. دراسة مقارنة. اشراف جورج غازدا. ترجمة. علي حسين عجاج. الكويت. عالم المعرفة ١٩٨٣.

٢٢. محمد، نصيف جاسم: التصميم حوارية الشكل، صحيفة الاديب، العدد ٤٩، ٢٠٠٤.

٢٣. محمد خيري واخرون: علم النفس التجريبي، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، ١٩٨٥.

٢٤. مـراد ، يوسـف: الكتـاب السـنوي فـي علـم الـنفس، المجلـد الأول ، دار المعارف بمصر، القاهرة, ١٩٥٤.

٢٥. مصـطفى ناصـف: نظريـات الـتعلم 'دراسـة مقارنـة' ، عـالم المعرفـة ، الكويت، ١٩٨٣.

٢٦. المظفر، محمد رضا: المنطق، مطبعة النعمان ٢ ط٣، بغداد ١٩٦٨.

٢٧. نجـاتي، محمـد عثمـان: الإدراك الحسـي عنـد ابـن سينا، دار الشـروق، القاهرة k ط٣ ، ١٩٨٠.

٢٨. الواسـطي، خليـل: فلسـفة التصـميم ولغـة الاتصـال البصـري، مجلـة الاكاديمي، بغداد ١٩٩٨.

29. Arnneim,R.Gestalt and Art, In:Psychoiogy and the Visual art Vomon, M. 1980: Pe option through experience. Inc. London.

30. seifpsy.maktoobblog.com

"الأبعاد الاجتماعية لحركة الإصلاح الكنسي عبر العصور الوسطى"

المدرسة الدكتورة هدى علي كاكه يى
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

الملخص :

عُرِفَ المجتمع المسيحي عبر تاريخه، قيام حركات إصلاحية، توفَر لها رجال مخلصون في كل جيل، يهدفون إلى إصلاح ما فسد، وإحياء ما اندثر، واشتهر في التاريخ الكنسي، حركات دينية قامت لترد الناس إلى الدين القويم_من وجهة النظر الدينية المسيحية والكنسية_ والنهج الصحيح، كما يراه ويعتقده زعماء تلك الحركات.

عمل زعماء الحركات الإصلاحية على كسر تلك القيود التي وضعتها الكنيسة على كتابها المقدس، كي تتيح قراءته لكل فرد مسيحي في المجتمع، وليخلّصوا أفراده من استبداده، تلك المؤسسة الدينية وطغيانها الذي شمل الحياة والمجتمع على حدٍّ سواء.

وفي الحديث عن مسيرة الإصلاح الكنسي، لابد من الوقوف على الحياة الدينية لهذه الحقبة التاريخية، والتي عُرِفت باسم "العصور الوسطى"؛ ليتسنى تتبع مسيرة الإصلاح المسيحي للمجتمع، وذلك عن طريق المؤثرات التي فرضتها على طبيعة المجتمعات آنذاك، ومدى التفاعل المجتمعي،

سواء أكان فرديا أم جماعيا، حيث إن تلك الحركات قد تمخضت عن إقامة مصالحة بين الإنسان وعقله، وبين الاستجابات ما بين الدافع والغريزة.

ولعلّ الدافع من إبرازها، هو ما عُرفت به تلك المرحلة من اضطراب في أحوال الكنيسة الكاثوليكية، إذ استعرت الخلافات داخل الكنيسة نفسها ما بين الدور الديني من جانب، وما بين المفهوم السياسي لإدارة المجتمع من جانب آخر.

وقد لعبت الإمبراطورية البيزنطية دورا في تحشيد المجتمع على وفق منظور أُحادي الجانب، يعمل على خلق هوة ما بين المطلب الديني في إدارة الدولة، والمطلب الجماهيري في مفهوم الخضوع للسلطة، الأمر الذي أدى إلى شيوع الجهل، وتحجر العقول، مما حدا بالمفكرين أن يصفوا هذا الحقبة التاريخية بـ "العصور المظلمة".

ولعلّ ما يسوغ السبب الرئيس في فشل الحركات الإصلاحية المسيحية في إصلاح مجتمعها، إنما هو غياب المؤسسة الدينية المنصفة، فإذا كان المصلحون المسيحيون قد فشلوا في إصلاح مجتمعهم، بل حاربوا الداعين إلى التوحيد، والبحث عن مصدر الدين الإلهي القويم _بحسب المفهوم الكنسي_، فكيف السبيل إلى إصلاح المجتمع المسيحي.

_ "طبيعة الحياة الدينية وأثرها في المجتمع خلال فترة العصور الوسطى":

_ "جانب العقيدة":

إن العقيدة التي قدّمتها كنيسة "العصور الوسطى"، لم تكن العقيدة التي بشّر بها السيد المسيح (عليه السلام)، ولا حتى عقيدة الكتاب المقدّس، ولم يكن ذلك جديدا أو دخيلا على العقيدة في العصور الوسطى، بل إن الانحراف العقدي قد رافق المسيحية من يوم أن قاد "بولس الرسول" الحركة الدينية، وصبغ المسيحية بالصبغة الوثنية، التي أخرجتها عن صورتها الإلهية، وجعلتها مجرد فكر بشري تتحكم فيه الأهواء، وهذا ما يبدو من تصور الكنيسة عن الله، وبعض العقائد التي فرضتها الكنيسة باسم المسيح والمسيحية.

فالله في تصور الكنيسة، هو الإله الغاضب، الذي يدين الناس ويعاقبهم، وليس هناك من وسيلة لاتقاء غضبه، إلا بطاعة الكنيسة التي أعطاها سلطانه على الأرض، فهي نائبة عن المسيح والبابا[١] خليفته، وفي ذلك قال

---

[١] البابا (pope–papa–pape): البابا مفرد وجمعها باباوات والنسبة اليه (بابوي)، الحبر الاعظم رئيس البيعة المنظور وخليفة القدّيس بطرس، لاتينية، وهو اسقف روما ورأس الكنيسة، وانه اسم أُطلق أولا على جميع الاساقفة نظرا إلى أبوتهم الروحية، ثم حصر في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي في اسقف الكرسي الاسكندري، وفي الربع الأخير من القرن السادس الميلادي اطلق أيضا على اسقف الكرسي الروماني. ينظر: معلوف، لويس: المنجد في اللغة ، ط٢، مط. منشورات فرحان، (طهران: ١٩٧٩م)، ص٢٤؛ منصور، يوحنا: معجم مختصر لمصطلحات الحق القانوني، مط. البولسية، (بيروت: ١٩٩٧م)، ص١٣؛ اليسوعي، صبحي حموي: معجم

المسيح للقدِّيس بطرس الرسول كما في النصوص الإنجيلية التي يؤمنون بها: "وأنا أقول لك أيضا أنت وعلى هذه الصخرة أِبني كنيستي. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات"[٢].

ومما يؤكد هذا النص، فقد جعلت الكنيسة وباستنادها إلى ما ذكر، من نفسها إلها يأمر وينهى، ويُحل ويُحرّم: "وفوضت على الناس قبول ذلك ومنعتهم من مناقشتها. وإّلا تعرضوا للطرد والحرمان[٣]"[٤].

الايمان المسيحي، ط٢، أعاد النظر فيه من ناحية المسكونية الاب جانكوربون، مط. دار المشرق، (بيروت: ١٩٩٨م)، ص٩١؛ يذكره القلقشندي على النحو الاتي (الباب) ببائين موحدتين مفخمتين في اللفظ، وهو قائم في المسيحيين مقام الخليفة، بل به عندهم يناط التحليل والتحريم، واليه مرجعهم في أمر ديانتهم، و(البابا): هي لفظة رومية معناها أبو الآباء. للتفاصيل ينظر: القلقشندي، ابو العباس احمد ابن علي (ت٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م): صبح الاعشى، مط. الاميرية، (القاهرة: ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م)، ج٥، ص٤٧٢.

[٢] الكتاب المقدّس، (متى، ١٦: ١٨–١٩).

[٣] الحرم: (حَرَم– حَرِم): حرما وحريما وحرمانا وحرما وحرمة وحريمة الشيء: منعه إيّاه. ومنه "حرم الاسقف فلانا" اذا منعه من شركة المؤمنين فهو محروم؛ عقاب تفرضه السلطة الكنيسة بفصل المؤمن عن مشاركة الآخرين، ومنعه من قبول الأسرار؛ والحرم الكنسي هو أقصى درجات التأديب الكنسي، ذلك ان يستتبعه طرد الخاطئ الذي يرفض التوبة وهذا التأديب مأخوذ من تعليم يسوع عن الربط والحل، أو تأديب يفصل به معمد مذنب متغيب عن مشاركة المؤمنين. ينظر: معلوف، لويس، المنجد في

وقد تبنت الكنيسة عقيدة التثليث[٥]، وعدّتها العقيدة الرسمية التي يكفر جاحدها، وزعمت أن الخبز الذي يأكلونه يوم الفصح، يتحول إلى جسد

اللغة، ص١٢٨؛ منصور، يوحنا، معجم مختصر لمصطلحات الحق القانوني، ص٢٢؛ سبرول، ر. ك.: حقائق واساسيات الايمان المسيحي، ترجمة نكلس نسيم سلامة، مط. دار نوبار للطباعة، (القاهرة: ٢٠٠٠م)، ص٢٤٧؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الايمان، ص١٨٨.

[٤] أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، مط. دار الفكر العربي، ط٣، (د.م: د.ت)، ص١٥٦.

[٥] التثليث: وهي تقول ان الاله الواحد يكشف نفسه في الثلاثة اشخاص، الاب والابن (يسوع المسيح) والروح القدس، وهذه الاشخاص الثلاثة مع ذلك تعّد وحدة تتشارك في مادة واحدة؛ وتدل هذه الكلمة على تسمية الله بكونه في ثلاثة اقانيم متساوية في الجوهر واحدة لا تتجزأ. ينظر: ابن المقفع، مصباح العقل، ص٦٦؛ زكار، سهيل: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، مط. دار الكتاب العربي، (القاهرة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٢٣٥؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الايمان، ص١٦٣؛ الصباغ، عماد: الاحناف (دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الاسلام)، مط. دار الحصاد، (سوريا: ١٩٩٨م)، ص٨٣؛ نيلسن، ديتلف وفرتز هومل ول. رودوكاناكيس وادولف جرومان: التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين علي، مراجعة: زكي محمد حسن، مط. مكتبة النهضة المصرية ولجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٥٨م)، ص ص١٩٩–٢٠٠؛ ابن سباع، يوحنا بن ابي زكريا: الجوهرة النفسية في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية: فيكتور منصور مستريح الفرنسيسي، مط. القاهرة الجديدة، (القاهرة: ١٩٦٦م)، ص ص٦–٨؛ براون، باربارا: نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة: مناف حسين الياسري، د.مط.، (كندا: ١٩٩٣م)، ص ص٣٢–٣٤؛ داود، عبد الاحد: الانجيل والصليب، نقله من التركية الى العربية:

المسيح، والخمر الذي يشربونه، يتحول إلى دمه، وادّعت لنفسها كثيرا من الحقوق التي لا ينبغي إلا لله _عّز وجّل_، وعليه، فقد استطاعت الكنيسة أن تُضيف إلى العقيدة، ما يوافق غاياتها وتحذف منها ما يخالفها، أو ما يتعارض مع أطماعها وأهدافها.

ومما زاد الأمر سوءا، هو تفشي الجهل بين من اعتنقوا المسيحية، فضلا عن تأثرهم الشديد بعقائدهم الوثنية القديمة، وفي الوقت نفسه، لا يعرفون شيئا عن الديانة المسيحية، إذ إن الكنيسة لا تُطلع أحدا على شيء، ولا تسمح لأحد أن يقترب من الكتاب المقدّس، الأمر الذي أتاح الفرصة لمزج العقيدة المسيحية بكثير من الوثنيات والخرافات(٦).

_ "**جانب العبادة**":

والعبادة هي الأخرى، قد امتزجت بكثير من عبادات الوثنيين، وإن لبست غطاء المسيحية، إذ انتشرت عبادة الأشخاص، والقدِّيسين، وقُدمت إليهم الصلوات والتوسلات، وازدهرت العبادة المريمية، وزيارة الأماكن المقدّسة،

مسلم عراقي، د.مط.، (القاهرة: ١٣٥١م)، ص ص٨-١٢؛ وللشيخ يحيى بن عدي، راي في اعتقاد النصارى بالجوهر الواحد، للتفاصيل اكثر حول الجوهر ينظر: يحيى بن عدي: مقالة للشيخ يحيى بن عدي في صحة اعتقاد النصارى في الباري جل وتعالى انه جوهر واحد ذو ثلاث صفات، كتاب منشور ضمن مجلة المشرق، نشره وصححه: لويس شيخو اليسوعي، العدد ٩، السنة الخامسة، (بيروت: ١٩٠٢م)، ص ص٣٦٨-٣٧٧.

(٦) دويناد، ميرل: تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، د.مط.، (بيروت: ١٨٧٨م)، مج١، ص ص٣٨-٥٢.

فضلا عن ذلك، انتشرت عبادة رفات القدِّيسين، حتى إنه كان يقال: "إن مشاهدة مجموعة الذخائر المملوكة لـ "فردريك ملك ساكسونيا"_التي يبلغ عددها ٥٠٥ قطعة_ ولو مرة واحدة كفيل بتخفيض المدة التي يقضيها المرء في المطهر بحوالي ٢ مليون سنة"(٧).

_ "المؤسسة الكنسية وعجز رجالها عن القيام بمهامهم الدينية":

تتركز مهمة الكنيسة الأساسية، في المحافظة على العقيدة، وتوجيه المجتمع، وتقديم الأنموذج والقدوة، هذا ما ينبغي أن تكون عليه الكنيسة بوصفها مؤسسة مؤثرة في المجتمع عامة.

إلا أنه من المعلوم، كنيسة "العصور الوسطى" لم تكن كذلك، بل إنها غاصت في الأمور السياسية والمطامع الدنيوية: "حتى فقدت كل ما كان يقترن بها من النظام وسلامة العقائد، وطهارة الحياة، فانصرف الباباوات إلى الشؤون الدنيوية، وتحايلوا على اصطياد المال بكل طريق غير مشروع"(٨).

أصبح مركز البابا مطمعا وموضع نزاع بين المتنافسين، بل ربما قامت بسببه الحروب، ولهذا "لم يلبث أن أصبح البلاط البابوي مركزا لجهاز ضخم

---

(٧) كيرنز، إيرل: المسيحية عبر العصور، ترجمة: عاطف سامي برنابا، مط. دار نوبار للطباعة، (مصر: ١٩٩٢م)، ص ص٣٢٠-٣٢٨.

(٨) قاسم، محمد وحسني، حسين: تاريخ أوربا الحديثة، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مصر: ١٩٣٤م)، ص٤١.

مهمته تنفيذ أطماع البابوية وسياستها"[٩].

ولم يقف الأمر عند حدّ الانحراف الوظيفي، بل تعّداه إلى انحراف ضرب هيكلية الكنيسة أجمع، ولم يكن حال أساقفة الكنيسة ورهبانها أقل سوءا من باباواتها، ويمكن توضيح ذلك مّما نصّه: "هكذا يبدو أن الكنيسة نفسها وقعت فريسة لنفس الفوضى التي انشبت أظفارها في المجتمع الدنيوي، فقد انطلقت الشهوات الخبيثة كلها بغير ضابط"[١٠].

هناك عوامل أدت إلى تصدي المصلحين للإصلاح الكنسي، التي أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على حالة المجتمع ومن ثمَّ حالة الكنيسة الديني والدنيوي على حدٍّ سواء.

لم تكن حركة الإصلاح الديني للمجتمع المسيحي، إلا ثمرة للكثير من العوامل التي أدت إلى قيامها في أوربا.

أولى بعض الكتّاب اهتماما كبيرا في دراسة الكثير من العوامل الخاصة بالإصلاح، لعوامل ثانوية، أو يركز على بعض العوامل الرئيسة، ويغفل بعضها الآخر، ومن مجمل ما كُتِبَ عن الإصلاح للمجتمع المسيحي، يتبين أنه لم تكن ثمرة الاصلاح تعود إلى عامل واحد بل كان نتيجة لعوامل متعددة، وإن لم يكن جميعها على درجة واحدة من التأثير.

---

[٩] عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوربا العصور الوسطى، مط. الأنجلو المصرية، (مصر: ١٩٧١م)، ج٢، ص٢١٩.

[١٠] رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: زكي نجيب محمود، مط. لجنة التأليف والنشر، (مصر: ١٩٥٦م)، ك٢، ص١٥٢.

وسنتطرق إلى ذكر أهم تلك العوامل، وأثرها في المجتمع، وذلك لما لها وقعا على مسيرة الإصلاح الديني والدنيوي للمجتمع المسيحي، ويمكن إيرادها على النحو الآتي:

١) التصور العقائدي للمجتمع المسيحي في العصور الوسطى:

حرصت الكنيسة على ألاّ تسمح لأحد أن يزعم لنفسه حقا في فهم الكتاب المقدّس، أو تفسيره، واحتفظت لنفسها بهذا الحق؛ وفرضت تفسيرها على جميع أبناء المجتمع، على الرغم من مخالفته العقول السليمة، فعملت على إلغاء تلك العقول، أو تهمت أبنائها بالتقصير، ولكن لا يحاول أحد أن يشكك في كلام الآباء الذين يُلهمون هذه التفاسير المدعومة من قبل "المجامع الكنسية المقدسة"[١١].

وبهذا فرضت مؤسسة الكنيسة ما شاءت من العقائد، وادّعت لنفسها بعض الحقوق، وتطّرفت في بعضها الآخر، ومنها:

أ) عقيدة التثليث:

إنها عقيدة الكنيسة التي لا يساندها نص إلهي قط: "فليست من تعاليم العهد القديم، ولا توجد في أي مكان بين ثناياه ليشارك بها الديانات الوثنية القديمة في لب عقائدها"[١٢].

---

[١١] أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ص١١١.

[١٢] عبد الوهاب، أحمد: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مط. مكتبة وهبة، (مصر: د.ت)، ص٨٢.

وبالرغم من أن صيغة التثليث هذه "التي تتكلم عن الأب[١٣] والابن[١٤] والروح القدس[١٥] غريبٌ ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل"[١٦]؛ إلا أن الكنيسة تبنتها، واعتبرتها العقيدة الرسمية، ورفضت مقابل ذلك عقيدة التوحيد التي جاء بها السيد المسيح (عليه السلام)، وذلك من خلال مجمع نيقيا سنة (٣٢٥م)، بالرغم من المجادلات الكثيرة

---

(١٣) الاب: اسم اوحى به الله لنا، والاب تسمية عربية؛ للدلالة على الله الاب. ينظر: ابن المقفع، ساويرس (القرن العاشر الميلادي): مصباح العقل، تقديم وتحقيق: سمير خليل، مط. دار العالم العربي، (القاهرة: ١٩٧٨م)، ص١٩؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الإيمان، ص ص١-٢.

(١٤) الابن: (ابن الله الوحيد)، لقب اطلقه القديس يوحنا على يسوع وكثيرا ما استعمله الكُتّاب والخطباء المسيحيون، ولاسيما آباء الكنيسة اليونانية، وورد أيضا في قانون الايمان، وانه يطلق في الكتاب المقّدس على الملائكة وعلى خلف شيت وعلى شعب اسرائيل وبنوع خاص على يسوع المسيح. ينظر: ابن المقفع، مصباح العقل، ص ص١٩-٢٠؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الإيمان، ص ص٨، ١٢؛ درين، جون و.: يسوع والاناجيل الاربعة، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، مط. دار الثقافة ومط. سيوبرس، (القاهرة: د.ت)، ص ص٨١-٨٦؛ معاش، كمال: الى كل مسيحي دعوة بمحبة، قدم له: انطوان بارا، مط. دار العلوم، (لبنان: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٣٧ وما بعدها.

(١٥) الروح: (الروح القدس): هو الاقنوم الثالث من الثالوث، وانه ينبثق من الله، ولأنه يصور لنا كمن يؤلهنا ويشركنا في الطبيعة الالهية ويهب لنا روح الابن. ينظر: ابن المقفع، مصباح العقل، ص ص١٩-٣٠؛ اليسوعي، صبحي حموي، معجم الإيمان، ص٢٤٠.

(١٦) عبد الوهاب، محمد، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص١٨.

التـي قامـت بشـأنها، وبـالرغم مـن تشـكك الكثيـرين مـن المسـيحيين بفئـات مجتمعه فيها.

وقيـل فـي ذلـك: "إن المسـيحية الظـافرة فـي مجلـس "نيقيـة" فـي أعظـم إمبراطورية في العالم مخالفة كل المخالفة المسيحية المسيحيين في "الجليل" ولو أن الأمر عُدّ العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا لا بأن مسيحية "القرن الرابع" تختلف عن المسيحية الأولى فحسب، بل إن مسيحية "القرن الرابع" لم تكن مسيحية بتاتا"(١٧).

ب) عقيدة الغفران:

أحد حقوق المجتمع المسيحي، التي ادّعتها الكنيسة لنفسها؛ وذلك لتجني من ورائها الثراء المادي، وكان أساس فكرة غفران الذنوب: اعتقاد الكنيسة "إن المسيح والقدّيسين قد حققوا صلاحا كثيرا في حياتهم أكثر من حاجتهم، وأن هذا الصلاح الزائد مدّخر في خزانة سماوية، يمكن للبابا أن يسحب منها لحساب الأمناء والأحياء، وحينئذٍ تُغفر الذنوب ما تقدّم منها وما تأخر"(١٨).

وتطور أمر الغفران، إلى أن أصبح يُباع بالمال، وذلك من خلال طريق الصكوك التي عُرفت بـ "صكوك الغفران"، وأصبح بمقدور أي شخص أن يشتري غفران الله ببعض المال، وتتفاوت أسعار تلك "الصكوك" من شخص الى آخر، أي بحسب حالة الفرد الاجتماعية، فضلا عن قدر الذنب وحجمه ،

---

(١٧) برنتن، جرين: أفكار ورجال قصة الفكر الغربي، ترجمة: محمود محمود، د.مط.، (مصر: ١٩٦٥م)، ص٢٠٧.

(١٨) كيرنز، إيرل، المسيحية عبر العصور، ص ص٣٢٥-٣٦٠.

وبموجب صك الغفران، تغفر الخطايا مهما كانت عظمتها، كما جاء بذلك صيغة هذه الصكوك، إذ جاء فيها[١٩]:

"ألا فليرحمك الرب يسوع المسيح، ويغفر لك بفضل ما لقي من آلآم مقدسة، وإنّا بتفويض منه، ومن رسولية المباركين "بطرس" و"بولس" ومن البابا المقدّس، أحلّك أولا من كل يوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثم من كل خطاياك، ومن كل تجاوز للحدود، وكل إفراط في الملذات مهما بلغت من الجسامة، "هكذا" ... وأعفيك من كل عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام، وأعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة، وإلى البراءة والطهر اللذين حزتهما في العمل ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب، وتفتح لك أبواب جنة النعيم ...".

ونظرا لما تحققه "صكوك الغفران" من مكاسب مادية وأرباح طائلة، فقد كان "لا يُسمح ببيعها إلا بمرسوم بابوي، حتى يتأكد نصيب البابا في الدخل"[٢٠].

---

[١٩] ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة: عبد الحميد يونس، مراجعة: علي أدهم، مط. لجنة التأليف والنشر، (مصر: د.ت)، مج٦، ج٣، ص٥؛ مشرقي، صموئيل: البروتستانتية عقيدة ونظاما، د.مط.، (القاهرة: ١٩٧٧م)، ص ص١٦-٢٢.

[٢٠] لوريمر، جون: تاريخ الكنيسة، ترجمة: عزرا مرجان، مط. دار الثقافة، (د.م: د.ت)، ج٤، ص ص٣٨-٤٢.

ج) حق الحرمان:

ومقابل "صكوك الغفران"، كان هناك "حق الحرمان"، وهي عقوبة معنوية، وسلاح في يد المؤسسة الكنسية، تستعمله وقتما تشاء "وقد أخذ المسيحيون هذه العقوبة عن قدماء الوثنيين"(٢١).

وبمقتضى "حق الحرمان" الذي ادعته الكنيسة يُنبذ ويُطرد أي فرد وقع عليه "الحرمان"، بل "وتُسلب حقوقه المدنية في وظائف الدولة، وتُصادر أملاكه، ويُحرم من الرتب ونحوها، وإذا مات دُفن على غير الشعائر المسيحية"(٢٢).

وقد استعملت الكنيسة هذا الحق المزعوم مع أشخاص كثيرين، منهم الكاهن "آريوس الإسكندري"(٢٣)، الذي دعا إلى العودة إلى التوحيد، فعُدَّ بذلك هرطوقيا، خارج عن تعاليم الكنيسة؛ وكذلك "مارتن لوثر" الذي ندد بصكوك

---

(٢١) الطويل، توفيق: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، مط. الزهراء للإعلام العربي، (د.م: ١٩٩١م)، ص٨٩.

(٢٢) الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني، ص٩٠.

(٢٣) للاطلاع أكثر على الكاهن آريوس الإسكندري وآرائه وأفكاره، والمجمع الكنسي الذي عقد ضده وحرمه. ينظر: كاكه يى، هدى علي حيدر: المذهب الآريوسي بين التأثر والتأثير_ دراسة في الفكر الديني الإسكندري، مط. دار قناديل، (بغداد: ٢٠١٦م)، ص٥ ومابعدها.

الغفران؛ والإمبراطور الألماني "هنري الرابع" الذي استغل البابا "غريغوري السابع" خلافا بينه وبين الإمبراطور، فخلعه البابا، وحكم عليه بالحرمان[٢٤].

ولم تقف الكنيسة على أشخاص معينيين، بل استخدمت الحرمان مع المجتمع بأكمله، ولعّل أبرز صوره، ما حدث في بريطانيا، حينما نشب خلاف بين الملك "يوحنا" والبابا، فأوقع البابا عقوبة الحرمان بالمجتمع أجمع[٢٥].

ء) حق التحلة:

يُتيح هذا الحق للكنيسة، أن تُحل، وتُحرم كما تشاء، ولو خالفّت في ذلك كتابها المقدّس، وبمقتضاه يستطيع البابا في كثير من الأحيان "أن يهمل قوانين الكنيسة... فتراه يأذن لأبناء العم وأبناء الخال أن يتزوجوا، وقد يُسمح لرجل بأن تكون له زوجتان، وله أن يُحل أي إنسان من نذره"[٢٦].

ومما يبدو، أن المؤسسة الكنسية بإدعائها بهذا الحق أرادت أن تتخلص من كل القيود التي قد تعوقها عن بسط نفوذها وسطوتها التامة على

---

[٢٤] ويلز، هـ.ج: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد الرزاق توفيق جاويد، مط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (مصر: ١٩٩٤م)، ج٣، ص ص٩٠٠-٩١٢.

[٢٥] موسى، سلامة: حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، مط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر: د.ت)، ص ص٤٦-٤٨.

[٢٦] ويلز، هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، مج٣، ص٨٩٦.

المجتمع، ولو كان ذلك على حساب العقيدة نفسها، ففي سبيل غايتها لا بأس " أن تتحل من الأوامر الدينية كلها"[٢٧].

هـ) حق المحاكمة:

استطاعت الكنيسة أن تُحكم قبضتها على رجال الكنيسة، بوساطة محاكم خاصة تنظر فيها قضاياهم، ولكن ماذا تصنع فيمن هو خارج الكنيسة، حين يخالفها أو يخرج عن تعاليمها؟ لقد أنشأت ما عُرِفَ في التاريخ باسم "محكمة التفتيش" "محاكم التفتيش"، والتي تُعدُّ بمثابة جهة قضائية كهنوتية، من خلالها تضمن الكنيسة بأنها تحاكم وتعاقب الخارجين عن الدين، وقد دعمت الكنيسة هذا الحق، بقول السيد المسيح (عليه السلام) بحسب زعمها: "لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا، إن كان أحد لا يثبت فيّ يُطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق"[٢٨].

وعلى أثر ذلك، شرّعت الكنيسة في "تصيّد الهراطقة في كل مكان، والبحث عنهم كما تبحث عن العجائز الخائفات عن اللصوص تحت الأسرة، وفي الدواليب قبل الهجوع في فراشهن"[٢٩].

---

[٢٧] ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج٦، ج١، ص ص٤٠-٤٩.

[٢٨] الكتاب المقدس، (يوحنا، ١٥: ٥-٦).

[٢٩] عبيد، إسحاق: محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها، مط. دار المعارف، (القاهرة: ١٩٧٨م)، ص١٤؛ ويلز، هـ. ج، معالم تاريخ الإنسانية، مج٣، ص٩٠٣.

انتهجت الكنيسة إسلوباعجيبا وغريبا في محاكمة مخالفيها، ومن أسمتهم بالهراطقة، وكانت لها طريقتها الرهيبة في انتزاع اعترافات المتهمين، وإنزال العقاب والعذاب بهم"[٣٠].

٢) فساد المؤسسة الكنسية وأثره في المجتمع:

تُعدُّ الكنيسة الرومانية نفسها الممثل الوحيد للمسيح على ظهر الأرض، ويفترض فيها أن تكون قدوة المسيح في كل مكان، إلا أنها خيبت آمال أتباعها والمجتمع المسيحي برمتهِ، الذي ينظرون إليها بتقديس واحترام، ونتيجة لذلك صارت: "الكنيسة متزعزعة بالأحزاب والهرطقات والخطايا والرذائل والفساد والضلال وشرور لا تُحصى"[٣١].

وهذا الوصف ينطبق تماما على الكنيسة الرومانية، وبخاصةً في المرحلة التي عُرفت بـ "السبي البابلي" (١٣٠٥_١٣٧٧م) وأثنائها دبّ النزاع والشقاق بين باباواتها وانحطّ شأنها، واكتسبت سمعة سيئة لدى جموع المسيحيين حتى وصفها أحدهم بقوله: "بابل العاصمة جحيم الأرض، بالوعة الرذيلة، ومستودع أقذار العالم لا تجد فيها إيمانا ولا إحسانا ولا دينا ولا خوفا من الله. لقد تجمعت فيها أقذار العالم وخباثته، ترى كبار السن من رجالها يندفعون غير مبالين بكبر سنهم أو كرامتهم أو سلطانهم إلى ارتكاب كل عار، كان

---

(٣٠) الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني، ص ص٨٤–٨٧؛ موسى، سلامة، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، ص ص٥١–٦٨.

(٣١) دوبيناه، ميرل: تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، د.مط.، (بيروت: ١٨٧٨م)، مج١، ص٤٣.

مجدهم كله لا يعتمد على صلب المسيح، بل يقوم على المأكل والمشرب والسكر والدعارة، والفسق ومضاجعة المحارم، وهتك الأعراض والزنا هي أهم أعظم المباهج الشهوانية المهازل رؤساء الكنيسة"[٣٢].

اندمج وارتبط الفساد بمعظم فئات هذه المؤسسة الدينية، وهذا ما يبدو من موقف الكنيسة من المال والأخلاق، ويتضح ذلك من الآتي:

أ) المؤسسة الكنسية والمال:

إن مقارنة يسيرة بين واقع الكنيسة، وموقف السيِّد المسيح من الدنيا، تكشف لنا عن مدى الجشع الذي سيطر على رجال الكنيسة، حتى أصبح كنز المال شغلهم الشاغل، فقد ورد أن السيد المسيح قوله: "مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله"[٣٣].

وكذلك، قال السيد االمسيح لتلاميذه: " لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا"[٣٤].

وعليه، أصبح جلّ هم الكنيسة أن تكدس الأموال، وتفننت في ابتكار وسائل تنمية الدخل "فكان كل شيء في كنيسة "روما" يُباع بالمال، لا شيء فيها يمكن الحصول عليه بغير المال"[٣٥].

---

[٣٢] ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج٥، ج١، ص١٠٠.

[٣٣] الكتاب المقدس، (مرقس، ١٠: ٢٥).

[٣٤] الكتاب المقدس، (متى، ١٠: ٩-١٠).

[٣٥] ديورانت، ول، قصة الحضارة، مج٥، ج١، ص ص٤٢-٤٦.

فكانت الكنيسة تأخذ نصيبها من العشور التي يدفعها المسيحيون، ومن الضرائب، وما يتركه الأساقفة ورجال الكنيسة إذا ماتوا؛ وكانت تضع أملاك المحاربين في أثناء الحروب الصليبية، تحت حراستها، وتضم إليها أملاك من يموت منهم، فضلا عن الهبات والعطايا التي كانت تقدم إما تزلفا إلى البابا، وإما بدافع الإحسان والصدقة، "الأمر الذي جعل الكنيسة من أكبر مُلاّك الأراضي، بل من أكبر السادة الإقطاعيين في أوربا"(٣٦).

وكان لهذا أن أحدث أثرا كبيرا بين رجال الكنيسة، إذ انشغلوا بتنمية هذه الثروة، وأهملوا واجباتهم الدينية والدنيوية، ودبّت بينهم روح التنافس، ليس في العبادة والزهد، بل في جمع المال وزيادته، الأمر الذي أثار حفيظة كل فئات المجتمع نحو الكنيسة ومؤسساتها.

ب) المؤسسة الكنسية والأخلاق:

سعى الباباوات لتثبيت أقدامهم في مناصبهم، وبسط سيطرتهم على كل شيء في المجتمع، وعلى كل شخص، وكان ذلك لا يتحقق إلا بالرشوة(٣٧).

---

(٣٦) دوبيناه، ميرل، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، مج١، ص٤٥؛ كيرنز، إيرل، المسيحية عبر العصور، ص٢٨٥؛ زكي، عزت: تاريخ الكنيسة_ المسيحية في عصر الإصلاح، مط. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، (مصر: د.ت)، ص ص٢٦-٤٧.

(٣٧) دي ورزا، بيتر: التاريخ الأسود للكنيسة، ترجمة: آسر حطيبة، مط. الدار المصرية للنشر والتوزيع، (مصر: ١٩٩٤م)، ص٧٩.

فضلا عن ذلك، لجؤوا إلى التزوير؛ وذلك للحفاظ على مكانتهم في الكنيسة "ولا تزال "هبة قسطنطين" و"وثيقة الأحكام البابوية المزورة" لا تزال هاتان الوثيقتان خير شاهد على انحطاط أخلاق البابوات"[٣٨].

وخير دليل على ذلك، فقد تذكر المصادر التاريخية عن البابا "غريغوري السابع" أنه: "كان أمهر مزوري الوثائق"[٣٩].

كانت البابوية في أمس الحاجة إلى مثل هذه الوثائق المزورة؛ "لأن المفاهيم القانونية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، كانت تقيم اعتبارا كبيرا لكل ما هو قديم، ومرتبط بالعادات والتقاليد. وإذا ما أخذنا في الحسبان أيضا ما كان عليه غالبية المجتمع من جهل، لأصبح من السهل أن نفهم دوافع الكنيسة إلى تزوير هذه الوثائق"[٤٠].

وهذا ما برهن على ما تمتعت به المؤسسة الكنسية ورجالها من سمعة سيئة، وفجور، وغرام بالنساء، وانتهاك بالحرمات.

وفيما يخص البابا "يوحنا الثاني عشر" (٩٥٥_٩٦٤م)، "الذي ذاع صيته في مطاردة النساء، وكان يعاشر أمه معاشرة الأزواج"[٤١].

---

[٣٨] عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوربا في العصور الوسطى، مط. دار النهضة العربية، (القاهرة: ١٩٩١م)، ج١، ص ص٣٤٠-٣٤١.

[٣٩] دي روزا، بيتر، التاريخ الأسود للكنيسة، ص٥٤.

[٤٠] كانتور، نورمان. ف.: التاريخ الوسيط وقصة الحضارة_ البداية والنهاية، ترجمة: الدكتور قاسم عبده قاسم، مط.دار المعارف، ط٢، (القاهرة: ١٩٨١م)، ص٢٥٠.

[٤١] دي روزا، بيتر، التاريخ الأسود للكنيسة، ص٤٨.

ومما يذكر، أن أحد المؤرخين عبّر عن الحالة الأخلاقية السيئة لرجال الكنيسة قائلا: "لقد كان حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب، وتأخذهم الانظار المتعقبة من كل ناحية من نواحي الحياة، حرموا على أنفسهم الزواج ... ولكن ما أن تواردت عليهم الأموال وكثرت أمامهم أسباب النعيم، حتى فكهوا فيها مترفين، وانغمسوا في الملاذ ... واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح، بعد ان حرموا على أنفسهم النكاح، ولم تتمتّع النساء المتصلات بهم من أن يُعلنّ ذلك مفاخرات به ... لقد كانت تلك الحياة اللاهية العابثة الفاسدة ميزة اختص بها بعض رجال الطبقة العالية الدينية أنفسهم"[٤٢].

[٤٢] أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ص١٥٩؛ كرسون، أندريه: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري، مط. دار الكتب الحديثة، ط٢، (القاهرة: د.ت)، ص١٦٧.

باب (نِعْمَ وبِئْسَ) في الأصول الثلاثة دراسة موازنة

المدرس الدكتور
سعد صباح جاسم
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

الملخص:

يُعدّ البحث في النحو العربي وأساليب النحاة التي اتبعوها في مؤلفاتهم من الأمور المهمة لطالب اللغة العربية؛ ليتعرّف من هذا البحث على أسلوب كل نحوي، وطريقته في عرض المادة، وشواهده التي استعان بها، ومصطلحاته التي تعكس الفكر النحوي في عصره.

ويمثّل كتاب سيبويه حجر الأساس في الدراسات اللغوية عامة وفي الدراسات النحوية خاصة، وقد حظي هذا الكتاب منذ معرفة علماء العربية الأوائل به حتى يومنا هذا بقدر وافر من العناية والرعاية؛ لذلك جاء هذا البحث ليدرس باب (نعم وبئس) عند سيبويه في الكتاب وموازنته مع بعض المدونات النحوية القديمة وهي: المقتضب للمبرد, والأصول في النحو/ لابن السراج؛ للكشف عمَّا حدث للمادة اللغوية من تغيير من حيث: المصطلح, والتعليل، والتأويل، والاستشهاد.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على أربعة مباحث يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة، تناول التمهيد موضوع المدح والذم في العربية، ودرس المبحث الأول المصطلح النحوي في باب (نعم وبئس)، وخُصَّ الثاني بدراسة التعليل، ودرس الثالث التأويل، وجاء الأخير لدراسة الاستشهاد. ثم خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث .

المقدمة:

المدح والذم في العربية

"تركيب المدح والذم تركيب تأثري إفصاحي قائم على أساس من الإفصاح عن انفعال يعرض للنفس الإنسانية إزاء موضوع يستحق أن يمتدح أو يذم، فهو معقود أساسا بالوظيفة الانفعالية التي يفصح فيها المرسل عن شعوره بالرضا أو الاشمئزاز على سبيل المبالغة في إنشاء المدح أو الذم" [١].

والصيغ التي تتكفل بالإفصاح عن هذين المعنيين المتقابلين يمكن النظر إليهما من زاويتي: العموم والخصوص، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

١ – صيغ المدح والذم العام

يمكن الإفصاح عن معنى المدح والذم العام بصيغتي (نِعْمَ) و (بِئْسَ)، فالأولى لإنشاء المدح العام، والثانية لإنشاء الذم العام، يقول سيبويه **(ت١٨٠هـ)**: "وأصل نعم وبئس نَعِمَ وبئسَ، وهما الأصلان اللذان وضعا في الرداءة والصلاح، ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى"[٢].

ويتركب المدح والذم الذي قوامه هاتان الصيغتان من: صيغة المدح أو الذم + اسم مرفوع + مخصوص بالمدح أو الذم.

---

[١] تركيب المدح والذم من منظور وظيفي (بحث): ٣٠٠ .

[٢] الكتاب: ٢ / ١٧٩ .

وفي (نِعْمَ وبِئْسَ) أربع لغات: (نَعِمَ وبَئِسَ) على التمام، و (نِعِم وبِئِس)، و (نِعْمَ وبِئْسَ)، و (نَعْمَ وبَئْسَ)، وهذه الوجوه تطّرد في كل ذي عين حلقية اسما كان أم فعلا[٣].

واختلف النحاة فيهما أفعلان هما أم اسمان ؟ .

فذكر ابن الورّاق أنّ الدليل على أنّهما فعلان الوقوف عليهما بالتاء، فلو كانا اسمين لكان الوقوف عليهما بالهاء، فلما وقف عليهما بالتّاء عُلم أنّهما فعلان وليسا باسمين[٤].

وهذا يختلف عمّا قالوه بجواز دخول حرف الجر عليهما كما في قول الشاعر:

ألستُ بنعم الجار يؤلف بيته   لذي العرف ذا مالٍ كثير وبعدما [٥].

فقد قال: "فإنّ ذلك عندنا على معنى الحكاية ، كأنّه حكى ما قاله له، فإذا جاز دخول الباء على طريقة الحكاية فليس بمنكور دخول الباء على نِعم" [٦].

وذكر ابن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ) أنّ الدّليل على فعليتهما بناؤهما على الفتح من غير عارض عرض لهما[٧].

---

[٣] ينظر: المقتضب: ٢/١٤٠، وشرح الكافية في النحو: ٢/٣١٢ .

[٤] ينظر: العلّة النّحوية تاريخ وتطور (دكتوراه): ١٦٣، وأسرار العربيّة: ٤٢ .

[٥] شرح ديوان حسان: ٣٦٩ .

[٦] العلّة النّحوية تاريخ وتطور: ١٦٣، وينظر: أسرار العربيّة: ٤٢ .

[٧] ينظر: شرح المقدمة المحسبة ٢/٣٨٢ .

وكانت مسألة الخلاف في (نعم وبئس) أفعلان هما أم اسمان؟ موضوع خلاف بين البصريين والكوفيين، إذ يرى البصريون أنهما فعلان بدلالة قبولهما تاء التّأنيث السّاكنة الّتي هي من علامات الأفعال، وهما عند الكوفيين اسمان بدلالة دخول حرف الجر عليهما، فقد تمسك البصريون في ذهابهم إلى فعليتها بدخول تاء التأنيث السّاكنة، وسكتوا عن الإشارة إلى عدم قبولها علامات الأفعال الأخرى، وتمسك الكوفيون في ذهابهم إلى اسميتها، بدخول حرف الجر عليهما، وسكتوا عن الإشارة إلى عدم قبولها علامات الأسماء الأخرى، وقد أشار أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) إلى هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين، وذكر حجج كلٍّ من الفريقين[٨]، ونقل ابن الشّجري في أماليه موضع الخلاف في (نعم وبئس) بين البصريين وبين الفراء وأصحابه بقوله: "أجمع البصريون من النّحويين على أنّ (نعم وبئس) فعلان، وتابعهم علي بن حمزة الكسائي، وقال أبو زكريا الفرّاء هما اسمان، وتابعه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وأصحابه على اسميتهما، وإن كان لهما لفظ الفعل وذلك؛ لأنّهما نقلا من المدح والذّم عن النعمة والبؤس اللذين يكون فيهما نعم وبئس اسمين كقولهم: نعم الرجل، إذا أصاب نعمةً، وبئس إذا أصاب بؤسا. واحتج الفرّاء بقول العرب: ما زيد النعم الرجل"[٩].

---

[٨] ينظر: الإنصاف ٩٧/١ – ١٠٤ مسألة ١٤ .

[٩] الأمالي الشجرية ١٤٧/٢، وينظر: المطالع السعيدة ١٥٧/٢ .

ومذهب الكوفيين أن (نعم وبئس) اسمان مبتدآن[١٠]، ومذهب جمهور النحويين أنهما فعلان[١١].

ويرى جمهور النحويين أن فاعل نعم وبئس – وهو الاسم المرفوع الممدوح أو المذموم – على ضربين[١٢]:

الأول: أن يكون اسما ظاهرا معرّفا بـ (أل)، نحو: {□ □ □ □□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □} [الأنفال: ٤٠]، و {□ □ □□ □□ □ □□□□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □} [البقرة: ٢٠٦]، أو مضافا لما فيه (أل)، نحو: {□ □ □□ □ □ □ □□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□□□} [النحل: ٣٠] .

والثاني: أن يكون ضميرا مستترا مفسرا بتمييز مطابق للمعنى، خلافا للكسائي في منعه، نحو قوله تعالى: { □ □ □ □□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□□□ □□ □ □ □ □□ □□ □}
[الكهف: ٥٠]

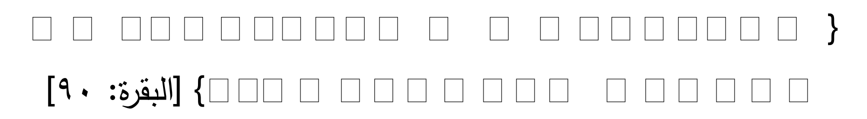
ومن الجدير بالذكر أنه كثيرا ما تتصل (ما) بـ (نِعْمَ) و (بِئْسَ): (نعم ما)، و (بئس ما)، وقد تُدغم فيقال: (نعمَّا) و (بئسما)، كقوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [النساء: ٥٨]، و

---

[١٠] ينظر: الإنصاف ٩٧/١ .

[١١] ينظر: شرح ابن عقيل ١٦٠/٢ .

[١٢] ينظر: همع الهوامع: ٥ / ٢٩-٣٣ .


[البقرة: ٩٠]

واختلف في (ما)، فمنهم من رأى أنها تمييز بمعنى (شيء) وعلى ذلك يكون تقدير قوله تعالى السابق: نِعْمَ شيئا يعظكم به. وذهب آخرون إلى أنها فاعل، وهي اسم موصول، أو معرفة تامة بمعنى الشيء، أي: نِعْمَ الشيء يعظكم به[١٣].

أما المخصوص بالمدح والذم فيؤُتى به مرفوعا مؤخرا عن الركنين السابقين ومقدما عليهما، وقد يحذف للعلم به[١٤]، كقوله تعالى: {□□□ □ □□□□ □ □ □□□ □ □□ □ □ □ □ □ □ □□□} [الذاريات: ٤٨] أي: فنعم الماهدون نحن .

وقد اختلف في اعرابه على أوجه[١٥]: إما أنه مبتدأ خبره الجملة الفعلية قبله، أو أنه مبتدأ خبره محذوف، أو خبر مبتدأه محذوف، أو بدل من الفاعل .

٢ - صيغ المدح والذم الخاصة

وهي صيغ ملحقة بـ (نعم وبئس) في انشاء المدح أو الذم، ولكن على جهة الخصوص لا على جهة العموم، ومن أشهر أمثلة هذا النوع انتشارا في الاستعمالات اللغوية[١٦]:

---

(١٣) ينظر: معاني النحو: ٤ / ٢٦٠ .

(١٤) ينظر: المفصل: ٣٢٧ .

(١٥) ينظر: همع الهوامع: ٥ / ٤١ .

١- ساء

أصلها (سَوَأَ) بالفتح، فحولت إلى (فَعُل) بالضم، وتضمنت معنى الذم، فصارت جامدة قاصرة، وإن كانت في أصلها متصرفة متعدية، إذ نقول: ساءني ويسؤوني الأمر[١٧]، ومن أمثلتها قوله تعالى: {□ □}

[الصافات: ١٧٧] .

٢- حبذا

تجري مجرى (نِعْمَ) في المدح، مع زيادة أن الممدوح فيها محبوب للقلب[١٨]، وإلى ذلك يُشار بالقول: " ومعناها المدح وتقريب الممدوح من القلب"[١٩].

والأصل فيها (حَبُبَ ذَا) فاستثقلوا اجتماع حرفين متحركين متجانسين، فحذفوا حركة الحرف الأول، وأدغموه في الثاني فصار(حَبَّ)، ثم ركبوه مع (ذا)، فصار (حبَّذا)[٢٠].

---

[١٦] ينظر: تركيب المدح والذم من منظور وظيفي (بحث): ٣٠٥ .

[١٧] ينظر: نفسه: ٣٠٦ .

[١٨] ينظر: همع الهوامع: ٥ / ٤٥، واللمع: ٢٠٢ .

[١٩] أسرار العربية: ١١١ .

[٢٠] ينظر: معاني النحو: ٤ / ٢٦٢-٢٦٣، وتركيب المدح والذم من منظور وظيفي: ٣٠٦.

وحبذا إذا أُريد بها انشاء الذم صُدِّرت بـ (لا) النافية فصارت (لا حبذا)، ولا خلاف بين تركيب الصيغتين إلا من حيث زيادة أداة النفي؛ لسلب الدلالة على المدح وتحويلها إلى معنى الذم، وفي ذلك قال ابن مالك[٢١]:

وَمِثْلُ نِعْمَ حَبَّذا، الفاعل ذَا وإن تُرِدْ ذمًّا فَقُلْ: لا حبذا

المبحث الأول
المصطلح

يعدّ كتاب سيبويه ثمرةً لجهود النحويين الذين لم تصل إلينا كتبهم وآراؤهم، فهو كنزٌ عظيم لآراء من سبقه من النحويين؛ فلدراسة المصطلح النحوي في كتابه أهمية قصوى، تتضح من خلال نقل الكتاب مسيرة التطور التي سارها النحو العربي، و التي يُعدُّ المصطلح النحوي من أبرز مظاهرها إن لم يكن أهمها على الاطلاق؛ ولذلك تابع الباحثون مصطلحات سيبويه واختلفت فيها اقوالهم وتضاربت[٢٢] .

فذهب الدكتور أحمد أحمد بدوي إلى: "أن الاصطلاحات النحوية لم تكن قد استقرت بعد من أجل ذلك نجده يضع عناوين طويلة لأبواب غالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا، فترى نفسك مضطرا الى العودة الى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها..."[٢٣].

---

[٢١] ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ١٦٩ .

[٢٢] ينظر: أساليب تعريف المصطلح النحوي: ١٧-١٨، وكتاب سيبويه في الدراسات النحوية الحديثة (دكتوراه): ٤٨.

[٢٣] سيبويه، حياته وكتابه: ٣٠ .

وتوصل الاستاذ عوض القوزي إلى أن سيبويه" قدّم مصطلحاته في شكلين متميزين: **أحدهما:** الوصف، هناك مجموعة كبيرة من المصطلحات النحوية لم يضعها سيبويه وضعا نهائيا، فوصفها ومثّل لها، وهذا يرجع الى عدم وضوح المصطلح المعبر به وضوحا كليا يجعله يطمئن اليه... **والثاني:** التعبير عن الفكرة بأكثر من مصطلح، هذا الاسلوب في التعبير عن المصطلح النحوي واضح جدا في الكتاب، فسيبويه هنا لا يكاد يستقر على مصطلح واحد..."[٢٤].

وذهب أستاذنا الدكتور صاحب جعفر أبو جناح الى أن المصطلح النحوي في الكتاب يمثل بقايا مرحلة عدم الاستقرار التي مرّ بها النحو العربي قبل الكتاب، وأن جهود سيبويه في مجال وضع المصطلحات لاتزال تفتقر الى الكثير من الدقة والاستقرار، لينتهي الى القول بأنه "على الرغم من أن كثيرا من المصطلحات المتداولة عند متأخري النحاة هي ثمرة من ثمار كتاب سيبويه، وأنها تمثل جهوده وجهود شيوخه في هذا الباب، فإننا نجد سيبويه عاجزا عن خلق مصطلحات لكثير من الابواب النحوية المعروفة..."[٢٥].

وذهب آخر إلى ان المدقق في مصطلحات سيبويه أو في عنوانات الأبواب يجدها مبيّنة عن نفسها كاشفة عن معناها، فتعريف المصطلح ماثل في عنوانه؛ إذ جاءت العنوانات في الغالب عبارة عن سطور أو عبارات

---

[٢٤] المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: ٣٠-٣٧.

[٢٥] من أعلام البصرة، سيبويه، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه: ١٠٣-١٠٤.

طويلة، وهذه ميزة تكاد تفتقر إليها العنوانات عند من جاء بعده بقرن أو أكثر، كما هو عند ابن السراج (ت٣١٦هـ)، وابن جني (ت٣٩٢هـ) وغيرهم الذين اقتصر العنوان عندهم على مصطلح نحوي يعبّر عنه بكلمة كالتنازع أو الاشتغال أو النسب وغيرها[٢٦] .

والناظر فيما ثبّته سيبويه في باب (نعم وبئس) يكشف لنا مجموعة من المصطلحات منها: (المضمر، والفعل، والفاعل، والمفعول، والاسم، والاضمار، والجر، والظرف) وغيرها .

وقد ذكر سيبويه (نعم وبئس) في باب عنوانه: (هذا باب ما لا يعمل في المعروف إلا مضمرا)، ومثّل له بقولهم: " نعم رجلا عبد الله، كأنّك قلت: حسبك به رجلا عبد الله، لأنّ المعنى واحد "[٢٧] .

وقد تحامل المبرّد (ت٢٨٥هـ) على سيبويه في نقده هذا الباب[٢٨]؛ لأنّ سيبويه عقد الباب لما لا يعمل في المعروف إلا مضمرا، ثمّ قال: " ولا يكون في موضع الإضمار في هذا الباب مظهر "[٢٩] . إلا أنّه ذكر أمثلة أخرى عملت فيها (نعم) في المظهر، ومثّل لها بقولهم: نعم الرجل عبد الله، ثمّ قال: " فنعم تكون مرة عاملة في مضمر يفسّره ما بعده ... وتكون مرّة أخرى تعمل

---

[٢٦] ينظر: أساليب تعريف المصطلح النحوي: ٢٠-٢١ .

[٢٧] الكتاب: ٢ / ١٧٥ .

[٢٨] المقتضب ٢ / ١٤١ هامش (٢) .

[٢٩] الكتاب: ٢ / ١٧٦ .

في مظهر لا تجاوزه "[٣٠]. وعلّق المبرّد على ذلك؛ فقال: " وهذا الذي حكيناه عنه أقبح ما يكون من النقض"[٣١] .

فردّ عليه المبرد وألزمه المناقضة فيها؛ لأنَّه قد ذكرها في باب المضمر ثم جاء بعده بنعم الرجلُ عبد الله، فجاء بالرجل مظهرا[٣٢].

وأراد سيبويه بذلك أنَّ هذين الفعلين لا يقعان إلا على مضمر يفسره ما بعده والتفسير لازم، أو على معرّف بالألف واللام على معنى المبني، ثم يذكر بعدهما الممدوح أو المذموم[٣٣] .

وهذا ما أكده المبرد بقوله: " واعلم أَنَّه لا يجوز أَنْ تقول: "قومك قاموا" ولا " قومك بئسوا رجالا " ولا " أخواك بئسا رجلين" كما تقول: "أخواك قاما"؛ لأن "نعم" و" بئسْ" إنما تقعان مضمرا فيهما فأعلاهما قبل الذكر يفسرهما ما بعدهما من التمييز، ولو كانا مما يضمر فيه، لخرجا إلى منهاج سائر الأفعال" [٣٤]. ويقول: "فإنما موضعهما أنْ يقعا على مضمر يفسره ما بعده أو على مرفوع بالألف واللام لتعريف الجنس"[٣٥] .

ولم يستعمل سيبويه مصطلح (المدح والذم) كعنوان للباب، ولم يذكره في معرض حديثه ضمن هذا الباب أبدا؛ وهذا دليل على عدم استقرار المصطلح

---

[٣٠] المصدر نفسه: ٢ / ١٧٧ .

[٣١] الانتصار ١٤٠ مسألة [٥٦] .

[٣٢] ينظر: المقتضب ٢/١٤٩.

[٣٣] ينظر: علة كثرة الاستعمال عند سيبويه: ١٣٦.

[٣٤] المقتضب: ٢/١٤٩.

[٣٥] المصدر نفسه: ٢/ ١٤٩ .

عنده على الرغم من أنّ كثيرا من المصطلحات المستعملة عند النحاة المتأخرين بعده هي ثمرة من ثمار شرحه ودراسته للمادة النحوية في كتابه[٣٦]. ولربما ذلك عائد إلى أنه لم يكن يهدف إلى وضع المصطلحات وضعا فنيا، فهو لا يسميها بادئ ذي بدء، وإنما يجعل المصطلح ينكشف في أثناء العبارات التي يستعملها في الشرح[٣٧].

أما **المبرّد** فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه: "قد نحا في المقتضب بالمصطلحات النحوية نحو الكمال والثبات والاستقرار، فجاءت قريبة مما هي عليه الآن"[٣٨]، "وإذا كان المصطلح عنده بدأ يميل إلى الاستقرار فإن تعريفه للمصطلح يجنح فيه إلى الإطناب، فيجمع فيه شروط الباب وأحكامه"[٣٩] .

فذكر (نعم وبئس) في باب عنوانه: "هذا باب ما وقع من الأفعال للجنس على معناه وتلك الأفعال: نعم، وبئس وما وقع في معناهما"[٤٠] .

واستعمل مصطلح (المدح والذم) في معرض حديثه عن أصل نعم وبئس، فقال: "فكان أصْلُ نِعْمَ وبِئْسَ ما ذكرت لك. إلَّا أَنَّهما الأَصل في

---

[٣٦] ينظر: من أعلام البصرة: ١٠٣، وسيبويه إمام النحاة: ١٦٦-١٦٧ .

[٣٧] ينظر: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل: ٣٩٥ .

[٣٨] الكتاب المقتضب للمبرد، دراسة ونقد (ماجستير): ٦٨ .

[٣٩] أساليب تعريف المصطلح النحوي: ٢٢ .

[٤٠] المقتضب: ٢ / ١٣٨ .

المدح والذمّ"[٤١]، وفي قوله: " ومن قال: نِعْمَ المرأةُ وما أشبهه فلأنَّهما فِعْلان قد كثُرا، وصارا في المدح والذمّ أصْلا"[٤٢] .

ومصطلح المَدْح: "أسلوب من الأساليب يؤدَّى بالفعلين الجامدين: نعم وحبذا ... "[٤٣]، والذمّ: "مدلول للفعل (بئس) المحوَّل من بَئِسَ على وزن فَعِل لإفادة أن الموصوف به مذموم بكل أنواع الذم . وهو فعل جامد لا يتصرف ولا يأتي إلا ماضيا، ويقابل في معناه نعم الموضوع للمدح"[٤٤].

وفضلا عن مصطلح المدح والذم، ذكر المبرد مجموعة من المصطلحات في هذا الباب، منها: (الاسم، الفعل، حروف الحلق، الاسكان، التخفيف، الفاعل، التفسير، التقديم والتأخير، الاضافة، المبتدأ، الحذف، التأنيث، تأنيث لفظ، مؤنث حقيقي، التقدير، التمييز، التوكيد، التعجب).

أما **ابن السراج** الذي قيل في وصفه: "ما زال النحو مجنونا حتى عقّله ابن السراج بأصوله"[٤٥]، فقد دخل المصطلح النحوي عهدا جديدا بمجيئه عبر مؤلفاته التي وصلت إلينا، منها: كتاب الاشتقاق، والموجز في النحو، غير ان كتابه الأصول أبرز كتبه التي حاول أن يؤصل فيها القواعد الأساسية في النحو وما يتعلق بها من تعليل وسماع وقياس[٤٦] .

---

[٤١] المقتضب: ٢ / ١٣٨ .

[٤٢] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٤ .

[٤٣] معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ٢١٠ .

[٤٤] المصدر نفسه: ٨٦ .

[٤٥] معجم الأدباء: ١٩٨/١٨ .

[٤٦] ينظر: نظرية الأصل والفرع: ٤٣-٤٥، والنحو وكتب التفسير: ٧٥/١ .

وكما أشرنا في بداية حديثنا عن المصطلح عند سيبويه ان عنواناته في الغالب كانت عبارات طويلة، أما عند من جاء بعده بقرن أو أكثر كابن السراج بدأ اقتصار العنوان على مصطلح نحوي يُعبَّر عنه بكلمة، وخير دليل على ذلك موضوع البحث فقد استعمل (نعم وبئس) ووضعها عنوانا للباب بقوله: " باب نعم وبئس"[٤٧] .

واستعمل مصطلح (المدح) في معرض حديثه عن حبذا، بقوله: "ولا يجوز حبذه؛ لأنهما جعلا بمنزلة اسم واحد في معنى المدح ..."[٤٨].

وأشار إلى مصطلحي المدح والذم بالحمد والذم، بقوله: " فنعم وبئس وما كان في معناهما إنما يقع للجنس، ويجيئان لحمد وذم ..."[٤٩].

ومن مصطلحاته الأخرى في هذا الباب: (التعجب، اسم الفاعل، الابتداء، القياس، البدل، التقدير، المؤنث، النكرة، التفسير، العطف، الخبر، الفعل، الاسم، الفاعل، الصفة، الفعل المتصرف) .

المبحث الثاني

التعليل

ذهب دارس العربية إلى إيجاد علّة لكل ما يراه من أحكام وقواعد فللمرفوع سبب، وللمنصوب علة، وللمجرور غاية، وللمجزوم هدف[٥٠].

---

[٤٧] الأصول: ١/١١١ .

[٤٨] المصدر نفسه: ١/١١٥ .

[٤٩] الأصول: ١/١١١ .

[٥٠] ينظر: دراسات في كتاب سيبويه، الدكتورة خديجة الحديثي: ١٥٥.

ولـم تعلّل العرب كل ما قالتـه، بل تصـور النحـاة أن العرب إنما قالت ما قالتـه لعلّـة يضـعونها هم أنفسـهم، فقد تكون ما أراده العرب، وقد لاتكون، ولكل ان يعلّل بما يراه علة للموضـع[٥١].

والعلة أحد أركان القياس الأربعة: أصلُ وهو المقيس عليه، وفرع وهو المقيس، وحكم وعلة جامعة[٥٢].

وكانت العلّة وثيقة الصلة بالنحو، فلا بدّ لكل حكم نحوي من علّة تدعو إليـه، ومـن أوائـل النحـاة الـذين اهتمـوا بالتعليـل عبـد الله بـن أبـي اسـحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) الّذي قال عنـه ابن سلاّم (ت ٢٣١هـ): "وكان أوّل من بعج النّحو ومدّ القياس وشرح العلل"[٥٣].

ويـرى ابـن جنّـي (ت ٣٩٢هـ) أنّ أبـا عمـرو بـن العـلاء (ت١٥٤هـ) أوّل مـن نقـل استعمال التّعليـل عـن العـرب، فقـد أورد نصـا عـن الأصـمعي (ت ٢١٦هـ) عن أبي عمرو أنـه قال: " سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت: له أتقول: جاءته كتابي ! قال: نعم أليس بصحيفة؟ " [٥٤].

---

[٥١] ينظـر: العلـة النحويـة- تـاريخ وتطـور، (دكتـوراه): ٩، ودراسـات فـي كتـاب سيبويه: ١٥٦ ..

[٥٢] ينظر: الاقتراح في علم اصول النحو: ٧١.

[٥٣] طبقـات فحـول الشّـعراء١/١٤، وينظـر: تـاريخ أداب اللغـة العربيـة٢/١٣١، مدرسـة الكوفة: ٦١.

[٥٤] الخصائص ١/٢٤٩، وينظر: سر صناعة الإعراب ١/١٤، نزهة الألباء: ٢٩ .

أمّا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) فقد قيل فيه: "إنّه استنبط من علل النّحو ما لم يستنبطه أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق "[٥٥] .

وقد ذكر الفراهيدي أنه سُئِلَ عن العلل التي يعتلُّ بها في النحو، فقيل له: أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال: إّن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، واعتللتُ أنا بما عندي، فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علةً له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء، عجيبة النظام والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق، او بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها، قال: إّنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة، الا أن ذلك ممّا ذكره الرجل محتمل ان يكون علة ذلك، فان سنح لغيري علّة لما عللّتهُ من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأتِ بها[٥٦].

وجمع **سيبويه** في كتابه النّحو مقسّما على أبواب وذكر في كل منها أحكامه المؤيّدة بالعلل فكان كتاب نحو وقياس وعلّة . يعلّم طريق القياس وأسلوب التعليل كما يعلّم الحكم النّحوي[٥٧].

---

[٥٥] طبقات النّحويين واللغويين: ٤٣ .

[٥٦] ينظر: الايضاح في علل النحو: ٦٥-٦٦.

[٥٧] ينظر: النحو العربي العلّة النّحوية: ٥٩ – ٦٠ .

و أكثر من التّعليلات في كتابه، كثرة مفرطة سواءً أتعلقت بالقاعدة المطردة أم بالأمثلة النادرة، إذ يقول: " وليس شيء يضطرون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجها" [٥٨]، فهو لا يعلل لما كثر في ألسنتهم واستنبطت على أساسه القواعد، بل يعلّل أيضا لما يخرج على تلك القواعد، وكأنما لا يوجد أسلوب وقاعدة من دون علّة[٥٩]، وأغلب تعليلاته خالية من التّعقيد تُبين الحكم، أو الظاهرة الإعرابية، أو التّركيبية مّما يحتاج إليه المتعلم والمتلقي[٦٠].

وتتصف تعليلات هذه المرحلة بكونها بعيدة عن المنطق وقريبة من روح اللّغة، فوردت بأسلوب أقرب إلى الجزم والتقرير منه إلى الفرض والتّخيل والجّدل، فليس فيها براهين تؤيدها ولم تكنْ في أصحابها حاجة إلى أن يفترضوا ردودا عليها[٦١].

وعلى مستوى باب (نِعْمَ وبِئْسَ) – موضوع البحث – علّل سيبويه ما انتصب فيه بقوله: " وما انتَصب في هذا الباب فإنه يَنتصب كانتصاب ما انتَصب في باب حَسْبُك به وويحه، وذلك قولهم: نِعْمَ رَجُلا عبدُ الله، كأنك قلت: حَسْبُك به رجلا عبدُ الله؛ لأنَّ المعنى واحد .

---

[٥٨] الكتاب ١/١٣ .

[٥٩] ينظر: المدارس النّحوية، شوقي: ٨٢ .

[٦٠] ينظر: المدارس النّحوية، الحديثي: ١١٧ .

[٦١] النّحو العربي العلّة النّحوية: ٥٨، وينظر: في أصول اللّغة والنّحو: ١٣١ .

ومثل ذلك: رُبَّهُ رجلا، كأنّك قلت: وَيْحَه رجلا، في أنه عَمِلَ فيما بعده، كما عَملَ وَيْحه فيما بعده لا في المعنى. وحَسْبُك به رجلا مثلُ نِعْمَ رجلا في العمل وفي المعنى؛ وذلك لأنَّهما ثناءٌ في استيجابِهما المنزلةَ الرفيعةَ"[٦٢].

وذهب السيرافي إلى ان "علامة التأنيث التي تلحق الفعل فإنها تلحق نعم وبئس إذا كان بعدهما مؤنث كقولك: نعمت المرأة، وبئست الجارية"[٦٣]، وعلّل سيبويه ظاهرة حذف التاء من (نعم وبئس) بقوله: " وأمّا قولهم: هذه الدارُ نِعْمَتِ البَلَدُ فإنه لمّا كان البلدُ الدارَ أقحموا التاء، فصار كقولك: مَنْ كانت أُمَّك، وما جاءَتْ حاجتَك .

ومن قال نِعْمَ المرأةُ قال نِعْمَ البلدُ، وكذلك هذا البلدُ نِعْمَ الدارُ، لمّا كانت البلَدَ ذُكِّرَتْ. فلزِم هذا في كلامهم لكثرته، ولأنه صار كالمثَل، كما لزِمت التاء في جاءتْ حاجتَك"[٦٤]، والعلة علة كثرة الاستعمال؛ فهو بذلك يذكر جواز الأمرين مع (نعم وبئس)، أي: اتصال التاء بهما، وحذفها منهما لكثرة الاستعمال . وذهب السيرافي إلى أن: " حذف علامة التأنيث منهما أحسن وأكثر من حذفهما من سائر الأفعال؛ لنقصان تمكنهما في الأفعال. وبطلان استعمال المستقبل منهما؛ وذلك أنّ دخول علامة التأنيث في المستقبل أقوى منه في الماضي؛ لأن علامة التأنيث في الماضي زيادة وفي المستقبل وضع حرف مكان حرف؛ وهو التاء مكان الياء، فلخفة تكلف العلامة في المستقبل صارت ألزم. ولما كانت (نِعم وبئس) لا مستقبل لهما

---

[٦٢] الكتاب: ٢ / ١٧٥-١٧٦ .

[٦٣] شرح كتاب سيبويه: ١١/٣ .

[٦٤] الكتاب: ١٧٩/٢ .

صار: نعم المرأة وبئس الجاريةُ أحسنَ من قام المرأة وذهب الجارية؛ لأنك في المستقبل يلزمك: تقوم المرأة وتذهبُ الجارية، وليس ذلك في نِعم وبئس. فإن قال قائل: لِم لمْ يكن لهما مستقبل؟ قيل له: المانع من الاستقبال إنهما وصفٌ للمدح والذم، ولا يصحُّ المدح والذم إلا بما قد وجد وثبت في الممدوح والمذموم"(٦٥).

وعلّل سيبويه مجيء (حبذا) على لفظ واحد مع المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر؛ لأنه صار كالمثل وذلك بقوله: "وزعم الخليل رحمه الله أنّ حَبَّذَا بمنزلة حَبَّ الشيءُ، ولكنّ ذا وحَبَّ بمنزلة كلمة واحدة نحو لَوْلَا، وهو اسم مرفوع كما تقول: يا ابنَ عَمَّ، فالعمُّ مجرورٌ ألَا ترى أنك تقول للمؤنَّث حَبَّذَا ولا تقول حَبَّذِهِ؛ لأنه صار مع حَبَّ على ما ذكرتُ لك، وصار المذكَّرُ هو اللازمُ؛ لأنه كالمَثَل"(٦٦)؛ فـ " حبذا زيدُ فكأنه قال: المحمود زيد، وإذا قال: حبذا الزيدان فكأنه قال: المحمودانِ الزيدانِ، وإذا قال: حبذا هندٌ فكأنه قال: المحمودةُ هند، وإذا قالَ حبذا الهنداتُ فكأنه قال: المحموداتُ الهنداتُ. وناب لفظ (حبذا) عن ذلك كله وجرى مجرى الفعل للذي جعل مع الحرف كشيء واحد، فجرى مع الواحد والاثنين والجماعة والمؤنث والمذكر على لفظ واحد"(٦٧).

---

(٦٥) شرح كتاب سيبويه: ٣/١١ .

(٦٦) الكتاب: ٢/١٨٠ .

(٦٧) شرح كتاب سيبويه: ٣/٢٢.

وذكر سيبويه علة امتناع اسناد (نعم وبئس) إلى ضمائر الرفع المتحركة بقولهِ: " ففعلوا هذا بهذه الأشياء، لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم"[٦٨]. والعلة علة كثرة الاستعمال

وعلّل سيبويه أن (نعم وبئس) خالفت الأفعال من جهة الجمود فقال: "وأمّا نِعْمَ وبئْسَ ونحوهما فليس فيهما كلامٌ، لأنهما لا تغيَّران" [٦٩].

ولا بُدّ من الاشارة إلى أن العلة أخذت بالاتساع في القرنين الثالث والرّابع فأخذت نمطا جديدا؛ ولعلّ الذي ساعد على ذلك هو امتزاج النّحو بالمنطق، فذهب أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) إلى القول عن الرّماني (ت ٣٨٤هـ) وهو من علماء القرن الرّابع الذي كان يمزج النّحو بالمنطق: "إن كان النّحو ما يقوله الرّمّاني فليس معنا منه شيء، وإن كان النّحو ما نقوله فليس معه منه شيء" [٧٠].

وما يعنينا من هذين القرنين هو **المبّرد** من علماء القرن الثالث، فقد أصبحت العلة في هذا القرن مبحثا مهما وذا قيمة، وكانت محط أنظار النحاة واهتماماتهم، حتى أنهم بدؤوا يؤلفون كتبا مفردة فيها[٧١].

---

[٦٨] الكتاب: ١٧٩/٢ .

[٦٩] المصدر نفسه: ٢٦٦/٣ .

[٧٠] بغية الوّعاة ١٨١/٢،وينظر في أصول اللّغة والنحو: ٢٣٢، ودراسات في كتاب سيبويه: ١٥٨.

[٧١] ينظر: العلة النحوية تاريخ وتطور: ٧٩ .

وكان المبرِّد شديد الاهتمام بالتعليل يتخذ منه سلاحا للمناقشة والبحث، وكانت شهرته بالتعليل معروفة(٧٢).

واذا كان الفرّاء بدأ مرحلة الأخذ بمبدأ التفلسف في العلل، فان المبرِّد قد وسّع هذا المنهج، وكانت تعليلاته ذات طبيعة فلسفية، والسبب في ذلك يعود الى انتشار المذهب الفلسفي واختلاطه بأغلب علوم الحياة في تلك المرحلة،فكان يوجه المسألة بعلة مقنعة ثم يوهن العلة بعلة جديدة ويفسدها ليعود ويفسد ما أفسده بعلة جديدة ويصحح الأولى وهكذا(٧٣).

هذا على مستوى أبواب الكتاب عامة، أما على مستوى الباب موضوع البحث فقد بيّن المبرد أن (نعم وبئس) هما الأصلان في المدح والذم وقد لزما التخفيف لكثرة استعمالهما بقوله: " إلَّا أنَّهما الأصل في المدح والذمِّ، فلمّا كَثُرَ استعمالهما أُلزِما التخفيف، وجريَا فيه وفي الكسرة كالمثَلِ الذي يلزم طريقةً واحدة "(٧٤). والعلة علة كثرة الاستعمال.

ويعلل المبرّد فعلية (نعم وبئس) بقوله: "فأمّا قولك: نعمت وبئست إذا عنيت المؤنث فلأنهما فعلان لم يخرجا من باب الأفعال"(٧٥).

---

(٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٨ .

(٧٣) ينظر: الفكر النحوي عند العرب: ٢٦٤، والتعليل النحوي عند المبرد (ماجستير): ٢٢ .

(٧٤) المقتضب: ٢ / ١٣٨ .

(٧٥) المصدر نفسه: ١٤٤/٢ .

وفي الباب نفسه يعلل المبرد إجازته الجمع بين فاعل نعم وبئس وتمييزه ، كقولك: "نعم الرجلُ رجلا زيدُ، فقولك (رجلا) توكيد؛ لأنّهُ مستغنى عنه بذكر الرجل أولا" [٧٦]، والعلّة علّة استغناء. واستشهد بقول الشاعر:

تَزَوَّدْ مثلَ زادِ أبيك فينا فنعمَ الزادُ زادُ أبيكَ زادا[٧٧]

ومذهب جُمهور البصريين وسيبويه المنع، وقد شرح ابن يعيش مذهب سيبويه وبيّن علّته، كما شرح مذهب المبرِّد، فقال: "منع سيبويه الجمع بين فاعل (نعم) وتمييزها واحتج في ذلك بأنَّ المقصود من المنصوب الدلالة على الجنس وأحدهما كافٍ عن الآخر"[٧٨]. وحجة المبرِّد في الجواز الغُلوّ في البيان والتوكيد، ويرى الشيخ عضيمة أن الأوّل أظهر؛ ذلك لأنَّ بيت جرير أنشدهُ المبرِّد شاهدا على ما ادعى من جواز ذلك، فإنّه رفع (الزاد) المعرف بالألف واللام بأنه فاعل (نعم) وزاد أبيك هو المخصوص بالمدح، وزادا تمييز وتفسير [٧٩].

ويتابع سيبويه في تعليله لزوم (حبذا) طريقة واحدة بقوله: "وأمّا " حبّذا " فإنَّما كانت على الأصل ... ولزم طريقة واحدة على ما وصفت لك في " نِعْمَ

---

[٧٦] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٨ .

[٧٧] المصدر نفسه: ١٤٨/٢ والبيت لجرير، ينظر الديوان: ١٠٧.

[٧٨] شرح المفصل: ١٣٢/٧–١٣٣، وينظر المقتضب: ١٥٠/٢ هامش رقم ٢ وشرح ابن عقيل: ١٣٢/٢.

[٧٩] ينظر المقتضب: ١٥٠/٢ هامش رقم ٢.

" فتقول: حبّذا عبدُ الله، وحبّذا أَمَةُ الله . ولا يجوز: حبّذِه؛ لأنَّهما جُعلا اسما واحدا في معنى المدح"[٨٠].

ويتابع سيبويه أيضا في تعليله حذف تاء التأنيث من (نعم وبئس) فيقول: "فأمّا قولك: نِعمتْ وبِئستْ إذا عنَيْتَ المؤنَّثَ؛ فلأنَّهما فِعْلان لم يخرجا من باب الأفعال إلى التسمية... ومن قال: نِعْمَ المرأةُ وما أشبهه فلأنَّهما فِعْلان قد كثُرا، وصارا في المدح والذمّ أصْلا؛ والحذف موجود في كلِّ ما كَثُرَ استعمالُهم إيَّاه"[٨١].

أما **ابن السراج** (ت٣١٦هـ) فقد اعتنى بالعلة النحوية حتى أنه يرى الغرض من كتاب الأصول ذكر العلة، إذ يقول: وغرضي من هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا اطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، وذكر الأصول والشائع؛ لأنه كتاب إيجاز[٨٢]، ويرى أنّ اعتلالات النّحويين على ضربين إذ يقول: "واعتلالات النّحويين على ضربين ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا كل فاعل مرفوع، وضرب آخر يسمّى علّة العلّة، مثل أن يقولوا: لِم صار الفاعل مرفوعا والمفعول به منصوبا، ولم إذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلها مفتوحا قلبتا ألفا، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنّما نستخرج منه حكمتها في الأصول الّتي وضعتها، وتبين بها فضل هذه اللّغة على غيرها من اللغات "[٨٣].

---

[٨٠] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٣ .

[٨١] المقتضب: ٢ / ١٤٤ .

[٨٢] الأصول: ١ / ٣٦ .

[٨٣] المصدر نفسه: ٣٥/١ .

وعلى مستوى الباب موضوع البحث ذكر ابن السّرّاج علة كسر الفاء في (نعم وبئس) بقوله: " إنّ نِعِمَ وبِئِسَ فعلان ماضيان، كان أصلهما نعم وبئس، فكسرت الفاءان منهما؛ من أجل حرفي الحلق وهما العين في (نِعم) والهمزة في (بئس) فصار: نعم وبئس... ثم اسكنوا العين من (نعم) والهمزة من (بئس): فقالوا: نعم وبئس، ففي (نعم) أربع لغات، نَعِمَ، ونِعِمَ، ونِعْمَ، ونَعْمَ ويجيئان لحمد وذم"[٨٤].

وعلل ابن السّرّاج القول بفعلية (نعم وبئس) إذ عدّ (نعم) فعلا؛ لأنّها تسند إلى فاعل كما أنّ الفعل يسند إلى فاعل: إذ يقول في تعليل ذلك: "ويوضح لك أنّ نعم وبئس فعلان؛ أنك تقول: نعم الرّجل كما تقول: قام الرّجل/ ونعمت المرأة، كما تقول: قامت المرأة"[٨٥]، والعلّة علّة مشابهة.

وفي موضع آخر يعلل كونّهما فعلين أنّ (نعم وبئس) يستعملان للمدح العام والذم العام، وأنّ إسنادهما إلى الّذي يخرجهما من هذا الأصل ومن المدح والذم العامين؛ لأنّ الاسم الموصول في العربية يشير إلى شيء معلوم عند المخاطب، وهذا يخالف العموم الّذي من أجله وضع (نعم وبئس) يقول في تعليل ذلك: "ولا يجوز نعم الذي قام أنت ولا نعم الّذي ضرب زيدا أنت؛ من أجل أنّ الّذي بصلته مقصود إليه بعينه"[٨٦].

---

[٨٤] المصدر نفسه: ١/١١١، وينظر: الكتاب ١/٢٥٥ .

[٨٥] الأصول: ١/١١٤ .

[٨٦] الأصول: ١/١١٣، وينظر: المقتضب ٢/١٢٣ .

ويعلل أيضا " ولا يجوز أن تقول: زيدٌ نعم الرجل، والرجل غير زيد؛ لأنه خبر عنه وليس هذا بمنزلة قولك: زيدٌ قام الرجل؛ لأنّ معنى (نعم الرجل) محمود في الرجال"[٨٧].

وفي موضع آخر يعلل تعليلا دقيقا يقول فيه إنّ نعم تفيد المدح، فلا يجوز أن يقع مدح على مدح، فيقول: "وقال قوم كل ما لم تقع عليه (أيٌّ) لم تولـه نعم. لاتقول: نعم أفضل الرجلين أخوك؛ لأنّك، لا تقول: أي أفضل الرجلين أخوك؛ لأنه مدح، والمدح لا يقع على مدح"[٨٨].

وعلل أن (نِعْمَ و بِئْسَ) خالفت الأفعال من جهة الجمود بقوله: "إذا قلت: نعم فيك الراغب زيد، فقد فصلت بين الفعل والفاعل، ونعم وبئس ليست كسائر الأفعال؛ لأنّهما لا تتصرفان" [٨٩]. والعلة علة مخالفة .

وفي موضع آخر يتابع سابقيه ويعلل بقوله: "والنّحويون يدخلون (حبذا زيد) في هذا الباب، من أجل أنّ تأويلها حبَّ الشيء زيد؛ لأنّ ذا اسم مبهم يقع على كل شيء، ثم جعلت حبَّ وذا اسما فصار مبتدا أو لزم طريقة واحدة تقول: حبذا عبد الله، وحبذا أمة الله، ولا يجوز حبذه؛ لأنهما جعلا بمنزلة اسم واحد في معنى المدح فانتقلا عما كانا عليه "[٩٠].

---

[٨٧] المصدر نفسه: ١١٣/١ .

[٨٨] المصدر نفسه ١١٤/١ .

[٨٩] المصدر نفسه ١١٩/١، وينظر ٧٦/١، ٨١، ١٠١ .

[٩٠] المصدر نفسه ١١٤/١ – ١١٥، وينظر: المقتضب ١٤٥/٢، شرح ابن عقيل ١٧٠/٢ .

المبحث الثالث

التأويل

للتأويل عند اللغويين معانٍ متعددة منها: الرجوع؛ فأوّل يُؤول تأويلا: أي رجع وعاد[٩١]. والجمع، والإصلاح، فأُلتُ الشيء أؤوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه[٩٢]، ومنها التدبير والتقدير والتعبير، فأوّل الكلام وتأوّله: دبّره وقدّره، وأوّله: فسره[٩٣]، وقوله عزّ وجلّ: {□ □ □□ □ □ □ □ □□□ □ □ □ □ □□ □□□ □□□□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ } [يونس: ٣٩]؛ أي: لم يكن معهم علم تأويله.

فللتأويل معانٍ لغوية، منها ما يرتبط بموضوع البحث، ومنها ما ليس له علاقة به، ويبدو أن التأويل النحوي يندرج تحته معنى الرجوع، والتدبر، والتقدير، فهو رجْعُ النص إلى أساسه الأول من غير زيادة أو حذف، أو تقديم أو تأخير، والتدبر في النص حتى يطابق القاعدة النحوية، وما تعارفت عليه العرب[٩٤].

---

[٩١] ينظر: لسان العرب: مادة (أول): ١/١٧٢.

[٩٢] ينظر: تهذيب اللغة: مادة (أول): ١٥/٤٥٨.

[٩٣] ينظر: صحاح اللغة: مادة (أول): ٤/ ١٦٢٣ ولسان العرب: مادة (أول): ١/١٧١.

[٩٤] ينظر: التأويل النحوي عند ابن هشام: ١٣ .

والتأويل هو: "الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها النحاة للتوفيق بين القواعد والنصوص المخالفة لها" [٩٥]، فمن ذلك ما ذكره الدكتور تمام حسان من أن التأويل هو: "الرد، أي: إرجاع النص إلى أصله" [٩٦].

وأشار أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) إلى الضابط الذي يسوُغ عنده التأويل، فقال فيما نقله عنه السيوطي (ت ٩١١هـ): "إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتَأول، أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأويل"[٩٧].

ومن مصطلحات التأويل عند **سيبويه** في باب (نعم وبئس): التقدير، جاء ذلك في قوله: " ومما يضمَرُ؛ لأنَّهُ يفسِّرُه ما بعده ولا يكون في موضعه مظهَرٌ قولُ العرب: إنّه كِرامٌ قومُك، وإنّه ذاهبةٌ أمَتُك . فالهاء إضمارُ الحديث الذي ذكرتَ بعد الهاء، كأنَّه في التقدير – وإنْ كان لا يُتكلّم به – قال: إنَّ الأمرَ ذاهبةٌ أمَتُك وفاعلةٌ فُلانةُ، فصار هذا الكلامُ كلُّه خبرا للأمر، فكذلك ما بعد هذا في موضع خبره"[٩٨]، وفي قوله: " ... والرجلُ هو عبدُ الله ولكنه منفصِلٌ منه كانفصال الأخ منه إذا قلت: عبدُ الله ذَهَبَ أخوه . فهذا تقديرُه وليس معناه كمعناه"[٩٩].

---

[٩٥] أصول التفكير النحوي: ٢٦١.

[٩٦] الأصول دراسة ابستيمولوجية: ١٤٨.

[٩٧] الاقتراح: ٢٩.

[٩٨] الكتاب: ٢/١٧٦.

[٩٩] المصدر نفسه: ٢/١٧٨.

ويستعمل أحيانا ألفاظ التفسير والتوضيح بمعنى التأويل، نحو: (أي، والمعنى، والأصل، ولفظ التشبيه (كأنّ))، ومن ذلك قوله: "ومثلُ ذلك غَسَلْتُه غَسْلا نِعِمَّا، أي نِعْمَ الغسلُ"[١٠٠]، وقوله: "وذلك قولهم: نِعْمَ رَجُلا عبدُ الله، كأنك قلت: حَسْبُك به رجلا عبدُ الله؛ لأنَّ المعنى واحد . ومثل ذلك: رُبَّهُ رجلا، كأنّك قلت: وَيْحَه رجلا، في أنه عَمِلَ فيما بعده، كما عَملَ وَيْحَه فيما بعده لا في المعنى"[١٠١]، وقوله: " وإذا قال: عبدُ الله نِعْمَ الرجلُ، فهو بمنزلة: عبدُ الله ذهبَ أخوه، كأنه قال نِعْمَ الرجلُ فقيل له مَنْ هو ؟ فقال: عبدُ الله . وإذا قال عبدُ الله فكأنَّه فقيل له: ما شأنه ؟ فقال: نِعْمَ الرجلُ " [١٠٢]، وقوله: " وأصلُ نِعْمَ وبِئْسَ: نَعِمَ وبَئِسَ: وهما الأصلان اللذان وُضعا في الرَّداءة والصلاح " [١٠٣]، وقوله: " ومثل ذلك: نِعْمَ وبِئْسَ، إنما هما فَعِلَ، وهو أصلُهما. ومثل ذلك: " فِيها ونِعْمَتْ "، إنما أصلها: فيها ونَعِمَتْ " [١٠٤].

أما **المبرّد** فقد تابع أستاذه سيبويه في الإشارة إلى التأويل بمصطلح التقدير، من ذلك قوله: "... فتقديرهم أنَّ ذلك الكلام صار عِوضًا من علامة التأنيث..."[١٠٥]، وقوله: "وقال الله عزَّ وجلَّ: {□□ □ □ □ □ □□ □□ □
□□□ □□ □□□□□□□□□□□□□ □ □□
□□□□□□ □ □□□□□ □ □ □ □ □ □ □} [الأنعام: ١٦٠]

---

[١٠٠] المصدر نفسه: ١ / ٧٣ .

[١٠١] المصدر نفسه: ٢ / ١٧٥-١٧٦ .

[١٠٢] الكتاب: ٢ / ١٧٦-١٧٧ .

[١٠٣] المصدر نفسه: ٢ / ١٧٩ .

[١٠٤] المصدر نفسه: ٤ / ١١٦ .

[١٠٥] المقتضب: ٢ / ١٤٦ .

والتقدير – والله أعلم –: فله عشرُ حسناتٍ أمثالِها"[١٠٦]، وقوله: "... وكما قالوا: افعل هذا إما لا، أي: إنْ كنت لا تفعل غيره . فما زائدة، والتقدير: إن لا تفعل غَير هذا فافعل هذا "[١٠٧].

وقد استعمل المبرد فضلا عن مصطلح التقدير مصطلح التأويل الذي لم يُصرِّح به أستاذه سيبويه في هذا الباب، جاء ذلك في قوله: "ويؤول (نعم الرجل) في التقدير إلى أنَّك تريد معنى محمودا في الرجال ..." [١٠٨].

وسار على طريقة أستاذه فاستعمل بعض ألفاظ التفسير والتوضيح بمعنى التأويل، منها قوله: "اعلم أنَّ " نِعْمَ" و "بِئْسَ" كان أصْلُهما نَعِمَ وبَئِسَ" [١٠٩]، وقوله: "... أنَّك لمّا قلت: نعم الرجلُ فكأَنَّ معناه محمود في الرجال قلت: زيد على التفسير كأَنَّه قيل: مَنْ هذا المحمودُ؟ فقلت: هو زيد ... وإذا قلت: بئس الرجل، فمعناه: مذموم في الرجال . ثمّ تفسّر مَنْ هذا المذموم؟ بقولك: زيد "[١١٠]، وقوله: " فمن ذلك قولك: إنَّه عبدُ الله منطلقٌ. وكان زيدٌ خيرٌ منك؛ لأنَّ المعنى: إنَّ الحديث أو الأمر عبدُ الله منطلقٌ، وكان الحديث زيد " خير " منك..."[١١١]، وقوله: " فأمّا قولهم: ما رأيت كاليوم كاليوم رجلا، فالمعنى: ما رأيت مثلَ رجل أراه اليوم رجلا، أي: ما رأيت مِثْلَه

---

[١٠٦] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٧ .

[١٠٧] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٩–١٥٠ .

[١٠٨] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٠ .

[١٠٩] المصدر نفسه: ٢ / ١٣٨ .

[١١٠] المصدر نفسه: ٢ / ١٣٩–١٤٠.

[١١١] المصدر نفسه: ٢ / ١٤٢ .

في الرجال"[١١٢]، وقوله: " ... لا كالعَشِيةِ زائِرا ومزُورا، فعلى إضمار فِعْلٍ كأَنه قال: لا أرى كالعشيّة أي كواحد أراه العشيّة"[١١٣].

ولم يخالف **ابن السراج** سابقيه فقد استعمل التقدير والتأويل وبعض ألفاظ التفسير والتوضيح بمعنى التأويل، كقوله: "جاءني الرجل عبد الله إنما تقديره: إذا طرحت "الرجل" جاءني عبد الله"[١١٤]، وقوله: "والنحويون يدخلون" حبذا زيد "في هذا الباب من أجل أن تأويلها حب الشيء زيد" [١١٥]، وقوله: " وقوم يجيزون: نعم زيد رجلا، ويحتجون بقوله: "وحسن أولئك رفيقا". وحسن ليس كنعم، وللمتأول أن يتأول غير ما قالوا: لأنه فعل يتصرف"[١١٦]، وقوله: "نِعْمَ وبِئسَ فعلان ماضيان، كان أصلهما، نِعَمَ وبِئَسَ"[١١٧]، وقوله: "أنك لما قلت: نِعم الرجل، فكأن معناه، محمود في الرجال، وقلت: زيد ليعلم من الذي أثنى عليه، فكأنه قيل لك: من هذا المحمود؟ قلت: هو زيد"[١١٨].

المبحث الرابع

---

[١١٢] المقتضب: ١٤٩/٢ .

[١١٣] المصدر نفسه: ١٥٠/٢ .

[١١٤] الأصول: ١١٤/١ .

[١١٥] المصدر نفسه: ١١٤/١-١١٥ .

[١١٦] المصدر نفسه: ١١٧/١-١١٨ .

[١١٧] المصدر نفسه: ١١١/١ .

[١١٨] المصدر نفسه: ١١٢/١ .

الاستشهاد النحوي

الشاهد هو: الدليل الذي يُعتمد عليه في الأخذ بقاعدة ما، ورفض أخرى؛ أو هو ما يُذكر لإثبات قاعدة كلية؛ من كتاب أو سنّة، أو كلام عربي فصيح[١١٩].

وقد أجمع الدارسون على أن الشاهد هو الدليل الذي يؤخذ من الكلام العربي الفصيح قصد إثبات صحة قاعدة نحوية أو نفيها من المادة المحتج بها، فهو "ذكر الأدلة النصية المؤكدة للقواعد النحوية أي التي تنبني عليها هذه القواعد"[١٢٠]، أو " تلك الأقوال – من نثر أو شعر أو قراءة قرآنية – التي يُحتجُّ بها للقاعدة النحوية اطرادا أو شذوذا"[١٢١].

ويوظَّف أحيانا مصطلح الاحتجاج بدلالات متقاربة من الاستشهاد؛ ولكن الفرق بينهما يكمن في أن الاحتجاج يستخدم غالبا في المواقف التي تتطلب المغالبة والجدل بقصد التفوّق، ونصرة الرأي، أما الاستشهاد فهو الاخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة، فيلتقي بالاحتجاج في البرهنة على صحة القاعدة المحتج بها[١٢٢]. وعليه "فالاحتجاج يستعمل في المواقف

---

[١١٩] ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ١٤/١، و كتاب مصادر التراث النحوي: ٧١ .

[١٢٠] أصول التفكير النحوي: ٢١٩ .

[١٢١] النحو العربي شواهده ومقدماته: ٤١ .

[١٢٢] ينظر: في أصول النحو: ٩١ .

التي يحتدم فيها النزاع والخصام من أجل نصرة الرأي، والتفوق على الخصم، أما الاستشهاد فهو إبلاغ الرأي القاطع والموثوق به للغير"[١٢٣].

أما مصادر الاستشهاد فقد أخذ النحاة بالشاهد القرآني وهو الأصل الأول بمصادر الاستشهاد، وقد تباينت آراؤهم في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، فمنهم من عدها أصلا من أصول الاستشهاد، ومنهم من تشدد في الأخذ بها[١٢٤].

و"لقد انصرف النحاة المتقدمون عن الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف وأعرضوا عنه لأسباب متعددة أهمها روايته من قِبل الأعاجم، وتجويز روايته بالمعنى، وتعدد الروايات بالحديث الواحد" [١٢٥]، والحقيقة أنهم احتجوا بالحديث وإن كان هذا الاحتجاج قليلا[١٢٦].

أما المصدر الثالث من مصادر الاستشهاد فهو ما تكلمت به العرب على السجيّة، والسليقة، وهو يشمل كل ما قيل من أشعار العرب ونثرها في زمن الفصاحة، والنحاة عندما يتحدثون عن حجية كلام العرب إنما يقصدون هذا المصدر، يقول السيوطي: " وأما كلام العرب فيحتجّ منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم"[١٢٧].

---

[١٢٣] الاستشهاد في كتاب المقتضب (ماجستير): ٢٣ .

[١٢٤] ينظر: الاستشهاد في كتاب المقتضب (ماجستير): ٤٤ .

[١٢٥] المصدر نفسه: ٤٤ .

[١٢٦] ينظر: في أصول النحو، بلعيد: ١٢٦ .

[١٢٧] الاقتراح: ٣٣ .

وقد تنوعت طرق **سيبويه** في الاستناد إلى الشاهد القرآني في بناء الخصيصة اللغوية، فتارةً يشترك النص القرآني مع غيره في بناء القاعدة، وقد يبلغ اهتمامه بالنص القرآني حدا يجعل أبوابا معينة تستقي فيها الشواهد كلها من القرآن[١٢٨].

واستشهد بالقراءات القرآنية واستخلص منها القواعد، وقاس عليها كلام العرب أو قاسها على كلام العرب، وعدت القراءات في الكتاب واحدة من وجوه التأليف التي لم يحكم سيبويه بالتخطئة أو الشذوذ على ما جاء مخالفا للقياس منها[١٢٩].

وقد بلغت **شواهده القرآنية** في الباب – موضوع البحث – ثلاثة شواهد، فاستشهد على حذف علامة الاضمار بقوله: "واعلم أنَّك لا تُظْهِرُ علامةَ المضمَرين في نِعْمَ، لا تقول: نِعْمُوا رجالا، يَكتفون بالذي يفسِّره كما قالوا مررتُ بكلٍّ . وقال الله عزّ وجلّ: { □□□□ □□ □□ □ □□□□ □ □ □□□□□□ □□□□□ } [النمل: ٨٧]، فحذفوا علامةَ الإضمار وألزموا الحذفَ ... "[١٣٠]، واستشهد على تحريك العين في (نعمّا) بقراءة، فقال: " وأما قول بعضهم في القراءة: { □□□□ □ □ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□ □ □ □□□□□□ } [النساء: ٥٨]، فحَرَّك العين فليس على لغة من قال نِعْمَ فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال نِعِمَ فحرّك العين ... وأما قوله

---

[١٢٨] ينظر: منهج سيبويه في تحديد خصائص العربية (ماجستير): ٢٤ .

[١٢٩] ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: ٢٠٩-٢١٠ .

[١٣٠] الكتاب: ٢ / ١٧٩ .

عز وجل: {□□ □□ □□□□□□□□□□□ □ □} [المجادلة: ٩]، فإن شئتَ أسكنت الأوّل للمدّ، وإن شئت أخفيت وكان بزنته متحرِّكا"[١٣١].

أما شواهد الشعر في الكتاب فتعدّ من أكثر الشواهد عددا، وأبرزها حضورا وملازمةً للقاعدة اللغوية، وتختلف أبواب الكتاب من حيث تضمنها للشواهد الشعرية، فتارةً نجد الباب لا يتضمن سوى شاهد واحد، وتارةً أخرى نجد أبوابا يقوم التقعيد فيها أساسيا على الشواهد الشعرية[١٣٢].

وبلغت **شواهده الشعرية** في باب (نعم وبئس) ثلاثة شواهد، فقد استشهد في معرض حديثه عن دخول التاء في قولهم: هذه الدار نعمت؛ لمّا كان البلد الدار دخلت التاء، وقولهم: هذا البلد نعم الدار؛ لمّا كانت البلد ذُكِّرت (نعم) ولم تدخل التاء، بقول الشاعر:

" هل تَعرفُ الدارَ يُعَقِّبها المُورْ والدَّجْنُ يوما والعَجاجُ المَهْمُورْ

* لكلِّ ريحٍ فيه ذَيْلٌ مَسْفُورْ *

فقال " فيه" لأنّ الدارَ مكانٌ، فحملَه على ذلك" [١٣٣]، فاستشهد على تذكير الضمير في (فيه)؛ لأن الدار بمعنى المنزل .

واستشهد على تسكين العين وكسر الأول في نحو: شِهْدَ ولِعْبَ بقول الأخطل:

---

[١٣١] المصدر نفسه: ٤ / ٤٣٩-٤٤٠ .

[١٣٢] ينظر: منهج سيبويه في تحديد خصائص العربية (ماجستير): ٢٩ .

[١٣٣] الكتاب: ٢ / ١٧٩-١٨٠ .

" إذا غابَ عنَّا غَابَ عَنَّا فُراتُنا   وإنْ شِهْدَ أجْدَى فَضْلُه وجَدَاوِلُه" [١٣٤].

واستشهد على كسر عين (نعم) بقول طرفة :

"ما أَقَلَّتْ قَدَمٌ ناعِلَها   نِعِمَ الساعُونَ في الحيِّ الشُّطُرْ "[١٣٥].

يأتي بعد الشعر **كلام العرب** على مستوى الاستشهاد، وهو كلام نثري غير الأمثال؛ ويتمثّل " بتعبيرات مسموعة عن العرب، تتردّد على ألسنتهم، وتتّضح فيها أساليبهم من حذف وتقديم وتأخير، ونصب ورفع، ونحو ذلك"[١٣٦].

وكان سيبويه يستشهد في هذا الباب بكلام العرب ويشير إلى ذلك بعبارات منها: " وذلك قولهم"[١٣٧]، و " قول العرب"[١٣٨]، و "أما قولهم"[١٣٩]، وقد يُشير إلى اللغة التي استشهد بها، كقوله: "لغة هذيل "[١٤٠] و " أهل مكة:[١٤١].

---

[١٣٤] المصدر نفسه: ٤ / ١١٦ .

[١٣٥] المصدر نفسه: ٤ / ٤٤٠ .

[١٣٦] من أعلام البصرة: ١٠٨ .

[١٣٧] الكتاب: ٢ / ١٧٥ .

[١٣٨] المصدر نفسه: ٢ / ١٧٦ .

[١٣٩] المصدر نفسه: ٢ / ١٧٦، ١٧٩ .

[١٤٠] المصدر نفسه: ٤ / ٤٤٠ .

[١٤١] المصدر نفسه: ٤ / ٤٤٠ .

أما النقل عن شيوخه فقد نقل عن "الخليل" [١٤٢] و"أبو الخطاب" [١٤٣].

ولم يرد في باب (نعم وبئس) استشهاد لسيبويه بالحديث النبوي الشريف، أو أمثال العرب .

أما **المبرّد** فقد فاق سيبويه في الاستشهاد في هذا الباب، فاتسعت رقعة الاستشهاد عنده، وبلغت شواهده القرآنية (١٢) شاهدا، منها استشهاده للدلالة على الجنس بقوله: " وقال الله عزَّ وجلَّ: { □□□□ □□□ □□□□□□□□□ □ □□ □ □□ □□□□□□□□ □□ □□□ □□□□□□ } [العصر: ١ –٢]، فهو واقع على الجنس؛ ألا تراه يقول: { □ □□□ □ □ □□□□□□□ □ □ □□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□ □ □ □□□□□□□□□ □□□□ } [العصر: ٣] وقال: {□□□□□ □ □□ □□□□□□□ □□□□ □□ □ □□□ □ □□□□□□□} [المعارج: ١٩]. وقال:{□□□□ □ □ □□□□□□□□ □ □ □ □□□□} [المعارج: ٢٢]" [١٤٤].

واستشهد على حذف التاء بقوله: " قال عزَّ وجلَّ: { □□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□ □ □ □ } [هود: ٦٧]، وقال: {□□ □ □ □ □ □ □□ □□ □□ □□ □□ □

---

[١٤٢] المصدر نفسه: ٢ / ١٨٠ .

[١٤٣] المصدر نفسه: ٤ / ٤٤٠ .

[١٤٤] المقتضب: ٢ / ١٤١ .

□□ □□□ □ □□□ □□ □ □ □□ □□ □ □ □ □ } [البقــرة: ٢٧٧] " [١٤٥]، وغيرها من الشواهد القرآنية [١٤٦].

وفضلا عن شواهده القرآنية نجد اتساع الاستشهاد عنده بالشعر فبلغت شواهده في هذا الباب (٩) شواهد، منها استشهاده على إحدى لغات (نِعْمَ) وهي (نَعِمَ) بفتح الأول وكسر الثاني، بقول الشاعر: "

فَفِدَاءٌ لبَنى قَيْس على ما أصابَ الناسَ مِنْ سُوءٍ وضُر

ما أقلَّتْ قَدَمِي أنَّهُـمْ نَعِمَ الساعون في الأمر المُبِرّ"[١٤٧].

واستشهد على حذف التاء بقول الشاعر: "

لئيم يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ لئيم مآثِرُهُ قُعْدُدٍ

وقال الآخر:

بَعِيدُ الغَزاةِ فما إنْ يزا لُ مُضْطَمِرًا طُرّتاهُ طَلِيحا"[١٤٨].

والشاهد في البيت الأول حذف التاء من لئيمة لأن الفاعل مؤنث مجازي، والثاني حذف التاء من (مضطمرا)[١٤٩]، وغيرها من شواهده الشعرية[١٥٠].

---

(١٤٥) المصدر نفسه: ٢ / ١٤٤ .

(١٤٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨ .

(١٤٧) المقتضب: ٢ / ١٣٨ .

(١٤٨) المصدر نفسه: ٢ / ١٤٥ .

(١٤٩) ينظر: المصدر نفسه، الهامش (١) و (٢): ٢ / ١٤٥ .

أما المحكي عن العرب من الأمثال فقد مرّ بنا أن سيبويه لم يستشهد بالأمثال في باب (نعم وبئس)، في حين نجد المبرد يسوق الأمثال في موضعين في معرض حديثه عن حبذا؛ إذ يقول: " ولا يجوز: حبّذِه؛ لأنَّهما جُعلا اسما واحدا في معنى المدح، فانتقلا عمّا كانا عليه قبل التسمية؛ كما يكون ذلك في الأمثال؛ نحو: " أطِرِّي فإنَّكِ ناعِلَة " ونحو " الصيفَ ضيَّعتِ اللبَنَ "؛ لأنَّ أصل المثَل إنَّما كان لامرأة، فإنَّما يُضْرَبُ لكلِّ واحد على ما جرى في الأصل . فإذا قلته للرجل فإنَّما معناه: أنتَ عندي بمنزلة التي قيل لها هذا "[١٥١].

أما **ابن السراج** فقد بلغت شواهده القرآنية في هذا الباب(٨) شواهد، منقولة في الغالب عن المبرد[١٥٢].

ومرّ بنا الفرق بين الاستشهاد والاحتجاج، وقد أشار ابن السراج إلى مصطلح الاحتجاج بقوله: " وقوم يجيزون: نعم زيد رجلا، ويحتجون بقوله: " وحسن أولئك رفيقا " "[١٥٣].

أما المحكي عن العرب من الأمثال فقد نقل ابن السراج أحد أمثال المبرّد في معرض حديثه عن حبذا[١٥٤].

---

[١٥٠] ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠ .

[١٥١] المصدر نفسه: ١٤٣/٢ .

[١٥٢] ينظر: الأصول: ١١٢/١، ١١٣، ١١٥، ١١٩ .

[١٥٣] المصدر نفسه: ١١٧/١ .

[١٥٤] الأصول: ١١٥/١ .

ونقل ابن السراج عن العلماء الذين سبقوه، كـ " الكسائي " [١٥٥]، و " الأخفش"[١٥٦] و " أبو العباس"[١٥٧].

الخاتمة :

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، فقد منّ الله عليّ بفضله وكرمه أن تمّ هذا البحث والذي أسفر عن نتائج متعددة؛ أهمها:

١ -تركيب المدح والذم تركيب قائم على أساس من الإفصاح عن الانفعالات التي تعرض للنفس إزاء موضوع يستحق أن يمتدح أو يذم.

٢ -يتكفل بالافصاح عن معنى المدح والذم العام صيغتي (نِعم) و (بِئس)، ويُلحق بهما صيغ المدح والذم الخاصة، وأشهرها: ساء، وحبذا، ولا حبذا.

٣ -جاءت العنوانات عند سيبويه في الغالب عبارة عن سطور، أو عبارات طويلة.

٤ -لم يستعمل سيبويه مصطلح (المدح والذم) كعنوان للباب، ولم يذكره في حديثه ضمن هذا الباب، فهو لا يهدف إلى وضع المصطلحات وضعا فنيا، وإنما يجعل المصطلح ينكشف من ثنايا العبارات التي يستعملها في شرحه . بينما استعمل المبرد مصطلح (المدح والذم) في حديثه عن أصل (نعم وبئس)، واستعمله ابن السراج في حديثه عن حبذا.

---

[١٥٥] المصدر نفسه: ١/١١٥، ١١٨ .

[١٥٦] المصدر نفسه: ١/١٢٠ .

[١٥٧] المصدر نفسه: ١/١١٣ .

٥ -استعمل ابن السراج (نعم وبئس) ووضعها عنوانا للباب، وهو بذلك يقتصر العنوان بعد أن كان عند سيبويه عبارات طويلة.

٦ -اتسمت أغلب تعليلات سيبويه بخلوها من التعقيد، وعلى مستوى الباب موضوع البحث أكثر ابن السراج من تعليلاته فيه، ولا عجب في ذلك فهو يرى الغرض من كتابه (الأصول) ذكر العلة.

٧ -استعمل سيبويه في هذا الباب مصطلح التقدير بمعنى التأويل، واستعمل أحيانا بعض ألفاظ التفسير والتوضيح بمعنى التأويل، وتابعه في ذلك المبرد وابن السراج. إلا أن المبرد قد صرّح بمصطلح التأويل وتابعه ابن السراج، و لم يصرّح سيبويه به في هذا الباب.

٨ -اتسعت رقعة الاستشهاد عند المبرد، فقد فاق سيبويه في هذا الباب بالاستشهاد بالقرآن والشعر، فضلا عن استشهاده بمثالين من أمثال العرب، نقل أحدهما ابن السراج. في حين لم يستشهد سيبويه بالأمثال.

المصادر :

القرآن الكريم

- أساليب تعريف المصطلح النحوي، ماجد شتيوي دخيل الله القريات، (ماجستير)، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، ٢٠٠٢م .
- الاستشهاد في كتاب المقتضب للمبرد (دراسة لغوية)، زروقي جمعة، (ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠٠٩م,
- أسرار العربيّة، كمال الدّين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) طبع في مدينة ليدن، ١٨٨٦هـ .
- أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، ط١، دار غريب، ٢٠٠٦م .
- الأصول، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمّد بن سهل بن السّرّاج (ت ٣١٦هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م .
- أصول التفكير النحوي: الدكتور علي أبو المكارم، بيروت، ١٩٧٣م.
- الاقتراح في علم اصول النحو: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، قدم له وضبطه وصحّحه وشرحه وعلّق حواشيه وفهرسه،

الدكتور أحمد سليم الحمصي، الدكتور محمد احمد قاسم – جروس بدس- ط١- ١٩٨٨م. وطبعة: حيدر آباد- ط٢- ١٣٥٩هـ.

- الأمالي الشّجرية، ابن الشجري هبة الله علي بن حمزة العلوي (ت٥٤٢هـ) دائرة المعارف، مطبعة حيدر آباد، ١٣٤٩هـ .
- الانتصار لسيبويه على المبرّد، ابن ولاد، أبو العبّاس أحمد بن محمّد التميميّ النحويّ (ت٣٣١هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١م .
- الايضاح في علل النحو: ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحـ: الدكتور مازن المبارك- ط٣، دار النفائس-بيروت- ١٩٧٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، جلال الدّين السيوّطيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٦٤م .
- تاريخ آداب اللّغة العربيّة جرجي زيدان، راجعها وعلق عليها الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال، ١٩٥٧م .
- التأويل النحوي عند ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ليث قُهيِّر عبد الله الحياني الهيتي، (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م .

- تركيب المدح والذم من منظور وظيفي، ليلى كادة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد ٢٢، ٢٠١١م .
- التعليل النحوي عند المبرد (ت٢٨٥هـ) في كتابه المقتضب، علي عباس فاضل، (ماجستير)، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٦م .
- تهذيب اللغة: الأزهري،محمد بن احمد،تحقيق:جماعةمن العلماء، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م .
- دراسات في كتاب سيبويه: الدكتورة خديجة الحديثي– دار غريب للطباعة– القاهرة– ١٩٨٠م.
- ديوان جرير: جرير بن عطية الخطفي، دار صادر، بيروت، (د – ت).
- سر صناعة الإعراب، صنفه أبي الفتح عثمان بن جني النّحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق لجنة من الأساتذة، مصطفى السقا، ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، دار احياء التراث، ١٩٥٤م .
- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، نشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، ١٣٧٢هـ . ١٩٥٣م .
- سيبويه، حياته وكتابه، الدكتور أحمد أحمد بدوي، ط٢، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، (د.ت).

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله بن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٣، مطبعة السعادة، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.
- شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩م .
- شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- شرح المفصل: ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) يعيش بن علي النحوي، عالم الكتب، بيروت، (د – ت).
- شرح المقدّمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ) تحقيق: خالد عبد الكريم،ط١، الكويت، ١٩٧٦ م .
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨م .
- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
- طبقات النّحويّن واللّغويين، أبو بكر محمّد بن الحسن الزّبيدي (ت ٣٧٩هـ) تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٤م .

- طبقات فحول الشّعراء، محمد بن سلام الجمحيّ (ت ٢٣١هـ) شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (د –ت) .
- العلة النحوية تاريخ وتطور حتى نهاية القرن السادس الهجري: الدكتور محمود جاسم الدرويش، دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.
- علة كثرة الاستعمال في كتاب سيبويه دراسة لغوية – نحوية، شيماء عبد الزهرة نعمان المالكي، (ماجستير) كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٨م.
- الفكر النحوي عند العرب، اصوله ومناهجه، الدكتور علي مزهر الياسري، تقديم: الدكتور عبد الله الجبوري– الدار العربية للموسوعات – بيروت– لبنان– ط١– ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.
- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، دمشق ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م .
- في أصول النحو صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر ٢٠٠٥.
- في أصول اللغة والنحو، الدكتور فؤاد حنا ترزي، دار الكتب، بيروت (د–ت).
- الكتاب المقتضب (دراسة ونقد)، أمين علي السيد، (ماجستير)، كلية العلوم، ١٩٦٩م .
- كتاب سيبويه في الدراسات النحوية الحديثة في العراق (١٩٥٠م–٢٠٠٠م)، غادة غازي عبد الحميد، (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م .

- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب ومكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- المدارس النحوية: الدكتورة خديجة الحديثي – مطبعة جامعة بغداد– ط٢– ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
- المدارس النّحوية، الدكتور شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنحو، الدكتور مهدي المخزومي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٥٥م.
- مصادر التراث النحوي، محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر ٢٠٠٣م.
- المصطلح النحوي،نشأته وتطوره أواخر القرن الثالث الهجري، عوض محمد القوزي، ط٢، شركة الطباعة العربية، السعودية،١٩٨١م.
- المطالع السّعيدة في شرح الفريدة، جلال الدين السّيوطي (ت٩١١هـ) في النّحو والصرف والخط، تحقيق الدّكتور نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٢، شركة العاتك، القاهرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- معجم الأدباء، الحمويّ أبو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ)، مكتبة عيسى البابي الحلبي معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، بيروت دار صادر، ١٩٥٧م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، الدكتور محمد سعيد نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، ط١، دار الفرقان، بيروت ١٤٠٥هـ ١- ١٩٨٥م.
- المفصل، الزمخشري، مراجعة وتعليق: محمد عز الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ) تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، المطبعة الوطنية، عمان - الأردن، ١٩٨٢م .
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتاب- بيروت، (د-ت).
- من اعلام البصرة، سيبويه، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه، الدكتور صاحب جعفر ابو جناح، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٤م.
- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحويّ، الدكتور محمد كاظم البكاء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٩م .

- النحو العربي شواهده ومقدماته، أحمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها): الدكتور مازن المبارك- المكتبة الحديثية- ط١- ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
- منهج كتاب سيبويه في تحديد خصائص العربية الفصحى، عمر رشيد شاكر السامرائي، (ماجستير)، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٢م.
- النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شهبان عوض محمد العبيدي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٨٩م.
- النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، المنشأة الشعبية، طرابلس، ليبيا ١٩٨١م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مطبعة المدني (د- ت) .
- نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠١م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السّيوطيّ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرّم، دار البحوث العلمية، الكويت: الجزء الثاني، طبع ١٩٧٥م، الجزء الرابع، طبع ١٩٧٩م .

(كان) بين الاستعمال والتنظير...
بحث دلالي

المدرس رضا جاسم أبو حميد
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الملخص:

١- لقد عرض البحث لمجموعة من الإشكالات النحوية في تركيب الأفعال الناقصة, وما بنى عليه النحاة قاعدة إعمال الأفعال الناقصة, وسبب تسميتها بالناقصة, هل هو في ضوء إعمالها أم في ضوء دلالتها.

٢- تطرق البحث إلى إشكالية (كان), ودلالتها, أهي حدث مرتبط بزمن, أم هي دالة على الزمن دون الحدث, وأثر هذه الدلالة في تمامها أو نقصانها, ومن ثم إعراب مرفوعها.

٣- هناك مجموعة من الأفعال تتضمن معاني الأفعال الناقصة, وتأخذ أحكامها, نحو: (آض, وغدا, وراح, وعاد).

٤- كما أشار البحث إلى مسألة دخول الأفعال الناقصة على الجملة الأسمية بتقييد, وليس على الإطلاق.

ومما عرضه البحث إشكالية عدم استحسان النحاة لمجيء الفعل الماضي خبرا لـ(كان), وحجتهم أنّ الدلالة الزمنية لـ(كان) لا تجوز

الجمع بين صيغتين للماضي, وقد أبطل الاستعمال القرآني هذا القول؛ لكثرة الشواهد القرآنية عليه.

٥- تتعدد دلالات (كان) بحسب السياق, ومراعاة ظروف إنتاج الكلام.

٦- يجوز مجيء أنْ المصدرية مع الفعل المضارع في خبر (كان), وهذا ما لم يتنبه له النحاة, وقد أثبته الاستعمال القرآني.

تمام (كان) ونقصانها بين الدلالة والعمل:

يذهب جمهور النحاة إلى أنّ (كان وأخواتها) أفعال ماضية ناقصة، وأختلف في سبب تسميتها بالناقصة، فمنهم من يرى أنها لا تدل على الحدث المقترن بزمن، وإنّما ترتبط دلالتها بالحدث فقط، وقيل سميت ناقصة؛ لأنّ لا تكتفي بمرفوعها، وتحتاج إلى اسم نصوب ليتمَّ معناها (رضي الدين الإستراباذي(٦٨٦هـ)، (١٩٩٦م), (٢٠٠٧م)، الصفحات (١٨١-١٨٢)(١٨٩)), قال ابن يعيش (٦٤٣هـ): ((هي أفعال لفظيةٌ لا حقيقة، لأنّ الفعل في الحقيقة ما دلّ على حَدَث، والحدثُ الفعل الحقيقي، فكأنه سُمّي باسمِ مدلوله. فلمّا كانت هذه الأشياء لا تدل على حدث، لم تكن أفعالا إلا من جهة اللفظ والتصرّف؛ فذلك قيل: أفعال عبارة" (أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، ٢٠٠١، صفحة ٣٣٦)، أما ابن مالك فيخالف ابن يعيش، ويقول: "وتسمى نواقص لعدم اكتفائها بمرفوع، لا لأنّها تدل على زمن دون حدث، فالأصح دلالتها عليهما إلا ليس)) (محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، صفحة ٣٣٨)، وتفسير ((سبب تسميتها نواقص إنّما هو عدم اكتفائها

بمرفوع، وانّما لم تكتفِ بمرفوعٍ، لأنّ حدثها مقصودٌ إسناده إلى النسبةِ التي بين معموليها، فمعنى قولك: كان زيدٌ عالما، وجد اتصافَ زيدٍ بالعلم، والاقتصارُ على المرفوع غيرُ وافٍ بذلك، فلهذا لم يُستغنَ به عن الخبر التالي، وكان الفعل جديرا بأنْ يُنسبَ إلى النقصان)) (محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، صفحة ٣٤١)، ويتبنى الدكتور فاضل السامرائي مذهب ابن مالك (السامرائي، ٢٠٠٧م، صفحة ١٨٩)، في حين يذهب الدكتور تمام حسان إلى أنّ (كان) تكون ناقصة إذا دلتْ على الزمن دون الحدث, إذ يقول: ((إذا كانت خلوا من معنى الحدث، وخالصة لمعنى الزمان، فهي ناقصة، ومنقولة عن الفعلية إلى معنى الأداة، ولا يبقى لها من سمات الفعلية إلا التصرف)) (حسان، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٢).

أما حقيقة إعراب الاسم المرفوع بعد (كان), فله ما يعلله، يقول سيبويه (١٨٠هـ): ((هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول, واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد" ((١٨٠هـ)، ٢٠٠٤م، صفحة ٤٥), فـ ((المرفوع ها هنا والمنصوب لحقيقة واحدة, ولم يكونا كالفاعل والمفعول الحقيقيتَيْن مختلفتَين, أفرد الكلامَ عليه في باب منفرد, ولم يذكر في باب الفاعل والمفعول, ولذلك قيل لمرفوعها: "اسمٌ" ولمنصوبها "خبرٌ")) (يعيش(٦٤٣هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣٣٦).

اقتصر سيبويه على ذكر بعض أخوات كان، وإنّما أشار إليها إشارة بقوله: ((كان ويكون، وصار، وما دام, وليسَ وما كان نحوهنَّ من الفعل مما لا يَستغني عن الخبر)) ((١٨٠هـ)، ٢٠٠٤م، صفحة ٤٥), وهذا ما ذكره الزمخشري (٥٣٨هـ) بقوله: ((ولم يذكر سيبويه منها إلا (كان, وصار,

وما دام, وليس), ثم قال وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر. ومما يجوز أن يلحق بها عاد وآض وغدا وراح)) ((٥٣٨هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣٤٩), ((وأمّا "آضَ", و "عَادَ", فقد يجوز أن يلْحَقا بها, ويعملا عملَها, وذلك أنّ "آضَ" "يئِيضُ" بمعنَى "عَادَ" "يَعُودُ" ومنه قولهم: "وَقَالَ أيْضًا". وقد يستعمل بمعنَى "صَارَ". قال زُهَيْر ذكرَ أرضًا قطعها:

قطعتُ إذا ما الآلُ آضَ كأنه ... سُيُوفٌ تَنَحّى ساعَة ثُمَّ تَلْتَقِي

وأمّا "غَدَا" و "رَاحَ", فقد يجريان هذا المجرى, فيقال: "غدا زيدٌ ماشِيًا", و "راح محمّدٌ راكبًا, يريد الإخبار عنهما بهذا الأحوال في هذه الزمنة. فالغَدوَةُ: من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس, والرّواحُ نقيضُ الغُدُوّ, وهو اسمٌ للوقت من بعد الزوال إلى الليل. والذي يدلّ أن المنصوب بهما في مذهب الخبر, وليس بحالٍ, وقوعُ المعرفة في نحوِ قولك: "غدا زيد أخاك", و "راح محمّدٌ صديقَك", كما تقول: "كان زيدٌ اخاك)) (يعيش(٦٤٣هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣٣٧), وهذا الإعمال في هذه الأفعال مبني على باب الترادف. ((٦٨٦هـ)، ١٩٩٦م، صفحة ١٨٣)

وقد تستعمل هذه الأفعال الناقصة تامة, ومن شروط تمامها أنْ تدلَ على معنى الحدث والزمان, وهو مذهب الجمهور (الأزهري(٩٠٥هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٢٤٩), يقول ابن يعيش: ((وأمّا كونها ناقصة فإن الفعل الحقيقيّ يدل على معنى وزمان, نحوَ قولك: (ضَرَبَ), فإنّه يدلّ على ما مضى من الزمان, وعلى معنى الضرب. و(كَان) إنمّا تدلّ على ما مضى من الزمان فقط, و(يَكُونُ), تدلّ على ما أنت فيه, أو على ما يأتي من الزمان, فهي تدلّ على زمان فقط, فلمّا نقصت دلالتُها, كانت ناقصة))

(يعيش(٦٤٣هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣٣٦), ومن النحاة من يرى أنّ مسألة النقص والتمام مرتبطٌ بمعناها في حال الاكتفاء بالمرفوع (محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، صفحة ٣٣٨), وفيه يقول رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ): ((فـ(كان) يدل على حصول حدث مطلق تقييده في خبره, وخبره يدل على حدث معين واقع في زمان مطلق تقييده في (كان), لكن دلالة (كان) على الحدث المطلق أي الكون: وضعية, ودلالة الخبر على الزمان المطلق عقلية, ..., فمعنى كان زيدٌ قائما: أنّ زيدا متصفٌ بصفةِ القيام المتصف بصفة الكون أي الحصول والوجود)) ((٦٨٦هـ)، ١٩٩٦م، صفحة ١٨٢).

إنّ مسألة دخول الأفعال الناقصة على المبتدأ والخبر مقيدة, وليست مطلقة, فقد ((جرت عادة النحويين بإطلاق القول في كون هذه الأفعال تدخل على المبتدأ, فلا يبينون امتناع بعض المبتدآت من دخولها عليها)) (محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، صفحة ٣٣٥), ((إذا لم يلزم التصدير ولا الحذف, ولا عدم التصرف, ولا الابتدائية بنفسه, أو بغيره, فالأول: كاسم الشرط, والثاني: كالمخبر عنه بنعت مقطوع, والثالث: نحو: طوبى للمؤمن, والرابع: نحو: أقلُ رجلٍ يقول ذلك إلا زيدا, والخامس: كمصحوب إذا الفجائية, والخبر إذا لم يكن طلبًا ولا إنشاء)) (الأزهري(٩٠٥هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٢٣٣), حد النحاة هذه المواضع بعدم جواز دخول الأفعال الناقصة عليها, لكن على خلاف في بعضها. (الأندلسي(٧٤٥هـ)، ٢٠١٠م، الصفحات ١٢٨-١٣٠)

يصح أن يقع خبر كان جملة فعلية, فعلها مضارع, ((إلا أنّه لا يحسن وقوعُ الفعل الماضي في أخبارِ كان وأخواته؛ لأنّ أحد اللفظَيْن يُغْنِي عن

الآخر)) (يعيش(٦٤٣هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣٤٤), هذا ما أقره النحاة, في حين نجد ورود الفعل الماضي خبرا لـ(كان), نحو قوله تعالى: ((وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ)) [يوسف:٢٧], وقوله تعالى: ((فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ)) [يونس:٩٨], ومنه قوله تعالى: ((إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ)) [المائدة:١١٦], أما دلالة مجيء الفعل الماضي خبرا لـ(كان), فقد أشار لها الدكتور فاضل السامرائي بقوله: ((فإذا كان خبرها فعلا ماضيا, دلّ على أنّ الأمر حصل مرة, فثمة فرق بين قولنا: كان محمدٌ كاتبا, وقولنا: كان محمدٌ كتب في هذا الأمر, فالأول وصفٌ دائم, والثاني لمن قام بالفعل مرة واحدة)) (السامرائي، ٢٠٠٧م، صفحة ١٩٢), مما تقدم نجدُ أنّ الاستعمال القرآني قد أبطل فكرة عدم الجمع بين (كان), والفعل الماضي في خبرها.

- دلالة (كان) في الاستعمال:

لا تختص كان بالدلالة على الماضي فقط, وإنما لها معانٍ مختلفة, منها ما يدل على الماضي المنقطع: نحو قوله تعالى: ((كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادا)) [التوبة:٩٦], ومنه ما يدل على وقوع الفعل مرة واحدة, نحو قوله تعالى: ((وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ)) [الأحزاب:١٥], وضربٌ آخر تدل فيه على الماضي المتجدد, نحو قوله تعالى: ((كَانُوا قَلِيلا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)) [الذاريات:١٧], ومن دلالتها كذلك توقع الحدوث في الماضي, كقولنا: (كان محمدٌ سيفعل هذا), ومن دلالتها أيضا الدوام والاستمرار, ((وَكَانَ اللهُ عَلِيما حَكِيما)) [النساء:١٧], ومن

دلالتها أنّها تدل على الحال نحو قوله تعالى: ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)) [الأحزاب:٤٠], وتدلُّ (كان) على الاستقبال, كقوله تعالى: ((إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورا)) [الإنسان:٥], فهو بمنزلة المتحقق,

وتأتي (كان) بمعنى (ينبغي) من نحو قوله تعالى: ((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادا لِي مِنْ دُونِ اللهِ)) [ال عمران: ٧٩], أو تكون بدلالة القدرة والاستطاعة كقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيما)) [النمل:٥٣], وربما تكون زائدة أي لم يؤت بها للإسناد, فتزاد للدلالة على الزمن نحو: (ما كان أحسنَ زيدا), أو تكون زيادتها للتأكيد كقولهم: (إنّ زيدا كان منطلقٌ), فحُكِمَ بزيادة كان ومرفوعها من ناحية الإسناد, ودلالتها التأكيد (السامرائي، ٢٠٠٧م، الصفحات١٩١-٢٠١), ومنه قوله تعالى: ((كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّا)), ((والمراد: كيف نكلّم من في المهد صبيًا)). (يعيش(٦٤٣هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣٤٧)

-متى تحذف النون من كان؟

لا يخضع حذف النون في مضارع (كان) إلى قاعدة مطردة, فقد علل النحاة لحذف النون بكثرة الاستعمال شرطَ أن يجزم المضارع منها, ((إذا جزم الفعل المضارع من (كان) قيل: لم يكن, والأصل (يكون) فحذف الجازم الضمة التي على النون, فالتقى ساكنان الواو والنون, فحذف الواو لالتقاء

الساكنين, فصار اللفظ (لم يكن), والقياس يقتضي أن لا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر, لكنهم حذفوا النون بعد ذلك تخفيفا لكثرة الاستعمال, فقالوا لم يك وهو حذف جائز لا لازم, ومذهب سيبويه ومن تابعه أن هذه النون لا تحذف عنه ملاقاة ساكن, فلا تقول: لم يك الرجل قائما, وأجاز ذلك يونس)) (الهمداني(٧٦٩هـ)، ١٩٨٠م، صفحة ٢٩٩).

يرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ حذف النون ليس لمجرد التخفيف, وإنّما يكون لغرضٍ بلاغي, فقد جاء حذف النون من مضارع (كان) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة, في حين لم تحذف –مع إمكان الحذف– في سبعةٍ وخمسين موضعا, ((وما ذلك إلا لسببٍ بلاغي يقتضيه المقام)) (السامرائي، ٢٠٠٧م، صفحة ٢٠٩), فالحذف يقع لأغراضٍ بحسب ما يتطلبه المقام منها (السامرائي، ٢٠٠٧م، الصفحات ٢١٠-٢١٣).

١ -الإسراع: إذ يقتضي المقام الإسراع في الكلام لا الإطالة, من نحو أساليب التحذير والإغراء, فالإيجاز في مثل هذه المواقف غاية المتكلم، كقول القائل لشخص على سفر, وتداركه الوقت (لا تك غافلا).

٢- يدل الحذف على حال المتكلم من ضعف أو عدم رغبة في الحديث، نحو قوله تعالى: ((قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)) [المدثر:٤٣].

٣- يدل الحذف على النهي عن حصول الشيء بقوة كقوله تعالى: ((وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)) [النحل:١٢٧], فسياق الآية الكريمة جاء في مجموعة آيات معناها يدل على الأمر بالصبر, ومن ثم النهي, ((وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ

(١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُون)), وكل هذا مبني على ما تعرض المسلمون يوم أحد من شتى أنواع التمثيل, ((فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر, وتهوينه على النفس)) (السامرائي، ٢٠٠٧م، صفحة ٢١١).

وفي نصٍ قرأني آخر قال تعالى: ((وَلا تَحزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)) [النمل:٧٠], فلم تحذف النون؛ لأن هذا النص جاء في سياق قرآني دلالته المحاججة في المعاد, فليس بحاجة إلى التخفيف الذي اقتضاه النص القرآني السابق ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمينَ (٦٩) وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)).

٤- قد يدل الحذف على نفي حصول الشيء نحو قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتا لِلَّهِ حَنِيفا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكينَ)) [النحل:١٢٠].

٥- وقد ينبه الحذف على نشأة الشيء وحقارته كقوله تعالى: ((أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)) [القيامة:٣٧], ومنه قوله تعالى: ((يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))[لقمان:١٦].

مجيء (أنْ) المصدرية في خبر كان:

لم يُشر النحاة إلى مجيء (أنْ) المصدرية في خبر كان (بنيان، ٢٠٠٢م، صفحة ٢٧٤)، ومن المحدثين من منع مجيء المصدرية الناصبة في خبر كان (محمد، ١٩٩٨م، صفحة ١٥١)، وقد وردت (أن) مقترنة بالفعل المضارع في خبر كان في الاستعمال القرآني، قال تعالى: ((وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى)) [يونس:٣٧]، الدلالة الزمنية لـ(كان) هي المضي، مع دلالة (ما) النافية، ومعنى الاستقبال لـ(أنْ) مع صيغة المضارع المبني للمجهول، فلم يلتفت النحاة لهذا الاستعمال القرآني؛ لأنّهم شغلوا أنفسهم بالقاعدة النحوية التي تقتضي عدم جواز الإخبار بالمصدر (السامرائي، ٢٠٠٧م، صفحة ١٧٦) يقول ابن عاشور: ((مَا كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: مَا هُوَ بِمُفْتَرًى، لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ فِعْلُ الْكَوْنِ مِنَ الْوُجُودِ، أَيْ مَا وُجِدَ أَنْ يُفْتَرَى، أَيْ وُجُودُهُ مُنَافٍ لافْتِرَائِهِ، فَدَلالَةُ ذَاتِهِ كَافِيَةٌ فِي أَنَّهُ غَيْرُ مُفْتَرًى، أَيْ لَوْ تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ الْفَطِنُ تَأَمُّلا صَادِقًا فِي سُوَرِ الْقُرْآنِ لَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَضْعِ الْبَشَرِ، فَتَرْكِيبُ مَا كَانَ أَنْ يُفْتَرَى بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُقَالَ: مَا كَانَ لِيُفْتَرَى، بِلامِ الْجُحُودِ عَلَى طَرِيقَةِ حَذْفِ الْجَارِّ اطِّرَادًا مَعَ (أَنْ)، وَلَمَّا ظَهَرَتْ (أَنْ) هُنَا حُذِفَ لامُ الْجُحُودِ وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ أَنْ يُذْكَرَ لامُ الْجُحُودِ وَتُقَدَّرَ (أَنْ) وَلا تُذْكَرَ، فَلَمَّا ذُكِرَ فِعْلُ (كَانَ (الَّذِي شَأْنُهُ أَنْ يُذْكَرَ مَعَ لامِ الْجُحُودِ اسْتُغْنِيَ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ لامِ الْجُحُودِ قَصْدًا لِلإِيجَازِ. وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ الإِتْيَانِ بِلامِ الْجُحُودِ بِأَنْ يُقَالَ: مَا كَانَ هَذَا الْقُرآنُ لِيُفْتَرَىَ؛ لأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْغَالِبَ أَنْ لامَ الْجُحُودِ تَقَعُ فِي نَفْيِ كَوْنٍ عَنْ فَاعِلٍ لا عَنْ مَفْعُولٍ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ اللامُ مِنْ مَعْنَى الْمِلْكِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الإِخْبَارَ بِـ(أَنْ وَالْفِعْلِ) يُسَاوِي

الإِخْبَارَ بِالْمَصْـدَرِ بِمَعْنَـى الْمَفْعُـولِ لأَنَّ صِلَـةَ أَنْ هُنَـا فِعْـلٌ مَبْنِـيٌّ لِلنَّائِـبِ. وَالتَّقْدِيرُ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ افْتِرَاءَ مُفْتَرٍ, فَآلَ إِلَى أَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُنْسَبِكَ مِنْ (أَنْ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ كَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ, وَهُوَ أَيْضًا أَقْوَى مُبَالَغَةً مِنْ أَنْ يُقَالَ: مَا كَانَ مُفْتَرًى, فَحَصَلَتِ الْمُبَالغَة فِي جِهَتْينِ: جِهَةِ فِعْلِ (كَانَ) وَجِهَةِ (أَنِ) الْمَصْدَرِيَّةِ)) (التونسي، ١٩٨٤م، صفحة ١٦٨).

المصادر:

(٦٤٣هـ) أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش. (٢٠٠١). شرح المفصل (ج٤). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور التونسي. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (ج١١). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني(٧٦٩هـ). (١٩٨٠م). شرح ابن عقيل، (ج١) (المجلد ط٢٠). القاهرة: دار التراث – دار مصر للطباعة, سعيد جودة السحار وشركاه.

ابن مالك الطائي الجياني (٦٧٢هـ) محمد بن عبد الله. (١٩٩٠م). شرح التسهيل(ج١). هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش(٦٤٣هـ). (٢٠٠١م). شرح المفصل (ج٤). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ). (١٩٩٣م). المفصل في صنعة الإعراب (المجلد ط١). بيروت: مكتبة الهلال.

أبو حيان الأندلسي(٧٤٥هـ). (٢٠١٠م). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (ج٤) (المجلد ط١). دار كنوز أشبيليا.

تمام حسان. (٢٠٠٠م). الخلاصة النحوية (المجلد ط١). عالم الكتب.

حمدي فراج محمد. (١٩٩٨م). الأفعال الناسخة. مطبوع على نفقة المؤلف.

خالد الأزهري(٩٠٥هـ). (٢٠٠٠م). شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو (ج١) (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

خليل بنيان. (٢٠٠٢م). النحويون والقرآن (المجلد ط١). عمان، الاردن: مكتبة الرسالة الحديثة.

رضي الدين الإستراباذي (٦٨٦هـ). (١٩٩٦م). شرح الرضي على الكافية (ج٤) (المجلد ط٢). بنغازي: منشورات جامعة قازيونس.

شرح التصريح (ج١). (بلا تاريخ).

عمرو بن عثمان بن قنبر، إبو بشر المعروف (سيبويه) (١٨٠هـ). (٢٠٠٤م). الكتاب (ج١) (المجلد ط٤). القاهرة: مكتبة الخانجي.

فاضل السامرائي. (٢٠٠٧م). معاني النحو(ج١) (المجلد ط١). بيروت، لبنان: مؤسسة التاريخ الطبيعي.

و (فاضل السامرائي) رضي الدين الإستراباذي(٦٨٦هـ). ((١٩٩٦م), (٢٠٠٧م)). (شرح الرضى على الكافية(ج٤)) و (معاني النحو(ج١)) (المجلدات (ط٢), (ط١)). (بنغازي), (بيروت–لبنان): (منشورات جامعة قازيونس), (مؤسسة التاريخ الطبيعي).

استدراكات على باحثين وكُتّاب
تناولوا سيرة العلاّمة مصطفى جواد

الباحث حسين محمّد عجيل

الملخص:

مرّت نهاية سنة ٢٠١٩ ذكرى اليوبيل الذهبيّ لرحيل العلاّمة الدكتور مصطفى جواد (١٩٠٦-١٩٦٩) اللّغويّ والمؤرّخ والخَططيّ والأكاديميّ ورائد الإعلام الثقافيّ في العراق، الذي شكّل بانشغالاته واشتغالاته المعرفيّة المتعدّدة، ظاهرةً ثقافيّةً قلّما شهد العراق مثيلا لها، ومن الغريب أنّ يتداول بعض المؤرّخين والباحثين والكُتّاب والصّحفيّين معلومات غير دقيقة عن حياة شخصيّة بهذه المنزلة والمكانة العلميّة ومنجزها، وبغياب النقد الدّقيق والمراجعة الضّروريّة لما يكتبون، شاعت أوهام ومزاعم وغلطات في الكتب والأبحاث والمقالات التي درست تراثه العلميّ، وبإزاء كثرتها وتكرارها كان من الضروريّ الكشف عنها في هذا البحث، والاستدراك على الكُتّاب والباحثين والمؤرّخين العراقيّين والعرب الذين كان مصطفى جواد وسيرته ضحية أوهامهم خلال الخمسين عاما الماضية، من خلال مراجعة جلّ ما صدر عنه، وقراءته قراءة نقديّة فاحصة.

يضمّ البحث عرضا موثّقا لأوهام ومزاعم وغلطات كثيرة بحسب التتابع الزمنيّ لسيرة مصطفى جواد، وقع فيها ستةٌ وعشرون مؤرّخا وباحثا وأكاديميّا وكاتبا وصحفيّا، واحدٌ وعشرون منهم من العراقيّين، مع تصويبات

لها، بالاستناد إلى وثائق مطويّة لا يرقى إليها الشّك، وغالبيّتها غير منشور حتّى الآن، بعض منها مكاتبات رسميّة وبعضها الآخر مراسلات خاصّة، تمكّن كاتب البحث من جمعها بجهده الشخصيّ، أو بالعودة إلى أقوال مصطفى جواد نفسه وكتاباته المنشورة الموثّقة، وغير المتعارضة مع الثّابت في الوثائق، أو بالرجوع إلى مصادر أخرى تواترت على بيان حقيقة بعينها.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على حجم هذه الأخطاء في سيرة مصطفى جواد، وتنبيه هؤلاء الكُتّاب أو ناشريهم إلى ضرورة تصحيح ما ورد في كتبهم وأبحاثهم ومقالاتهم، إذا أُعيد طبعها في إصدارات جديدة، وتشجيع الكُتّاب والباحثين الجدد على التخلّص من الأخطاء التي وقع فيها غيرهم، وعدم تكرارها في كتاباتهم، احتراما لحقائق التاريخ ولمكانة هذه الشخصيّة البارزة في تاريخ الثقافة العراقيّة.

المقدمة:

مرّت نهاية سنة ٢٠١٩ ذكرى اليوبيل الذّهبيّ لرحيل العلّامة الدّكتور مصطفى جواد (١٩٠٦-١٩٦٩) الذي شكّل بانشغالاته واشتغالاته المعرفيّة المتعدّدة، ظاهرة ثقافيّة قلّما شهد العراق مثيلا لها، فقد كان واحدا من أبرز مثقفي الرّعيل الثّاني من أعلام النّهضة في العراق الحديث، استثمر كلّ سني عمره ودقائق حياته في العمل الثّقافيّ المنتج، منذ بواكير شبيبته الأولى، حتّى أواخر أيّامه في عالمنا، حين شوهد في غير مرّة يُنهي أبحاثا وكتبا وهو على فراش مرض الموت، ليبرز على نحو استثنائيّ في حقول متعددة يصعب جمعها والبروز فيها كلّها، فكان لغويّا فذّا مشهودا له بالبراعة والاجتهاد من مجامع اللّغة العربيّة الثّلاثة في بغداد ودمشق والقاهرة، وإن لم يضمّه الأخير في عضويّته رسميّا، ومرجعا في آداب العربيّة وفنونها في عصورها المتلاحقة، اشتغل عقوداً لأجل أن تسودَ اللّغةُ العربيّةُ في الحياة اليوميّة كما في التّعليم والإعلام وأداء الطّقس الدّينيّ، حتّى تداولت الأفواهُ في تعصّبه لها الطّرائفَ والحكاياتِ الموضوعةَ وغريبَ النّوادر.

وكان مؤرّخا كبيرا صنع مكانته في هذا المجال قبل حصوله على الدّكتوراه في التّاريخ من جامعة السّوربون بباريس، وعزّزها بعد ذلك بمجهود عظيم، وكان خَططيّا اختصّ بمدينته بغداد، وصنّف في ذلك أعمالا معمّقة لا يمكن للمشتغلين في خَطط هذه المدينة التّاريخيّة تجاوزها، وكان معلّما وأستاذا أكاديميّا ألهم أجيالا من المبدعين والكُتّاب والباحثين واللّغويّين والمؤرّخين والتّربويّين والمشتغلين في عوالم الثّقافة والفنّ والأدب والإعلام، وكان محقّقا للتّراث العربيّ الإسلاميّ، بل من مؤسّسي المدرسة العراقيّة في

هذا الفنّ، ومثّل بأعماله المتنوّعة– تحقيقا، وبحثا في عالم المخطوطات، ونقدا لأعمال غيره– ذروةَ ما وصلت إليه من حرفيّة ودقّة واجتهاد، وكان رائدا في مجال الإعلام الثّقافيّ في العراق، ما زال صدى الأعمال التي قدّمها للإذاعة والتّلفزيون قويّا حتّى في أوساط غير المتعلّمين. وعلاوة على ذلك كلّه، كانت له إسهامات ومشاركات أدبية ومعرفيّة أخرى، فكان مترجما عن الفرنسيّة، ومراجعا لأعمال مترجمين عنها، وباحثا في الأدب الشعبيّ، كما كان معدودا من بين شعراء العراق، ونظم رباعيّات الخيّام ورباعيّات حسين قدس نخعي شعرا عن ترجمة نثرية للعربيّة. وفضلا عن عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة في الحقول التي اشتغل فيها، فإنّه كتب المئات من المقالات القيّمة والأبحاث النفيسة والدّراسات غير المسبوقة في أهمّ الدّوريّات العراقيّة والعربيّة منذ العشرينيّات من القرن الماضي حتّى وفاته، ونسبة غير قليلة منها يمكن عدّها كتبا، لذلك عمدت بعض دور النّشر مؤخرا إلى استلالها من مظانّها ونشرها في كتب.

وممّا يؤسف عليه أنّ شخصيّة بهذه المنزلة والمكانة العلميّة الرّفيعة، لم تحظَ حتّى اليوم بما تستحقّه من اهتمام، فقد مرّت ذكراه الخمسون من دون أن تقوم مؤسّسات الدولة بإحياء هذه المناسبة كما تفعل الأمم الحيّة لكبار رموزها، وما زال عدد كبير من كتبه مخطوطا أو مفقودا، ومنها "المعجم المستدرك" الذي واصل جمع موادّه اللّغوية من بطون المخطوطات والمطبوعات التّراثيّة طوال أربعة عقود كاملة، كما اختفى أرشيفه التّلفزيونيّ تماما، وهو كنز حقيقيّ كان يضمّ أكثر من ٥٠٠ ساعة تلفزيونيّة من برنامج (النّدوة الثّقافيّة) وحده، ولم يبق من أرشيفه الإذاعيّ إلّا القليل.

وعلى الرّغم من صدور مختارات من مقالاته في ستة مجلّدات كبيرة جمعها باحثون عراقيّون في أعوام متباعدة من العقود الخمسة التي أعقبت وفاته (١٩٧٥ و١٩٧٩ و١٩٩٨ و٢٠١٧) لكن ما زال هنالك الكثير منها محتجنا في مجلّات وصحف قديمة ونادرة، توقّف معظمها عن الصّدور منذ عقود. وما زالت المؤسّسات الثّقافيّة الرّسميّة مقصّرة في إعادة طبع كتبه التي نفدت من المكتبات، مع أنّ النّهوض بهذه المهمّة هو من صميم مسؤوليّتها. والأنكى تداولُ بعض الباحثين والكتّاب والصّحفيّين معلومات غير دقيقة عن حياته ومنجزه، وبغياب النقد الدّقيق والمراجعة الضّروريّة لما يكتبون، شاعت أوهام ومزاعم وغلطات في الكتب والأبحاث والمقالات التي تناولته، وبإزاء كثرتها وتكرارها وجدتني مدفوعا للكشف عنها، والاستدراك على الكّتاب والباحثين والمؤرّخين الذين كان مصطفى جواد ضحية أوهامهم، عن طريق مراجعة جلّ ما صدر له أو عنه، وقراءته قراءة نقديّة فاحصة.

ولا شكّ في أنّ تكاسل بعضٍ من أصدقاء العلّامة الرّاحل وزملائه وتلامذته ومريديه ودارسيه عن التّوثيق والتّدوين، ومراجعة ما يُنشر بشأنه، وفرزه ونقده، أخذ في تغييب كثير من الحقائق والوقائع المهمّة في حياة الرّجل، فظهرت أخطاء جسيمة، ما يزال يقع فيها مؤرّخون وكتّاب وباحثون وصحفيّون مهتمّون بشؤون الثّقافة، وهم يتناولون سيرته ونتاج رحلته المعرفيّة الطّويلة. وسأعرض في الصّفحات التّالية، أخطاءً بالجملة، وقع فيها كتّاب أفاضل، بلغ عددهم ٢٦ كاتبا، منهم ٢١ من العراقيّين، وهم يتناولون سيرة مصطفى جواد، ومحطّات من حياته، باذلا جهدي في تصويبها بالاستناد وإلى وثائق مطويّة لا يرقى إليها الشّك، بعض منها مكاتبات رسميّة وبعضها

الآخر مراسلات خاصّة، تمكّنتُ من جمعها بجهد شخصيّ، وغالبيّتها غير منشورة حتّى الآن، أو بالعودة إلى أقواله وكتاباته غير المتعارضة مع الثّابت في الوثائق، أو بالاستعانة بمصادر أخرى تواترت على بيان حقيقة بعينها.

فمن غريب ما جاء في كتب بعض المؤلّفين، قول محمّد حسين الحسيني الجلالي في كتابه "فهرس التّراث": "زرته في داره بصحبة الدّكتور حسين علي محفوظ وسألته عن مولده فقال: إنّه ولد في البعقوبة[١] سنة ١٩٠١م في عائلة محافظة، وإنّ أباه كان يمتهن الخياطة في البعقوبة، وعاش بها فترة طفولته"[٢]. وهي عبارات تضمّ جملة أخطاء متراكبة، فإذا كان تاريخ ميلاد مصطفى جواد مختلفا فيه، فإنّ مكان مولده في بغداد من الأمور المحسومة وغير المختلف عليها، وذكرَهُ هو نفسُه مرّات كثيرة، واتفقت عليه كلّ مصادر ترجمته، منذ ترجم له الأب أنستاس ماري الكرملي في العدد التّاسع من المجلّد السّادس من مجلّة (لغة العرب) الصّادر يوم ١ ايلول ١٩٢٨ حتّى الآن. ولا نعرف كيف يمكن أن يكون الجلالي تلقاها عن مصطفى جواد نفسه، وبحضور شاهد من أقرب أصدقائه وزملائه إليه، هو الدّكتور حسين علي محفوظ؟ وكذلك الحال في عمل والده خيّاطا في (البعقوبة) على حدّ قول الكاتب. وحتّى لو كان الجلالي يقصد تغليب العامّ على الخاصّ في نسبة قضاء الخالص إلى مدينة بعقوبة، بوصفها مركزا للواء

---

[١] كذا وردت.

[٢] محمّد حسين الحسيني الجلالي، "فهرس التّراث"، تحقيق: محمّد جواى الحسيني الجلالي، النّاشر: دليل ما، مطبعة نكارش، قم (إيران)، ط١، ١٤٢٢هـ: المجلّد الثّاني: ص ٤٨٥– ٤٨٦.

ديالى (بحسب التسميّة الإداريّة القديمة)، فإنّ المعلومتين السّابقتين تظلّان غير صحيحتين، فمصطفى جواد ولد في بغداد، وهذا ثابت، كما أنّ والده انتقل به إلى الخالص بعد أن كفّ بصره، وهذا ثابت أيضا، وإلّا فكيف يمكنه العمل خيّاطا هناك وهو بهذه الحال؟

وتفنيدا لهذا الزّعم، أنقل هنا ما قاله مصطفى جواد في آخر ظهور تلفزيونيّ له على شاشة تلفزيون بغداد، قُبيل وفاته بأيّام، ونقلته عنه مقدّمة برنامج "أهلا وسهلا" الصّحفية والمقدّمة التّلفزيونيّة سؤدد القادري، في مقالة توثيقيّة مهمّة نشرتها في جريدة (الجمهوريّة) اليوميّة البغداديّة بُعيد وفاته بأيّام: "لقد ولدتُ في بغداد بمحلّة عَقْد القُشَل". وقال عن ظروف انتقال والده من بغداد إلى الخالص (دلتاوة): "لقد كان والدي خيّاطا في سوق الخيّاطين، وهو الآن يسمّى سوق البزّازين، بالقرب من دار الآثار العربيّة، والتي هي (خان مرجان)... ولقد أصيب بالعمى إمّا من الحِرفة أو بالوراثة، فانتقل من بغداد بعد ذلك إلى (دلتاوة) المعروفة اليوم بالخالص"[٣].

---

[٣] سؤدد القادري، "حديث للدّكتور المرحوم مصطفى جواد قبل وفاته بأيّام.. جوانب شخصيّة من حياة الفقيد الكبير"، جريدة (الجمهوريّة) اليوميّة البغداديّة، ضمن زاوية "كلّ خميس"، الصّفحة التّاسعة من العدد ٦٤١ الصّادر يوم ٢٥ كانون الأوّل ١٩٦٩. ولهذه المقالة قيمة تاريخيّة كبيرة لأنّ مَن كتبتها هي من أجرت المقابلة التّلفزيونيّة، وبيّنت فيها أنّها استندت في نقل أقواله على إعادة مشاهدة تسجيل الحلقة، التي كان مقرّرا أن يبثّها تلفزيون بغداد للمرّة الأولى في أربعينيّة مصطفى جواد، أي بعد نشر هذه المقالة بنحو شهر، لكنّها لم تبثّ بحسب ما ذكر وحيد الدّين بهاء الدّين في كتابه "مصطفى جواد فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططيّ بغداد الفَرْد"، المكتبة الأهليّة ببغداد، مطبعة النّعمان، النّجف، ط١، ١٩٧١: ص٢٩.

وكتبت صحفيّة عربيّة سنة ٢٠٠٦ في مقالة لها بصحيفة واسعة الانتشار، مُخالِفةً الوقائع التّاريخيّة: "برز من الأكراد الفيليّة علماء وأدباء وموسيقيّون وفنّانون ورياضيّون أبرزهم العلاّمة الدّكتور مصطفى جواد.."[٤]. وبعدها بست سنين يكرّر الخطأ الفادح نفسَه كاتبٌ صحفيٌ مخضرمٌ، هو خالد القشطيني، المولود في بغداد سنة ١٩٢٩، والذي يعدّ ممّن عاصر مصطفى جواد، ولكن من دون تخصيص ذلك بالفيليّة، إذ قال في عمود ثابت له بصحيفة عربيّة أخرى، واسعة الانتشار أيضا، إنّ مصطفى جواد كان كرديّا[٥]، فيما تؤكّد كلّ مصادر ترجمته على أنّه تركمانيّ الأرومة، والرّجل نفسه صرّح بذلك مرّات متعددة، إحداها موثّقة بخطّ يده[٦] وأخرى بصوته[٧].

---

[٤] أمينة غصن، "كتاب جديد عن الأكراد ... جنسيّة من لحم ودم"، مقالة منشورة في العدد ١٥٩١٧ من صحيفة (الحياة) اللّندنيّة الصّادر في ٢ تشرين الثّاني ٢٠٠٦.

[٥] خالد القشطيني، "قل ولا تقل"، عمود صحفيّ منشور في العدد ١٢٤٣٠ من صحيفة (الشّرق الأوسط) اللّندنيّة، الصّادر يوم ٩ كانون الأوّل ٢٠١٢.

[٦] قال مصطفى جواد في رسالته الثّالثة إلى وحيد الدّين بهاء الدّين بتاريخ ١٩٤٩/٩/٣٠: "فأنا أصلي من قرة تبّة وأجدادي تركمان"، ونشر بهاء الدّين هذه الرّسالة في كتابه: "مصطفى جواد فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططيّ بغداد الفرد": ص٩٩.

[٧] سبق لقناة (العراقيّة) الفضائيّة، أن بثّت سنة ٢٠١٠ مقاطع عديدة من شريط صوتيّ نادر تحدّث فيه مصطفى جواد بصوته عن محطات مختلفة من حياته وأصل أسرته وانحداره من أسرة تركمانيّة، في برنامج وثائقيّ بعنوان (مصطفى جواد) للمخرج مهدي زاهد، أنتجته وحدة البرامج الوثائقيّة بالقناة في ذلك العام، وكانت السّيّدة فائزة مصطفى

ويزعم صديق لمصطفى جواد هو الكاتب والمترجم زهير أحمد القيسي، في مادّة استذكاريّة له بمناسبة ذكراه السّابعة، أنّ شقيق مصطفى جواد الذي تنازع مع والدته على الوصاية عليه، اسمه إبراهيم، وكرّر ذلك مرّتين[٨]، مع أنّه كان قد قال قبل ذلك بأسطر: "انصرف إلى رعاية البساتين التي خلّفها له أبوه، وكان معه أخوه كاظم وأخواته السّتُ من زوجين". ومن المعلوم أنّ مصطفى جواد لم يذكر في سيرته أنّ له أخا شقيقا غير كاظم[٩]، الذي هو أسنّ منه بكثير. فمن أين جاء القيسيّ بإبراهيم هذا؟

جواد من بين مَن تعاونوا مع فريق العمل لإنجازه، وقدّم لها الفريق الشّكر في ختام البرنامج. ووضع المخرج هذه العبارة قبل بدء الفيلم: "يتضمّن هذا العمل وثيقةً صوتيّةً نادرةً للعلّامة الدّكتور مصطفى جواد تمّ تسجيلها قبيل رحيله بأيّام".

[٨] زهير أحمد القيسي، "في ذكرى وفاة الدّكتور مصطفى جواد.. صاحب «قل ولا تقل» يروي قصّة حياته بنفسه: أنا فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططيّ بغداد الفرد!"، مقالة منشورة في العدد ٤٣٠ من السّنة التّاسعة من مجلّة (ألف باء) البغداديّة الأسبوعيّة، الصّادر يوم الجمعة ١٥ كانون الأوّل ١٩٧٨، ص ٢٦.

[٩] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين"، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٩: ١٦٢/١. وأنا أسمّي هذه السيرة الذاتيّة (الموسّعة) تمييزا لها عن سيرة ذاتيّة (مقتضبة) أسبق منها، نُشرت بعنوان: "ساعة مع مصطفى جواد، الفلّاح الذي يحمل الدّكتوراه"، في جريدة (كلّ شيء) البغداديّة الأسبوعيّة: العدد الثّاني من سنتها الأولى، الصّادر يوم ٢٢ حزيران ١٩٦٤، وسترد إليها الإشارة لاحقا في الهامش (٦٤). ويؤكّد أنستاس الكرمليّ أن كاظِما هو الأخ الوحيد لمصطفى جواد، وذلك في أوّل ترجمة مدوّنة عن حياته، نشرها بعنوان "مصطفى جواد" في مجلّة (لغة العرب): العدد التّاسع من المجلّد السّادس الصّادر في

ويكتب خضر الكيلاني في سرده لحياة مصطفى جواد، قائلا من دون تثبّت: "ولمّا جرى احتلال الإنكليز لبغداد وما حولها ولواء ديالى، وكان ذلك سنة ١٩١٧ وكان في الصّفّ الثّاني الإبتدائيّ"[١٠]. والصّواب: إنّ مصطفى جواد كان في الصّفّ الثّالث الابتدائيّ حين دخلت القوات البريطانيّة بلدته دلتاوة، كما ذكر هو في سيرته الذّاتيّة الموسّعة[١١].

ويقول محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، من دون تثبّت أيضا، إنّه في سنة ١٩٢٠ "اجتاز الدّراسة الابتدائيّة في دلتاوة"[١٢]، وتتابعهما في شيءٍ من ذلك الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري، في الأطروحة التي أنجزتها عن مصطفى جواد وحصلت بها على الدّكتوراه، ثمّ نشرتها في كتاب صدر ببغداد، إذ تقول: إنّه "بحلول عام ١٩٢٠ أكمل دراسته الابتدائيّة،

أيلول ١٩٢٨: ص٦٤٦، وقال فيها: "فتولّى أمرَه أخوه الوحيد الكبير جدّا (كاظم) الذي برع في العلوم العربيّة، وصار تلاميذُه علماءَ الآن".

[١٠] خضر الكيلاني، "شعراء ديالى"، دار الجمهوريّة، بغداد، ط١، ١٩٦٨: ٧٧/١.

[١١] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١٦١/١، وفيها قوله: "وجزتُ الصّفّ الثّاني الابتدائيّ بحسب نظام التّعليم العثمانيّ وانتقلتُ إلى الصّفّ الثّالث الابتدائيّ، وفي شتاء تلك السّنة دخل الجيشُ الانكليزيّ دلتاوة- أي سنة ١٩١٧- متعقّبا الجيشَ العثمانيَّ المنهزمَ نحو الشّمال".

[١٢] من مقدّمة كتابهما "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل: ص٥. الذي جمعا فيه أبحاثا ودراساتٍ ومقالاتٍ للدّكتور مصطفى جواد في مجالات: التّاريخ والخَطط والأدب واللّغة والتّراث الشّعبيّ والنّقد، وصدر الكتاب سنة ١٩٧٥ عن وزارة الإعلام- دار الحريّة للطّباعة- سلسلة كتب التّراث (٣٩).

وعـاد إلـى دلتـاوة"[١٣]، مـن دون أن تبـيّن الكيفيّـة التـي أكمـل بهـا الدّراسـة الابتدائيّة في بغداد في ذلك العام، وقد كان في الصّف الثّالث الابتدائيّ حين دخل بمدرستين في عاصمة بلاده، وسرعان ما تركهما تباعا لأسباب ماليّة، ولم يبلغ الصّفّ الرّابع الابتدائيّ إلّا حين عاد إلى دلتاوة، وانتظم بمدرستها الابتدائيّة، كما ذكر في سيرته الذّاتيّة الموسّعة[١٤].

ويزعم الكاتب والصّحفيّ عبد المهدي الفائق تلميذ مصطفى جواد، أنّ أستاذه أسـهم فـي الكتابـة لمجلّـة (لغـة العـرب) وهـو مـا زال طالبـا فـي دار المعلّمـين الابتدائيّـة (١٩٢١-١٩٢٤)[١٥]، وفاتـه أنّ تلـك المجلّـة البغداديّـة الشهيرة كانت متوقّفة بين سنة ١٩١٤ و١٩٢٦.

ويـذكر الباحـث والصّـحفيّ توفيق التّميمـي فـي مقالـة لـه، أنّ مصـطفى جواد تخرّج في دار المعلّمين العالية سنة ١٩٢٤[١٦]، والواقع أنّه انتظم في

---

[١٣] الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري، "مصطفى جواد لغويّا"، مكتب اليمامة للطّباعة والنّشر، بغداد، ٢٠١٥: ص٦.

[١٤] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١/١٦٤.

[١٥] ذكر ذلك في مقالة له بعنوان "الدّكتور مصطفى جواد في ذكراه الثّانية"، نُشرت في جريدة (الجمهوريّة) البغداديّة اليوميّة، بمناسبة الذّكرى الثانية لرحيله: الصّفحة الثّامنة مـن عـددها ١٢٥٦ الصّـادر يـوم الجمعـة ١٩٧١/١٢/١٧، واختـار أن يوقّـع باسـم مستعار هو (ميم)، على أنّ أسلوبها وما تضمّنته من معلومات يؤكّد أنّها لعبد المهدي الفائق. ولعلّ حرف الميم يشير لمختصر اسمه (مهدي).

[١٦] توفيق التّميمي، "مصطفى جواد.. تركمانيّ حارس (لعلّها: حرس) اللّغة العربيّة"، مقالة منشورة في عدد جريدة (التّآخي) البغداديّة الصّادر يوم ١٧ أيلول ٢٠١٥.

دار المعلّمين (الابتدائيّة) لا (العالية) سنة ١٩٢١، فتخرّج فيها سنة ١٩٢٤. وأمّا دار المعلّمين (العالية) فقد تأسّست سنة ١٩٢٣، وأصبح أحد أبرز أساتذتها منذ سنة ١٩٤٠، عقب عودته من دراسة الدّكتوراه في جامعة السّوربون، ثمّ صارت تُعرف بكليّة التّربية بعد تأسيس جامعة بغداد سنة ١٩٥٧.

وفي مادّة أخرى للتّميميّ نشرها بقسمين في صحيفتين بغداديّتين[١٧]، قال: "وأصل أسرته من دلتاوة، قضاء الخالص في محافظة ديالى (لواء ديالى سابقا)"، وهذا غير صحيح، فإنّ أصل أسرته من قره تبّة التّابعة لكركوك آنذاك، نصّ على ذلك الدّكتور مصطفى جواد نفسه في وثيقة بخطّ يده مؤرّخة في ٣ تشرين الأوّل ١٩٤٩، بقوله: "أصلي من قره تبّة وأجدادي تركمان"[١٨]، كما أنّ معظم مصادر ترجمته أشارت إلى ذلك[١٩]، وصلة

---

[١٧] المادّة نُشرت أوّل مرّة في صحيفة (الصّباح) البغداديّة بعنوان: "ذاكرة العلّامة مصطفى جواد في شريط صوتيّ نادر، شهادة لصاحب (قل ولا تقل)" في حلقتين، كانت أولاهما في العدد الصّادر يوم ١١ أيّار ٢٠١٤، ولم أتمكّن من الاطلاع على الحلقة الثّانية. ونُشرت المادّة مرّة ثانية بصياغة أخرى بعد عام، في صحيفة (التّآخي) البغداديّة تحت عنوان: "تاريخ حافل بالوطنيّة المشهودة والعبقريّة اللّغويّة والأمانة التّاريخيّة.. مصطفى جواد ناسك في محراب العربيّة" وبقسمين أيضا، نُشر القسم الأوّل في العدد الصّادر يوم الخميس ١٧ أيلول ٢٠١٥، ونشر القسم الثّاني يوم الثّلاثاء ٢٢ أيلول ٢٠١٥.

[١٨] كما سبقت الإشارة في الهامش رقم (٦).

[١٩] منها: "هكذا عرفتهم" لجعفر الخليلي، دار التّعارف، بغداد، ب.ت. :٧٣/٣. ولعل كاتب المقالة استند إلى كتاب مير بصري "أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث":

مصطفى جواد بدلتاوة (الخالص) جاءت من شراء والده بساتين فيها، ثمّ انتقل إليها بأسرته بعد أن كُفّ بصره.

وأوضح التّميمي في مادّته هذه، أنّه حصل من السّيدة فائزة ابنة الدّكتور مصطفى جواد في شتاء سنة ٢٠١٣ على شريط صوتيّ نادر بصوت والدها، سجّله في أيّامه الأخيرة بناءً على رغبتها، حين أحسّت بدنوّ أجله، وتحدّث فيه عن سيرته الشّخصيّة، ففرّغه التّميمي ونشره كاملا في قسمين مع تعليقات عليه، وقال: "قمنا بدورنا بتفريغ هذا الشّريط النّادر بعد أن تعرّض للإهمال وعدم اهتمام الباحثين في سيرة رموزنا وتراثهم"[٢٠]، وهو جهد طيّب ومشكور، ولكن فات الكاتب أنّ هذه السّيرة التي تلاها مصطفى جواد في الشّريط، سبق أن نُشرت نسخة منها في أثناء حياته، بمجلّة (الجندي) البغداديّة التي كانت تصدرها وزارة الدّفاع، بحلقتين في عدديها المتتابعين لشهري آذار ونيسان ١٩٦٩، وجاءت المادّة بعنوان "لقاء مع الدّكتور مصطفى جواد". ويبدو هذا العنوان غير مطابق لمحتوى المادّة، فقد كتب محرّر المجلّة توضيحا في فقرة بختام المادّة تحت عنوان: "وسكت المسجّل"، قال فيه: "إلى هنا توقّف شريط جهاز التّسجيل عن الدّوران، بعد أن روى لنا قصّة حياة العلّامة الكبير

ص ١٨٤، وفاته أنّ مير بصري جانبَ الصّوابَ في ما ذكره بشأن أصل أسرة مصطفى جواد، وقدّ نبّه إلى وهمه هذا الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء في كتابه "مصطفى جواد، حياته ومنزلته العلميّة"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩٨٩: ص ١٤.

[٢٠] سبقت الإشارة في الهامش رقم (٧) إلى أنّ قناة (العراقيّة) الفضائيّة، بثّت سنة ٢٠١٠ مقاطع عديدة من هذا الشّريط الصّوتيّ النّادر في برنامج وثائقيّ عن مصطفى جواد.

بصوته. وكان الدّكتور قد غادرنا إلى الفراش بعد أن تحدّث لنا قليلا، كان يودّ أن يتحدّث أكثر، ولكنّه لم يستطع، فتحدّث جهاز التّسجيل بصوته أكثر منه، وعسى في حديث الدّكتور القصير، وحديث الجهاز الطّويل ما يقدّم خدمةً للقارى، الذي كنّا نودّ أن نقدّم له حديثا مسهبا طويلا مع الدّكتور العلّامة مباشرةً"[٢١]. وهو توضيح يكشف أنّ مصطفى جواد سلّم نسخةً محدّثةً من الشّريط الصوتيّ- الذي طلبت منه ابنتُه تسجيله- إلى المجلّة، إذ إنّه ختم سيرته بهذه الفقرة: "وقد انتُخِبْتُ عضوا مراسلا للمجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ثمّ عضوا عاملا في المجمع العلميّ العراقيّ في دَوْريه وطَوْريه"، وهي غير موجودة في النّسخة التي حصل عليها التّميمي، التي تنتهي بقول مصطفى جواد في ختام الشّريط: "هذه خلاصة قصّة حياتي ولا أزال في كتابتها وإن كنت مُقْعدا بسبب مرضٍ عُضال، ولا أستطيع أن أسجّل أكثر من هذا لأنّ الحديث سيكون مملّا"[٢٢].

والحقّ إنّ هذا الشّريط الصّوتيّ لم يكن مخفيّا، فقد قدّمت أسرةُ مصطفى جواد نسخةً منه إلى وزارة الثّقافة والإعلام مع نماذج من كتبه ومراسلاته ومقالاته المدوّنة بخطّ يده وأدواته الشّخصيّة، وكان الشّريط من بين موادّ

---

[٢١] "لقاء مع الدّكتور مصطفى جواد"، مجلّة (الجنديّ)، وهي مجلّة شهريّة ثقافيّة عسكريّة كانت تصدرها وزارة الدّفاع العراقيّة: عدد نيسان ١٩٦٩: ص٣٦ .

[٢٢] توفيق التّميمي، "تاريخ حافل بالوطنيّة المشهودة والعبقريّة اللّغويّة والأمانة التّاريخيّة.. مصطفى جواد ناسك في محراب العربيّة- القسم الثّاني"، صحيفة (التّآخي) البغداديّة، العدد الصّادر يوم الثّلاثاء ٢٢ أيلول ٢٠١٥.

المعرِض التّأبينيّ الذي أقامته الوزارة في قاعة المتحف العراقيّ، وافتتحه وكيل الوزارة زكي الجابر مساء يوم الأربعاء ٢٥ آذار ١٩٧٠[٢٣].

كما أنّ محتوى هذا الشّريط الصّوتيّ، إنّما هو نسخة أخرى فيها بعض التّعديلات من سيرته الذّاتيّة الموسّعة التي سبق أن نشرها الدّكتور يوسف عزّ الدّين في الجزء الأوّل من كتابه "شعراء العراق في القرن العشرين" المطبوع سنة ١٩٦٩ قُبيل وفاة مصطفى جواد، ثمّ نُشرت فيما بعد في أكثر من كتاب ودوريّة، وأصبحت مرجعا للباحثين منذ ذلك الحين، وكان يمكن للكاتب توفيق التّميمي أن يتنبّه إلى ذلك، ويحيط به علما، لو أنّه عاد إلى مصادر ترجمة مصطفى جواد، كما كان من الواجب عليه أن يشير في تعليقاته إلى مواضع الاختلاف بين النصّ المكتوب والنّصّ الصّوتيّ، ذلك أنّ هذه "المذكّرات الصّوتيّة"، تتوقّف عند محطّة عمل مصطفى جواد في دار المعلّمين العالية ووريثتها كليّة التّربية، في حين يواصل مصطفى جواد في النصّ المكتوب سردَ الجانب الإبداعيّ في سيرته، فيسهب في الحديث عن شعره نحوا من ثلاث صفحات، ويذكر نماذج منه. وعلى العموم فإن الهيكل العامّ وتسلسل الفقرات بين النصّين هو نفسه، وإذا استثنينا هذا السَّقْط الأخير، وبضع عبارات أو كلمات محذوفة أو مضافة أو معاد تحريرها، فإنّ النّصّين يكادان أن يتطابقا تماما. ولعلّ في قول مصطفى جواد في النّصّ الصّوتيّ "ولا أزال في كتابتها"، ما يشي باستمراره في كتابة سيرته وإعادة تحرير المدوّن منها.

---

[٢٣] ذكرت ذلك جريدة (الجمهوريّة) البغداديّة اليوميّة في خبرها المعنون "الجابر يفتتح معرِض مخلّفات المرحوم مصطفى جواد" المنشور في الصّفحة الخامسة من عددها ٧١٦، الصّادر يوم الخميس ٢٦ آذار ١٩٧٠.

ويحدّد محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي تاريخ تعيين مصطفى جواد معلّما في مدينة النّاصريّة بسنة ١٩٢٥[٢٤] ، من دون سندٍ ولا دليلٍ، على حين أنّ سيرة مصطفى جواد الموسّعة تشير إلى أنّ تعيينه هناك وقع في عام تخرّجه نفسه في دار المعلّمين الابتدائيّة، أي سنة ١٩٢٤، حين قال: "وتخرّجتُ سنة ١٩٢٤ معلّما ابتدائيّا، فعُيِّنتُ في مدرسة النّاصريّة الابتدائيّة"[٢٥]. وكانت حاجة وزارة المعارف ماسّةً إلى ملاك تعليميّ مؤهّل، ليتولى تعليمَ أعدادٍ متزايدةٍ من تلامذة المدارس، التي أخذت تنتشر في أنحاء العراق. ولو كان تعيينه تأخّر عاما– كما يقول الباحثان الفاضلان– لشكا من ذلك في سيرته، كما فعل فيما بعد، حين تأخّر تعيينه أشهرا عقب عودته من باريس، ولاسيما إنّ حالته الماديّة في منتصف العشرينيّات لم تكن على ما يرام. ومن خلال تتبّعي لمقالات مصطفى جواد، ظفرتُ بدليلٍ حاسم، يؤكّد هو فيه أنّ تاريخ تعيينه معلّما كان سنة ١٩٢٤، حين قال في مقالة له منشورة سنة ١٩٤٧، مدوّنا هذا التّاريخ بالكلمات لا بالأرقام: "ولقد بدأنا نحن بتدريس العربيّة منذ سنة أربعٍ وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد، واستمررنا على ذلك حتّى سنة ثلاثٍ وثلاثين، وانقطعنا عن التّعليم بسبب انبعاثنا لطلب العلم والشّهادة خارج العراق"[٢٦].

---

[٢٤] محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، "في التّراث العربيّ"، ج١: ص ٦.

[٢٥] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١/١٧٠.

[٢٦] مصطفى جواد، "ضعف اللّغة العربيّة في المدارس وطرائق تقويتها"، مجلّة (المعلّم الجديد) البغداديّة: الجزء الأوّل من مجلّدها الحادي عشر، الصّادر في شباط ١٩٤٧: ص٢-٦.

ويذكر باحث أكاديميّ مختصّ بمصطفى جواد، ودرسه في أطروحته الجامعيّة، هو الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء، في كتاب أصدره ببغداد سنة ١٩٨٩، ناقلا بدون تحفّظ عن جعفر الخليلي، أنّ الكاتب المجهول الذي نقد ديوان عبّاس محمود العقّاد، وساجله على صفحات مجلّة (لغة العرب) البغداديّة سنة ١٩٢٨، من دون أنّ يذيّل نقدَه باسمه، كان مصطفى جواد[٢٧]، مع أنّ هذا الأمر كان قد حسمه مصطفى جواد نفسه في سيرته الذّاتيةّ الموسّعة التي نُشرت سنة ١٩٦٩ في الجزء الأوّل من كتاب يوسف عزّ الدين "شعراء العراق في القرن العشرين"، وبيّن مصطفى جواد فيها أنّ كاتب نقد ديوان العقّاد إنّما كان الشّاعر جميل صدقي الزّهاوي، بقوله: "وساعدتُ الأب أنستاس على تحرير المجلّة (لغة العرب) مجانا، وكنتُ أرى الأستاذ جميل صدقي الزّهاوي يحضر دَيْر الأب أنستاس ويكتب نقدا على عبّاس محمود العقّاد في ديوان شعره، ويخرجه باسم المجلّة تعصّبا للدّكتور أحمد زكي أبو شادي[٢٨]، فقد كان على خلاف قائم بينه وبين العقّاد"، هكذا كشف مصطفى جواد بجلاء عن شخصيّة الكاتب الذي كان مجهولا، وهذا الكتاب الذي كُشفت فيه هذه الحقيقة سنة ١٩٦٩ هو أحد مراجع الدّكتور

---

[٢٧] البكّاء، "مصطفى جواد، حياته ومنزلته العلميّة": ص ٧٤-٧٦.

[٢٨] الحقّ أنّ الزّهاوي كتبه تعصّبا لنفسه لا للدّكتور أحمد زكي أبو شادي كما يقول مصطفى جواد هنا، بعد معركة أدبيّة خاسرة كان الزّهاوي خاضها مع العقّاد في الصحافة المصريّة في شهر تشرين الأوّل وتشرين الثاني من سنة ١٩٢٧. يُنظر تفصيل ذلك في كتاب عبد الرزّاق الهِلالي "الزّهاوي: الشّاعر الفيلسوف والكاتب المفكّر"، المنشور بالقاهرة سنة ١٩٧٦، وكتابه الآخر "الزّهاوي في معاركه الأدبيّة والفكريّة" الصّادر ببغداد سنة ١٩٨٢.

البكّاء، كما أنّ البكّاء استند إلى السّيرة هذه في كتابة مبحث حياة مصطفى جواد، فكيف يقع بمثل هذا الخطأ، وينسب لمصطفى جواد مقالةً كتبها الزّهاوي؟ وإذا كان جعفر الخليليّ في كتابه "هكذا عرفتهم"– الذي اعتمد عليه البكّاء كثيرا– كتب عن مصطفى جواد في أيّام شيخوخته مستندا على ذاكرته في غالب الأحيان، فإنّ من واجب شخصيّة أكاديميّة كالدّكتور البكّاء، أن تتنبّه إلى ذلك، وتقابل بين ما يقوله الخليلي مُرْسَلا، وبين ما يقوله مصطفى جواد بوضوح، وما تؤكّده مصادر دراسته ومراجعها، حتّى لا يقع في محظور كهذا، يقدح في عمله العلميّ المهمّ.

ويزعم الدّكتور محمّد حسين الزّبيدي أنّ مصطفى جواد "تولّى نقدَ الكتاب الذي ألّفه روفائيل بطّي لقواعد اللّغة العربيّة التي أقرّت وزارة المعارف تدريسه في مدارسها الابتدائيّة"(٢٩). وهذا وهم منه، فليس لروفائيل بطّي كتاب في قواعد اللّغة العربيّة، والصّواب أنّ الكاتب الذي انتقده مصطفى جواد بشدّة على محتوى تآليفه التي أقرّتها وزارة المعارف مناهجَ تعليميّةً، إنّما هو روفائيل بابو إسحق(٣٠). ويقول الدّكتور محمّد حسين الزّبيدي، من دون تثبّت

---

(٢٩) الدّكتور محمّد حسين الزّبيدي، "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي"، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة القادسيّة، كليّة التّربية، شركة الطّيف للطّباعة المحدودة، (ب.م)، ٢٠١١: ص١٣. والغريب أنّ الدّكتور الزّبيدي استقى الفقرة المقتبسة أعلاه وما تلاها من كتاب جعفر الخليلي "هكذا عرفتهم": ١٠٢/٣، ولكنّه لم يحسن النقل عن المصدر، فأقحم اسم روفائيل بطّي بدلا من روفائيل بابو إسحق.

(٣٠) هو أديب ومؤرّخ ولغويّ عراقيّ، له مؤلّفات منها: "الطّريقة الاستقرائيّة في قواعد اللّغة العربيّة" في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب مدرسيّ قرّرت وزارة المعارف العراقيّة سنة

أيضا: إنّ مصطفى جواد "نُقل إلى المدرسة المأمونيّة إحدى مدارس الكاظميّة (سنة ١٩٢٨)"[٣١]. وفي كلامه وهمان؛ الأوّل زعمه أنّ المأمونيّة من مدارس الكاظميّة، والصّواب أنّ موقعها كان في الميدان وسط بغداد[٣٢]، والثّاني قوله: إنّ مصطفى جواد نُقل إلى هذه المدرسة سنة ١٩٢٨، والصّواب أنّ ذلك جرى سنة ١٩٣٢، كما سنوضّح في الفقرة التالية.

١٩٢٤- ١٩٢٥ تدريسه في مدارسها، وله كذلك "دروس قواعد العربيّة لتلاميذ الصّفوف الرّابعة الابتدائيّة"، وضعه بالاشتراك مع خضّوري بهنام فرجو، وصدر ببغداد سنة ١٩٢٨. يُنظر في ترجمته ومؤلّفاته: "روفائيل بابو إسحق (١٨٩٥-١٩٦٤) المؤرّخ والأديب، بمناسبة مرور مئة عام على ولادته"، سالم عيسى تولا، مجلّة (بين النّهرين) الموصليّة: العدد ٨٩-٩٠ من المجلّد ٢٣ لسنة ١٩٩٥، ص١٣٢-١٣٦، والتّعقيب على هذه التّرجمة المنشور في المجلّة نفسها: العدد ٩٣-٩٤ من المجلّد ٢٤ لسنة ١٩٩٦، ص ١٦٢. و"معجم المؤلّفين العراقيّين في القرنين التّاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩"، كوركيس عوّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩: ٤٧٩/١.

[٣١] الزّبيدي، "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي": ص١٣.

[٣٢] سبق للدّكتور الزبيدي أن أعدّ للنّشر مذكرات وزير الماليّة في العهد الملكيّ رؤوف البحراني، وحقّقها، وصدرت طبعتها الأولى ببيروت سنة ٢٠٠٩ بعنوان "مذكرات رؤوف البحراني: لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطنيّ عام ١٩٢٠م ولغاية عام ١٩٦٣م"، عن المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ببيروت، وقد جاء في هامش الصّفحة ١٣٩ منها قول البحراني: "قام الملك فيصل الأوّل بزيارة خاصّة إلى المدرسة المأمونيّة الابتدائيّة، وكانت مدرسة متميّزة في الميدان من بغداد، وتجوّل في صفوفها وقام بتدريس بعض الموادّ على طلّاب الصّفّ السّادس فيها". فكيف يفوته هذا التحديد لموقع المدرسة مع أنّه نشر كتابه "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي" بعد عامين من نشره "مذكّرات رؤوف البحراني"؟

ومن جملة الأخطاء التي وقع فيها كتّابٌ تناولوا سيرة مصطفى جواد، ما ذكره سالم الآلوسي من أنّه نُقل سنة ١٩٢٨ من مدرسة دلتاوة الابتدائيّة إلى ديوان وزارة المعارف؛ للتّحرير ومساعدة أستاذه المرحوم يوسف عزّ الدّين النّاصري[٣٣]، وشايعه في هذا الخطأ مير بصري الذي قال إنّه "عُيّن كاتبا للتّحريرات في وزارة المعارف ١٩٢٨"[٣٤]، ثمّ تبعهما في هذا محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، بل زادا عليهما حينما ضغطا أحداث أربعة أعوامٍ في عام واحد، فقالا إنّه في سنة ١٩٢٨ "نُقل إلى مدرسة دلتاوة، وفي هذه المدرسة اعتاد أن يَنْظِمَ لتلاميذه مفرداتِ المنهج تسهيلا لحفظها، وعاد إلى بغداد ليعمل كاتب تحريرات في وزارة المعارف، ثمّ نُقل إلى المدرسة المأمونيّة"[٣٥]، ولم ينجُ من هذا الوهم الدّكتور محمّد حسين الزّبيدي[٣٦]، في حين أنّ مصطفى جواد كان أوضح بجلاء في سيرته الذاتيّة الموسّعة، تنقّلاته الوظيفيّة بحسب تسلسلها وإن أغفل تحديد بعض تواريخها، فذكر أنّه في سنة ١٩٢٨ كان معلّما في مدرسة الكاظميّة الابتدائيّة[٣٧]، وقد ثبت عندي أنّه

---

[٣٣] تُنظر مقدّمة سالم الآلوسي لكتاب "رِحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربة سنة ١٢١٣م= ١٧٩٩م"، الذي ترجمه من الفرنسيّة إلى العربيّة الدّكتور مصطفى جواد، وساعد المجمع العلميّ العراقيّ على نشره، وطُبع بإشراف السّيد حسين إبراهيم السّمّاك، بغداد، (ب.م)، (ب.ت): ص٩.

[٣٤] مير بصري، "أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث"، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامّة، دار الحرّيّة، بغداد، ١٩٧١: ص ١٨٧.

[٣٥] شلش والعَلَوْجي، "في التّراث العربيّ" في مقدّمتهما للجزء الأوّل، ص ٦.

[٣٦] الزّبيدي، "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي": ص١٣.

[٣٧] فقد قال في سيرته الذّاتيّة الموسّعة المنشورة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١٦٧/١: "وكنتُ قد تزوّجتُ وأنا معلّم في الكاظميّة سنة ١٩٢٨".

ظلّ فيها حتّى سنة ١٩٣٠، ثمّ نُقل منها إلى مدرسة دلتاوة الابتدائيّة بعد نيسان ١٩٣٠، ولم يُنقل من هذه المدرسة للعمل كاتبا للتّحريرات في وزارة المعارف إلّا سنة ١٩٣٢، ومنها نُقل بعد مدّة قصيرة إلى المدرسة المأمونيّة، وكان فيها في شهر حزيران من هذه السّنة (١٩٣٢) عند نشره تحقيقه للكتاب الذي سمّاه "الحوادث الجامعة"[٣٨]. وذلك بحسب تحقيقاتي المطوّلة؛ للكشف عن تنقلّاته الوظيفيّة في هذه المرحلة المبكّرة من عمله معلّما، التي حتّمت نقل محلّ سكناه غالبا، بعد رجوعي إلى مقالاته المنشورة آنذاك في مجلّة

---

[٣٨] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة المنشورة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين":١٦٦/١. وجاء فيها: "وفي أثناء إقامتي ببغداد للتّدريس بالمأمونيّة، نشرتُ التّاريخ المسمّى غلطا «الحوادث الجامعة» المنسوب إلى ابن الفُوَطِيّ"، ومن المعلوم أنّ كتابه هذا صدر ببغداد سنة ١٩٣٢، ومن خلال تتبّع رسائله إلى الكرملي، ولا سيما رسالته المؤرّخة في ١٠ حزيران ١٩٣٢، ظهر لي أنّ الكتاب صدر ترجيحا في مطلع شهر حزيران من ذلك العام. وفي الصّفحة نفسها من سيرته الذّاتيّة الموسّعة (١٦٦/١) ذكر مصطفى جواد أنّ الشّاعر محمّد مهدي الجواهري كان معلّما في المدرسة المأمونيّة، وقد سعت شخصيّة حكوميّة كبيرة (رجّح أنّها رئيس الوزراء الأسبق ووزير الدفاع المزمن جعفر العسكري) لكي يشغل الجواهري مكانه في وزارة المعارف، وحين تمّ لها الأمر، نُقل هو للمدرسة المأمونيّة معلّما فيها. وعند البحث في سيرة الجواهري، وجدتُ هذه المعلومة: "عُيِّنَ معلّما في أواخر سنة ١٩٣١ في مدرسة المأمونيّة، ثمّ نُقل إلى ديوان الوزارة رئيسا لديوان التّحرير". وهذا يؤكّد صحّة ما توصّلت إليه. تُنظر مقدّمة "ديوان الجواهري" الجزء الأوّل، جمعه وحقّقه وأشرف على طبعه: الدّكتور إبراهيم السّامرائي، الدّكتور علي جواد الطّاهر, الدّكتور مهدي المخزومي, رشيد بكتاش، دار الرّشيد للنّشر (سلسلة ديوان الشّعر العربيّ الحديث ٣٣), بغداد، ط١، ١٩٧٢:ص١٦.

(لغة العرب) البغداديّة ومجلّة (العرفان) الصّيداويّة اللّبنانيّة، فقد اعتاد أن يذكر في ذيولها المدينةَ التي كان يسكنها، كما كان يذكر اسم مدرسته أحيانا، فضلا عن تتبّعي معطيات وثائقه الرّسميّة المحفوظة في أرشيف وزارة المعارف بدار الكتب والوثائق التي تشير إلى أماكن عمله، وعلاوة على كلّ ذلك أمدّتني رسائلُه الشّخصيّةُ بمعلومات مفصّلة بهذا الشّأن، فتحصّل لديّ من جمع معطيات كلّ هذه المصادر المتنوّعة، مادّة تاريخيّة موثّقة، في هذا المفصل التّاريخيّ من حياته، وسائر مفاصلها وفصولها.

ولعلّ المؤرّخ الدّكتور حسين أمين اعتمد على ما ذكره الآلوسيّ وبصري وشلش والعَلَوْجي في أعلاه، حين حدّد– في لقاء أُجري معه في أواخر عمره– بدءَ تلمذته على مصطفى جواد في مدرسة المأمونيّة بسنة ١٩٣٠، مع أنّ مصطفى جواد انتظم معلّما في هذه المدرسة سنة ١٩٣٢، فقال: "مازلتُ أذكر أنّ أوّل لقاء جمعني به كان عام ١٩٣٠ حين درّسني في مدرسة المأمونيّة الابتدائيّة، وكنتُ حينها ما أزال طالبا في الصّف الأوّل الابتدائيّ"[٣٩].

---

[٣٩] ذكر ذلك في مقابلة أجراها معه الصحفيّ علي ناصر الكناني في ١٨ أيّار ٢٠١١، ونشرتها صحيفة (المستقبل العراقيّ) في عددها ٨٧٢ الصّادر في ٢٥ كانون الأوّل ٢٠١٤، بعنوان: "رحلة في ذاكرة شيخ المؤرّخين الدّكتور حسين أمين: مواقف وأحداث زاخرة من تاريخ بغداد". على أنّ معظم الصّحف العراقيّة التي صدرت يوم ٢٤ آذار ٢٠١٣ ونقلت نبأ وفاته، ذكرت أنّه دَرَسَ المرحلة الابتدائيّة في المدرسة المأمونيّة ابتداءً من سنة ١٩٣١. وعلى سبيل المثال، جاء في تقرير جريدة (المدى) اليوميّة البغداديّة بعددها الصّادر في ذلك اليوم، المنشور بعنوان: "الموت يغيّب المؤرّخ العراقيّ الكبير حسين أمين"، أنّه "دَرَسَ المرحلة الابتدائيّة في المدرسة المأمونيّة التي لا تبعد

ويذكر الباحثان محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي أنّه نشر في سنة ١٩٣٢ عددا من الدّراسات في مجلّتي سومر والمقتطف[٤٠]. والمعروف أنّ العدد الأوّل من مجلّة سومر إنّما صدر سنة ١٩٤٥، فكيف نشر دراساتٍ فيها قبل ظهورها بثلاثة عشر عاما؟

وتقول الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري في موضع آخر من كتابها "مصطفى جواد لغويّا"، إنّه "نُقل إلى ملاك التّعليم المتوسّط عام (١٩٣٢) إذ ساعد الأب انستاس الكرملي على تحرير مجلّة لغة العرب مجانا مع استمراره بالنّشر فيها"[٤١]، وهذا الرّبط بين الحدثين غير صحيح[٤٢]، ذلك

كثيرا عن محلّته في عام ١٩٣١". وهذا يعني أنّه دخل الابتدائيّة في السّنة الدّراسيّة ١٩٣١– ١٩٣٢، وبذلك يصحّ القول إنّ مصطفى جواد درّسه في الصّفّ الأول الابتدائيّ مطلع سنة ١٩٣٢، حين نُقل في ذلك العام إلى هذه المدرسة معلّما فيها.

[٤٠] تُنظر مقدّمتهما لكتاب "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل: ص٧.

[٤١] العماري، "مصطفى جواد لغويّا": ص٧.

[٤٢] ربّما تكون علامات التّرقيم، المهملة غالبا، أو المستخدمة على نحو غير صحيح، في سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة، سببا في وقوع الباحثة بهذا الوهم، إذ يقول فيها: "وعُيّنتُ مدرّسا في المتوسّطة الشّرقيّة سنة ١٩٣٢ وبقيتُ فيها وداومتُ النَّشر في مجلّة لغة العرب نثرا ونظما وساعدتُ الأبَ أنستاس على تحرير المجلّة مجّانا..."، وحين نشر الدّكتور يوسف عزّ الدّين هذه الفقرة وغيرها من السّيرة في كتابه "شعراء العراق في القرن العشرين":١/١٦٧، لم يستخدم علامات التّرقيم للفصل بين الجمل، فجاء النّص هنا متّصلا، ما سبّب إرباكا لدى الباحثة وغيرها، وكان من الواجب على الباحثة تمحيص مثل هذه التّفاصيل، والتّنبّه إلى أنّ المجلّة كانت قد توقّفت نهاية سنة ١٩٣١.

أنّ المجلّة توقّفت نهاية سنة ١٩٣١، فكيف ساهم في تحريرها وواصل النّشر فيها بعد نحو عامٍ من توقّفها؟

وأكثر من هذا غرابةً تأكيد الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء، أنّ مصطفى جواد كان يزوّد من فرنسا مجلّةَ (لغة العرب) "بما يتوصّل إليه وما يتعرّفه مستفيدا من مخطوطات المكتبة الوطنيّة بباريس ومكتبة الميرزا محمّد القزوينيّ"[٤٣]. وينبغي هنا تفصيل واقعة توقّف مجلّة (لغة العرب) على نحو لا يترك لبسا لدى أحد، فأقول إنّ آخر عدد ظهر من تلك المجلّة قبل توقّفها النّهائيّ، كان قد صدر في تشرين الأوّل من سنة ١٩٣١[٤٤]، تلاه في الشّهرين التّاليين عددان لا يضمّان سوى فهارس تلك السّنة، اكتمل بهما المجلّد التّاسع والأخير منها، ولم تعد المجلّة للصّدور بعد ذلك أبدا، وهذا أمر ثابت تاريخيّا. كما أنّ مصطفى جواد سافر إلى باريس بعد ثلاث سنوات من توقّف المجلّة، إذ وصلها في ٦ تشرين الأوّل من سنة ١٩٣٤[٤٥]. ويقع في الخطأ نفسه الباحث جليل العطيّة إذ يقول معتمدا على الدّكتور البكّاء: "لقد

---

[٤٣] البكّاء، "مصطفى جواد وجهوده اللّغويّة"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧: ص ١٥.

[٤٤] من الغريب أنّ الدّكتور البكّاء، ينقل في كتابه نفسه "مصطفى جواد وجهوده اللّغويّة": هامش٢ في ص٣٦، عن كتاب مصطفى جواد "المباحث اللّغويّة في العراق"، تعريفا بمجلّة (لغة العرب) حُدّدت فيه سنة توقّفها، وجاء في التّعريف: "استمرت على خدمة اللّغة العربيّة باختلاف أنواعها وتنوّع أساليبها إلى سنة ١٩٣١". ونقل الاقتباس نفسه في كتاب آخر له هو "مصطفى جواد حياته ومنزلته العلميّة": ص٢٤.

[٤٥] كما تؤكّد رسالة مصطفى جواد التي وجّهها من باريس إلى أنستاس الكرملي يوم ٨ تشرين الأوّل ١٩٣٤. ولديّ نسخة مصوّرة منها.

جعلته الدّراسة الأكاديميّة في فرنسا يُعنى بالتّاريخ الإسلاميّ بحثا ودراسةً، ومع ذلك فإنّ ولعه باللّغة العربيّة اشتدّ، وصلته بالكرملي ومجلّته (لغة العرب) لم تنقطع، فهو يرفدها بما يتوصّل إليه وما يتعرّفه مستفيدا من مخطوطات المكتبة الوطنيّة بباريس وغيرها"[٤٦]. ووقع في مثل هذا الخلط العجيب أيضا الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار، الذي كان يشغل رئاسة اتحاد المؤرّخين العرب، في مقالة تعريفيّة له بمصطفى جواد في عدد من مجلّة "المؤرّخ العربيّ" البغداديّة، خُصّص لسير أبرز المؤرّخين العراقيّين في العصر الحديث وتراجمهم، قال فيها من دون تمحيص: "وفي عام ١٩٣٢ عُيّن معلّما في المتوسّطة الشرقيّة ببغداد، وداوم النّشر في مجلّة لغة العرب نثرا ونظما ودراسات تاريخيّة وبلدانيّة"[٤٧]، في وقت كانت فيه المجلّة متوقّفة منذ عام.

ويذكر النّجّار أيضا، مجازِفا بالقول من دون تثبّت، أنّ مصطفى جواد كان يُحسن التّركيّة والفارسيّة[٤٨]، وتاريخ الرّجل يقول غير ذلك، فهو لا يتكلّم التّركيّة مع أنّه تركيّ الأرومة[٤٩]، ولا يعرف الفارسيّة وإن كان راغبا في ذلك،

---

[٤٦] جليل العطيّة، "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربية، صاحب «قل ولا تقل» في ذكراه المئويّة"، مقالة منشورة في العدد ٩٤٩٤ من جريدة (الشّرق الأوسط) اللّندنيّة اليوميّة، الصّادر يوم الخميس ٢٥ تشرين الثّاني ٢٠٠٤.

[٤٧] الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار، "الدّكتور مصطفى جواد ١٩٠٤-١٩٦٩"، مجلّة (المؤرّخ العربيّ): العدد ٥٦ الصّادر ببغداد سنة ١٩٩٨: ص ١١٤.

[٤٨] المصدر السابق: ص ١١٥.

[٤٩] فقد كتب مصطفى جواد في رسالة شخصيّة وجّهها إلى وحيد الدّين بهاء الدّين يوم ٩ أيّار ١٩٥٣، ما هذا نصّه: "ولم أتعلّم التّركيّةَ لأنّي حين تفتّحت طفولتي رأيتُ أنّ أهلي

أمّا نظْمُهُ رباعيّات الخيّام ورباعيات حسين قدس نخعي فقد تمّت اعتمادا على ترجمات نثريّة من الفارسيّة للعربيّة، واعتمد في الأولى على ترجمة الزّهاوي ثمّ أحمد حامد الصّرّاف، واعتمد في الثّانية على ترجمة نثريّة أنجزها موظّفٌ في السّفارة الإيرانيّة ببغداد لكي ينظمها هو بالعربيّة شعرا. أما يكفي لنسف هذا الزّعم أن يقول مصطفى جواد في سيرته الذّاتيّة الموسّعة: "ونظمتُ مَرْجُوّا رباعيّات الأديب الإيرانيّ حسين قدس نخعي سفير إيران بالعراق بعد أن تُرجمت لي نثرا؛ لأنّي لم أتعلّم الفارسيّة، ونظمتُ رُباعيّاتِ الخيّام سُباعيّاتٍ من نثر بعض الأدباء العراقيّين المتقنين للّغة الفارسيّة"[٥٠]..؟ ولا أدري حقّا كيف لباحثٍ أن يتصدّى للكتابة عن سيرة عَلَم نظير الدّكتور مصطفى جواد من دون أن يقرأ سيرته الذّاتيّة التي كتبها هو بقلمه؟ وكان سبق إلى هذا الوهم- أعني إجادة مصطفى جواد الفارسيّة- الدّكتور إبراهيم مدكور، في كلمة الرّثائيّة التي شارك فيها بحفل تأبينه سنة ١٩٧٠، بوصفه أمينا عامّا لمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة آنذاك، وقال فيها: "... فاكتملت ثقافتُه وتوافرت وسائلُ بحثه، وضمّ إلى العربيّة لغتين أجنبيّتين هما الفارسيّة والفرنسيّة"[٥١]. ومن كلام الدّكتور مدكور تسرّب- على

لا يتكلّمون بالتّركيّة إلّا نادرا، ولا يكلّمونني بها أصلا". يُنظر كتاب وحيد الدّين بهاء الدّين "مصطفى جواد فيلسوف اللّغة العربيّة...": ص١٣٢.

[٥٠] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدين "شعراء العراق في القرن العشرين":١/١٧٠.

[٥١] إبراهيم مدكور، "مع الخالدين- مجمع اللّغة العربيّة في عيده الخمسينيّ"، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٩٨١: ص ١٤٦، وكان سالم الآلوسيّ نبّه في تعليق له على كلمة الدّكتور مدكور المدرجة في كتابه "ذكرى مصطفى جواد"، الصّادر عن وزارة الإعلام، مديريّة الثّقافة العامّة، سلسلة الكتب الحديثة (١٣) بغداد، ١٩٧٠:

ما يبدو- هذا الوهم إلى "الموسوعة العربيّة الميسّرة" التي أشرف عليها الدكتور محمّد شفيق غربال، حين ذكر كاتبوها في تعريفهم بمصطفى جواد، أنّه "ترجم عن الفارسيّة «رباعيّات حسين قدس نخعي»"(٥٢).

وفي موضع آخر من كلمته تلك، قال الدّكتور مدكور: "سعى إلى مصر في منتصف العقد الثّالث من هذا القرن ليتزوّد من الفرنسيّة بزاد، وقُدّر له أن يسافر إلى باريس وأن يحصل على الدّكتوراه في أخريات العقد الرّابع"(٥٣)، والصّواب: "سعى إلى مصر في منتصف العقد الرّابع..." وليس الثّالث، وإلّا لكان مكوثه في القاهرة وباريس- بحسب هذا الاقتباس- دام عقدا ونصف العقد، في حين أنّه مكث في المدينتين نحو نصف هذه المدّة (١٩٣٣-١٩٣٩)(٥٤).

ويؤكّد الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء أنّ مصطفى جواد سافر إلى القاهرة سنة ١٩٣٤(٥٥) ليتعلّم الفرنسيّة فيها استعدادا للالتحاق بجامعة

ص١٩، بقوله: "على حسب علمنا وعلاقتنا بالفقيد، أنّ إلمامه بالفارسيّة كان محدودا جدّا، بل كان- رحمه الله- يستعين بالمتضلّعين بها في ترجمة النّصوص التي يحتاجها. وحفاظا للتّاريخ اقتضى هذا التّنويه، مع الاعتذار للأستاذ الكاتب".

(٥٢) "الموسوعة العربيّة الميسّرة"، مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ط٣، ٢٠١٠: ص ٣٧٤٠.

(٥٣) مدكور، "مع الخالدين": ص ١٤٦. وكتاب الآلوسي "ذكرى مصطفى جواد": ص ١٩.

(٥٤) وقد فات سالم الآلوسي التّنبيه إلى هفوة الدّكتور مدكور هذه في كتابه "ذكرى مصطفى جواد" المدرجة فيه كلمته كاملةً.

(٥٥) تُنظر أطروحة البكّاء للماجستير "مصطفى جواد نحويّا": ص٢٦، وكتاباه: "مصطفى جواد وجهوده اللّغويّة": ص ٣٧-٣٨. وهو أطروحته نفسها بعد إضافات، "ومصطفى جواد حياته ومنزلته العلميّة": ص ٢٧-٢٨.

السّوربون بباريس، مشكّكا في قول مير بصري الذي ذكر أنّه سافر إلى القاهرة سنة ١٩٣٣[٥٦]، مع أنّ معلومة الأخير هي الصّحيحة، فقد وصل مصطفى جواد القاهرة مُبْتَعَثًا يوم ١٢ أيلول ١٩٣٣، كما جاء في رسالة بعث بها هو نفسه إلى الأب أنستاس ماري الكرملي بُعَيد وصوله إلى القاهرة[٥٧]، ويكرّر المعلومة نفسها أيضا الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار[٥٨]، وكذلك الباحث جليل العطيّة[٥٩]، والدّكتور محمّد حسين الزّبيدي[٦٠]، والدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري[٦١]. وسبقهم إلى ذلك محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي[٦٢]، وجعفر الخليلي الذي قال: "وفي سنة ١٩٣٤

---

[٥٦] مير بصري، "أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث": ص ١٨٧.

[٥٧] الرّسالة مؤرّخة في يوم ٢ تشرين الأوّل ١٩٣٣، ولدي نسخة مصوّرة منها. وقد نشرها الدّكتور محمّد حسين الزّبيدي في كتاب صدر عن كليّة التربية بجامعة القاسيّة سنة ٢٠١١، ضمّ ٣٣ رسالة من مصطفى جواد إلى الكرملي، لكنه أغفل ثلاث رسائل أخرى، وأغفل النّصوص المدوّنة باللّغة الفرنسيّة في عدد غير قليل من الرّسائل، فضلا عن أنّ طبعة الكتاب جاءت مشحونةً بالأغلاط من كلّ نوع، وتداخلت فيها المتون مع الهوامش على نحو مؤسف، وفيها الكثير من مواضع السقط، ففقدت طبعته هذه أيّ قيمة علميّة يعتدّ بها.

[٥٨] النّجّار، "الدّكتور مصطفى جواد ١٩٠٤-١٩٦٩"، مجلّة (المؤرّخ العربيّ): ص ١١٤.

[٥٩] العطيّة، "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربية، صاحب «قل ولا تقل» في ذكراه المئوية"، جريدة (الشّرق الأوسط).

[٦٠] الزّبيدي، "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي": ص١٤.

[٦١] العماري، "مصطفى جواد لغويّا": ص٧.

[٦٢] تُنظر مقدّمة كتابهما "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل ص ٦.

شجّعه بعض أصدقائه في تقديم طلب لشموله بالبعثة من قبل وزارة المعارف، فلقيَ معارضةً وعراقيلَ كادت أن تصرفه عن متابعة الطّلب"[٦٣]، مع أنّ ذلك ينبغي أن يكون قد تمّ قبل سفره إلى القاهرة مبتعثا لتعلّم الفرنسيّة، تمهيدا لدراسته العليا بالسّوربون.

على أنّ مصدر الوهم في هذا كان مصطفى جواد نفسه[٦٤]، واكتفى هؤلاء الباحثون الأفاضل بالنقل عنه، ذلك أنّه كان يذكر – سهوا منه – أنّ بدء بعثته إلى القاهرة ثمّ إلى باريس كانت سنة ١٩٣٤، ففي سيرته الذاتيّة المقتضبة المنشورة سنة ١٩٦٤، قال: "وانتقلتُ إلى البعثة العلميّة، حيث سافرتُ إلى القاهرة عام ١٩٣٤، ودخلتُ كلّيّةَ الآداب بجامعة القاهرة كتلميذٍ مستمِعٍ للّغة الفرنسيّة"[٦٥]. وقال في سيرته الذاتيّة الموسّعة ما نصّه: "ثمّ إنّ

---

[٦٣] الخليلي، "هكذا عرفتهم": ٣/٨٥. ويذكر الخليلي في موضع لاحق من الصّفحة أنّه يروي ذلك نقلا عن مصطفى جواد نفسه.

[٦٤] قال مصطفى جواد معلّقا على سيرة الرّحالة أبي طالب خان: "إنّ الإنسان إذا ذكر سيرة نفسه وكتبها بقلمه، كانت عُرْضةً للنّقد والتّحقيق أكثر منها لو كتبها غيره". تُنظر مقدّمة الطّبعة الأولى لكتابه المترجم "رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربة": ص١٠.

[٦٥] سيرة مصطفى جواد المقتضبة المنشورة بعنوان: "ساعة مع مصطفى جواد، الفلّاح الذي يحمل الدّكتوراه"، في جريدة (كلّ شيء) البغداديّة الأسبوعيّة: العدد الثّاني من سنتها الأولى، الصّادر يوم ٢٢ حزيران ١٩٦٤: الصّفحة الثّانية. ولا بدّ من التّذكير هنا، بمناسبة ورود تعبير (عام) و(كتلميذٍ) في الاقتباس، أنّ مصطفى جواد تحدّث مع مندوب الجريدة شفاها، عن محطّات حياته البارزة، ونشرت الجريدةُ المادّةَ بصياغة

وزارة المعارف صارت إلى السّيّد عبد المهدي المنتفكي، وكان يقرأ كثيرا من مقالاتي، ففتح هذا الرجلُ الطّيّبُ بابَ البَعْثَ العلميّ، بعد أن كان مقصورا على ناسٍ بأعيانهم، فدخلتُ في بعثته سنة ١٩٣٤، ورسم لي التخّصّص بالآثار في أمريكا، فوجدتُ الطّريقَ طويلا والمعهدَ بعيدا قصيّا، وكنتُ قد تزوّجتُ وأنا معلّم في الكاظميّة سنة ١٩٢٨، ووُلد لي طفلان: ابني جواد وهو أكبر أولادي، وابنتي نزهة وهي كبرى بناتي، فغيّرتُ وجهةَ بَعْثي العلميّ إلى فرنسة، وأُرسِلْتُ الى القاهرة لأكونَ مُسْتَمِعا في كليّة الآداب، وأتعلّم مبادئ اللّغة الفرنسيّة، فذهبتُ إلى القاهرة، وقضيتُ المدّة المقرّرة، وتعلّمتُ مبادئ الفرنسيّة"[٦٦].

ولي على هذا الاقتباس أكثر من ملاحظة، فقد ثبت عندي بالدّلائل القطعيّة أنّ تحديد سنة ١٩٣٤ تاريخا لابتعاثه كان سهوا منه، وقد يكون سببه حالته الصّحيّة المتدهورة حين كتب سيرته الذّاتيّة الموسّعة، ودليلي القاطع على ذلك أنّه كان كتب في رسالته التي بعث بها من القاهرة إلى أنستاس الكرملي بتاريخ ٢ تشرين الأوّل ١٩٣٣، أنّه وصل إلى القاهرة يوم ١٢ أيلول ١٩٣٣، ليكون طالبا مستمعا في كليّة الآداب بجامعة القاهرة، ولتعلّم اللّغة الفرنسيّة تمهيدا لالتحاقه بجامعة السّوربون بباريس[٦٧]، وهذا

محرّرها، ولذلك ظهرت فيها بعض الاستخدامات التي قد لا يرتضيها مصطفى جواد، فضلا عن بعض الهَنَات اللّغويّة والأسلوبيّة فيها.

[٦٦] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة المنشورة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١/١٦٧-١٦٨.

[٦٧] سبقت الإشارة إلى الرّسالة في الهامش رقم (٥٦)، ولدي نسخة مصوّرة منها.

دليل غير قابل للنّقض، يبطل ما جاء بهذا الشّأن في الاقتباسين من سيرتَيْه المقتضبة والموسّعة. ويترتّب على ذلك، منطقيّا، أنّ تاريخ قرار التحاقه بالبعثة إلى جامعة السّوربون بباريس ينبغي أن يكون قد اتخذ. والملاحظ أنّ قرار الابتعاث هذا تضمّن شرط الالتحاق بجامعة القاهرة عاما دارسيّا كاملا لتعلّم الفرنسيّة، وما كان لمثل هذا الشّرط أن يوضع لو كانت وجهة البعثة غير محدّدة بعد. وعليه فإنّ تحديد وجهة البعثة إلى جامعة السّوربون، حصرا، كان قد تقرّر في أحد الشهور الثّمانية الأولى من سنة ١٩٣٣، خلافا لما ورد سهوا في سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة المقتضبة وكذلك الموسّعة، وخلافا لمن نقل عنه وعن غيره من دون أن يمحّص تاريخ الرّجل بالاستناد إلى وثائق لا ترقى إليها الشّكوك. وكان مصطفى جواد قد ذكر في إحدى مقالاته المنشورة سنة ١٩٤٧، التّاريخَ الصّحيح لبدء بعثته إلى القاهرة وباريس وانتهائها، ودوّن التّاريخ الأوّل بالكلمات وليس بالأرقام، لكن لم يتنبّه إليه أحد من دارسيه ومؤرّخي حياته، فقال: "ولقد بدأنا نحن بتدريس العربيّة منذ سنة أربعٍ وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد، واستمررنا على ذلك حتّى سنة ثلاثٍ وثلاثين، وانقطعنا عن التّعليم بسبب انبعاثنا لطلب العلم والشّهادة خارج العراق"[٦٨].

---

[٦٨] مصطفى جواد، "ضعف اللّغة العربيّة في المدارس وطرائق تقويتها"، مجلّة (المعلّم الجديد). وقد أعاد نشرها الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء في الكتاب الذي جمع فيه معظم كتابات مصطفى جواد اللّغويّة من بطون الدّوريّات العراقيّة والعربيّة، وصدر عن دار الشّؤون الثّقافيّة ببغداد سنة ١٩٩٨ بعنوان "في التّراث اللّغوي": ص ٨٢-٩٠، وأردفه بالأقسام الأخرى من المقالة. لكنّ الدّكتور البكّاء لم يتوقّف عند هذا الاقتباس المهمّ، كما لم يشر في هامش إلى مخالفة تحديده الزّمنيّ هذا مع ما ورد في سيرته

كما لم يتنبّه مصطفى جواد، ولا مَن أخذ عنه بلا تحفّظٍ تحديدَ عام بعثته هذا، إلى أنّ "الدّليل العراقيّ الرّسميّ لسنة ١٩٣٦" أوردَ جداولَ بالبعثات العراقيّة منذ سنة ١٩٢٢ حتّى عام صدور الدّليل، وفيه أسماء كلّ المُبتعثين ووجهاتهم[٦٩]، وقد جاء فيه اسم مصطفى جواد في التّسلسل (١) في أعضاء بعثة سنة ١٩٣٣[٧٠]، وكان من اللّافت أنّ سنة ١٩٣٤ تحديدا كانت من بين عامين فقط من المدّة التي يغطّيها الدّليل، لم تَبْتَعِثْ فيهما وزارةُ المعارف أيّ طالب[٧١].

وأشير أيضا إلى سهو آخر في هذا الاقتباس الأخير من سيرته الموسّعة، وقع فيه مصطفى جواد، إذ ذكر أنّه كان رُزق بابنته الكبرى (نزهة) قبل سفره إلى القاهرة، والحقّ أنّها وُلدت بعد أسبوع من سفره، كما تثبت وثيقتان بخطّ يده قدّمهما في سنة ١٩٤٨ و١٩٤٩ إلى جهات رسميّة[٧٢].

الذّاتيّة الموسّعة المنشورة في الجزء الأوّل من كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين".

(٦٩) محمود فهمي درويش، "الدّليل الرّسميّ العراقيّ لسنة ١٩٣٦، موسوعة سنويّة إداريّة اجتماعيّة اقتصاديّة تجاريّة زراعيّة، تصدر باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة"، صاحب الامتياز إلياهو دنكور، مطبعة دنكور، بغداد، ١٩٣٦: تُنظر الصّفحات ٥٩٤- ٦٠٥.

(٧٠) محمود فهمي درويش، "الدّليل الرّسميّ العراقيّ لسنة ١٩٣٦": ص٦٠٠.

(٧١) محمود فهمي درويش، "الدّليل الرّسميّ العراقيّ لسنة ١٩٣٦": ص ٦٠٣، وفيها: "لا بعثة في هذه السّنة". وكانت سنة ١٩٢٣ هي السّنة الأخرى التي لم يُبتعث فيه أحد للدّراسة خارج العراق.

(٧٢) بحسب ما ورد بخطّ مصطفى جواد في الوثيقتين (٣٣ و٣٨) من ملفّه الوظيفيّ في كليّة الآداب، وهما استمارتا "تقرير ضريبة الدّخل" للسنتين الماليّتين ١٩٤٧-١٩٤٨

ويخطئ كذلك صديقُه حسن الأمين في كتابه "مستدركات أعيان الشّيعة"، حين يذكر أنّ مصطفى جواد "تدرّج من معلّم في المدارس الابتدائيّة إلى التخرّج من جامعة القاهرة"[٧٣]، مع أنّه لم يتخرّج في هذه الجامعة قطّ، بل كان طالبا مستمعا في كلّيّة الآداب بجامعة القاهرة لمدّة عامٍ دراسيٍّ واحدٍ فقط كما سبقت الإشارة. وأعاد الأمين طبع كتابه هذا مرّة أخرى بعد عشر سنين (١٩٩٧)، من غير أن يصحّح هذا الخطأ[٧٤].

ويقول الكاتب كاظم داود المنذري إنّ مصطفى جواد "دخل جامعة السّوربون في باريس سنة ١٩٣٧"[٧٥]. في حين أنّه وصل مُبْتَعثا إلى باريس قبل ذلك بثلاث سنوات كاملة (يوم ٦ تشرين الاوّل ١٩٣٤)

و١٩٤٨-١٩٤٩، أَرْسَلَتْ بالأولى منهما عمادةُ دار المعلّمين العالية طيّ كتابها الموجّه إلى السّفارة العراقيّة الملكيّة في لندن (وهو الوثيقة ٣٢ من الملفّ)، بالعدد ٣٣١ المؤرّخ في ١٩٤٨/٢/٥، كي يملأها مصطفى جواد المقيم وقتها بالعاصمة البريطانيّة بمعيّة الملك فيصل الثّاني، بصفته كان معلّمه لدروس اللّغة العربيّة.

[٧٣] حسن الأمين، "مستدركات أعيان الشّيعة"، دار التّعارف، بيروت، ط١، ١٩٨٧: ٢٢١/١ .

[٧٤] حسن الأمين، "مستدركات أعيان الشّيعة"، دار التّعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٧: ٢٥٢/١ .

[٧٥] "أحاديث بغداد"، للدّكتور مصطفى جواد، تحقيق ودراسة: كاظم داود المنذري، مؤسّسة السّيّد هبة الدّين الحسينيّ الشّهرستانيّ للطّباعة والنّشر، ط١، ٢٠١٦. ص٢٠.

كما سبقت الإشارة[٧٦]، وانتظم في الجامعة لدراسة الدّكتوراه في سنة ١٩٣٥[٧٧].

ويذكر محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، واهمَيْن ومن دون أسانيد تؤيّدهما، أنّه في سنة ١٩٣٦ "انتهت مدّة التعهّد (وكانت ثلاث سنوات) فأوعز محمّد فاضل الجمّالي باستعادته للتّدريس في العراق"[٧٨]، وتجازف الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري بالنّقل عنهما دون تحفّظ، فتقول: "ثم دخل جامعة السّوربون في فرنسا، وعاد إلى بغداد عام (١٩٣٦)، لانتهاء مدّة التّعهد، وكانت ثلاث سنوات قبل إتمام الدّراسة"[٧٩]. مع أنّها كانت أفادت قبل هذا بأنّه سافر إلى القاهرة سنة ١٩٣٤ ليكون مستمِعا في كلّيّة الآداب، ثمّ التحق بجامعة السّوربون في العام نفسه، وأنّ مدّة التّعهد ثلاث سنوات، وعلى وفق معطياتها هذه من المتعذّر منطقيّا انتهاء مدّة التّعهد سنة ١٩٣٦، وعودته لهذا السّبب إلى بغداد، كما ذكرت. والواقع أنّ هذه الأحداث جرت وعلى وفق التّسلسل الزّمنيّ الآتي، الذي تؤكّده

---

[٧٦] يُنظر الهامش ذو الرقم (٤٥).

[٧٧] ولعلّ مبعث وهم الباحث ما قرأه في سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة المنشورة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١٦٨/١، وحديثه عن موافقة رئيس الوزراء جميل المدفعي ووزير المعارف محمّد رضا الشّبيبيّ سنة ١٩٣٧ على منحه تجديدا لعامين آخرين للحصول على الدّكتوراه، بعد أن عاد إلى بغداد بانتهاء مدة ابتعاثه التي دامت ثلاث سنوات، من دون إكمال الأطروحة، فظنّ الباحث أنّ سنة ١٩٣٧ هي بدء بعثته إلى السّوربون.

[٧٨] تُنظر مقدّمة كتابهما "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل ص ٦.

[٧٩] العماري، "مصطفى جواد لغويّا": ص٧.

رسائل مصطفى جواد إلى أنستاس الكرملي التي تقدّمت الإشارة إليها، وردود الأخير عليها: وصل إلى القاهرة يوم ١٢ أيلول ١٩٣٣، ثمّ عاد إلى بغداد صيف سنة ١٩٣٤، وسافر إلى باريس للالتحاق بجامعة السّوبورن يوم ٦ تشرين الأوّل ١٩٣٤، وعاد إلى بغداد صيف سنة ١٩٣٧، وتمكّن من تمديد التّعهد عامين آخرين، والتحق بجامعته مرّة أخرى في تشرين الثّاني من السّنة نفسها (١٩٣٧).

ويذكر مير بصري مخالفا وقائع الأحداث أنّه "قُرِّر سنة ١٩٣٨ إنهاء بعثة مصطفى جواد، فجاء إلى بغداد"[٨٠]، في حين أنّ ذلك جرى سنة ١٩٣٧، فقد انتهت مدّة التّعهّد البالغة ثلاث سنوات[٨١] في ذلك العام فعاد إلى بغداد، لكنّ مصطفى جواد تمكّن من تجديد مدّة التّعهد عامين آخرين، بعد تحرّكاته على وزير المعارف ورئيس الوزراء، فسافر إلى باريس ملتحقا بجامعة السّوربون مرّة أخرى في مطلع شهر تشرين الثّاني سنة ١٩٣٧[٨٢].

ولا شكّ أنّ الوهم في تاريخ حياة مصطفى جواد يكون صعب القبول حين يأتي من شخصيّة شديدة القرب منه، وزاملته في أكثر من عمل، كصديقه الحميم سالم الآلوسيّ، الذي ذكر في كتاب تذكاريّ عن مصطفى

---

[٨٠] بصري، "أعلام الأدب في العراق الحديث":١/٢٩٦.

[٨١] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١/١٧٠.

[٨٢] تؤكد التحاق مصطفى جواد بجامعة السّوربون في هذا التّاريخ رسالةٌ خطّيّة غير منشورة، تلقاها مصطفى جواد من أنستاس الكرملي- الذي كان في القاهرة آنذاك- مؤرّخة في ١٩ تشرين الثّاني ١٩٣٧. ولدي نسخة مصوّرة من هذه الرّسالة.

جواد صدر بُعيد وفاته أنّه "سافر إلى مصر ومنها إلى باريس للتّخصّص بالعلوم اللّغويّة، فنال شهادة الدّكتوراه من السّوربون"[٨٣]، فهو لم ينل الدّكتوراه رسميّا من الجامعة بسبب اندلاع الحرب العالميّة الثانية[٨٤]، كما أنّ أطروحة تخرّجه كانت في اختصاص التّاريخ لا اللّغة، وعنوانها كما صرّح مصطفى جواد نفسه مرارا، بقوله: "فاخترت موضوعا تاريخيّا هو: سياسة الدّولة العبّاسيّة في أواخر عصورها"[٨٥]، وكتب مصطفى جواد عنوانَ أطروحته بخطّ يده على الوثيقة، المحفوظة في ملفّه بكليّة الآداب بجامعة بغداد، ذات العدد ٤٢٩ المؤرخة في ١٤ شباط ١٩٥١، بصيغة: "سياسة الدّولة العبّاسيّة في القرن السّادس للهجرة، وأثر الخليفة النّاصر لدين الله فيها"[٨٦].

---

[٨٣] الآلوسي، "ذكرى مصطفى جواد": ص٧.

[٨٤] كتب مصطفى جواد في سيرته الذّاتيّة الموسّعة المنشورة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين": ١٦٨/١ ما نصّه: "وأكملتُ رسالة الدّكتوراه، أو أطروحتها كما يقولون، وقُبِلَتْ. وأُعلنت الحرب، فلم تتهيأ لي مناقشتها ولا طبعها، ولا تزال مخطوطةً غير مطبوعة ولا مترجمة".

[٨٥] المصدر السابق والصفحة نفسها. يُذكر أنّ جعفر الخليلي أبدى تعجّبه من أن يتخصّص مصطفى جواد في التّاريخ على حساب اللّغة. إذ يقول في كتابه "هكذا عرفتهم": ١٠١/٣: :وليس من المباهاة أن اذكر أنّي كنت من أوائل من توسّموا له القمّة في اللّغة العربيّة وأصولها وقواعدها، أمّا أن يكون عالما، وأكبر علماء التّاريخ والتّحقيق في العصور الإسلاميّة، والعصر العبّاسيّ خاصّة، فهذا ما لم أكن أتصوّره ولم يتصوّره غيري في الثّلاثينات بل وحتّى الأربعينات".

[٨٦] ويذكر صديق مقرّب أيضا من مصطفى جواد، هو مير بصري، أنّه "درس في السّوربون ونال الدّكتوراه في الأدب العربيّ"، يُنظر كتابه: "أعلام اليقظة الفكريّة في

كما يكون الوهم صعب القبول أيضا، حين يأتي من باحث معروف بتتبّعه، واشتغاله الطويل في فنّ التّراجم، وعكوفه على كتابة سير المفكّرين والأدباء العراقيّين، كحميد المطبعيّ، فقد كتب سنة ٢٠١١، في موسوعته عن أعلام العراق وعلمائه، أنّ مصطفى جواد "تخرّج من جامعة السّوربون سنة ١٩٤٩ بدرجة الدّكتوراه"[٨٧]، في حين أنّ الأمر وقع قبل ذلك بعقد كامل (أي في سنة ١٩٣٩) كما صرّح مصطفى جواد بذلك مرارا، ذاكرا أنّه لم يناقش رسالته بسبب اندلاع الحرب العالميّة الثانية، واضطراره للعودة إلى بغداد، واتفقت كلّ مصادر ترجمته الموثوقة على ذلك التّاريخ[٨٨]، ولا شكّ في أنّ ورود خطأ جسيم كهذا في موسوعة أعلام يرجع إليه الباحثون، يسهم في شيوع الأوهام في أعمالهم، ويربك عموم القرّاء والمهتمّين، وآمل أن يُتدارك في طبعة جديدة منقّحة بعد رحيل واضع الموسوعة.

ومن بين حالات السّهو التي شابت سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة، ما ذكره هو شخصيّا عن تاريخ تعيينه في دار المعلّمين العالية بعد عودته من فرنسا، إذ قال: "ثمّ عُيّنتُ بعد الرّجاء مدرّسا أو معلّما أو أستاذا

العراق الحديث": ص ١٨٧. صحيح أنّ العنوان العريض لبعثته هو التخصّص في الدّراسات الأدبيّة، لكنّ التّخصّص الذي نال فيه الدّكتوراه كان التّاريخ.

[٨٧] تُنظر موسوعته الضّخمة: "موسوعة أعلام وعلماء العراق" الصّادرة عن مؤسّسة الزّمان الدّوليّة للصّحافة والنّشر والتّوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١١: ١/٧٦٥.

[٨٨] ربّما يكون مصدر خطأ المطبعي هذا، ناتجا من اعتماده على كلمة الدّكتور إبراهيم مدكور في رثاء مصطفى جواد، التي ورد فيها هذا الخطأ التّاريخي، وقد تقدّمت الإشارة إلى تصويبها.

فـي دار المعلّمـين العاليـة، التـي تسـمّى اليـوم كليّـة التّربيـة، وذلـك سـنة ١٩٣٩"[٨٩]. وقد ثبت لديّ أنّ تحديد هذه السنة كان سهوا منه، بعد أن تمكّنتُ من الحصول على وثيقة تعيينه موقّعة من وزير المعارف آنذاك، الشّيخ الشّاعر محمّد رضا الشّبيبي[٩٠]، وهي مؤرّخة في يوم ٢٥ شباط ١٩٤٠، عزّز ذلك عثوري على الإرادة الملكيّة بقبول تعيينه[٩١].

ويجعل مير بصري دعوته لخدمة الاحتياط العسكريّة من وقائع سنة ١٩٣٩[٩٢]، وهو وهم منه، فقد أدّى مصطفى جواد خدمة الاحتياط في اليوم الأوّل من سنة ١٩٤١، حين التحق بدورة الضّباط الاحتياط في الكليّة العسكريّة الملكيّة، كما تؤكّد ذلك وثيقة رسميّة عثرتُ عليها[٩٣]، ويشايعه في ذلك محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، اللّذان يجعلان الدّعوة إلى

---

[٨٩] سيرة مصطفى جواد الذاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين":١/١٦٨.

[٩٠] "ملفّ مصطفى جواد الوظيفيّ في كليّة الآداب": الوثيقة (١) وهي أمر إداريّ صادر عن وزارة معارف العراق بالعدد ٣٨٦٢ ومؤرّخ في ١٩٤٠/٢/٢٥.

[٩١] تُنظر جريدة (الوقائع العراقيّة) وهي الجريدة الرسميّة للحكومة العراقيّة: العدد ١٧٧٧ من سنتها الثّامنة عشرة، الصّادر يوم الاثنين ٤ آذار ١٩٤٠: ص ١٥. ونُشرت فيه الإرادة الملكيّة رقم (٧٦) الخاصّة بتعيينه أستاذا مساعدا في دار المعلّمين العالية.

[٩٢] بصري، "أعلام الأدب في العراق الحديث":١/٢٩٧. ويُفهم من كلامه وكلام من تابعه، أنّ الدّعوة تعني ضمنا تأديته هذه الخدمة بعد وقت قصير من تاريخ إعلانها.

[٩٣] "ملفّ مصطفى جواد الوظيفيّ في كليّة الآداب": الوثيقة (٦) وهي كتّاب موجّه من وزارة الدّفاع إلى دار المعلّمين العالية بالعدد ٥٣٨٥ ومؤرّخ في ١٩٤١/٢/١٥.

خدمة الاحتياط سابقةً على تعيينه في دار المعلّمين العالية[٩٤]، وتتبعهما في هذا الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري[٩٥]. في حين أنّ مصطفى جواد كان واضحا في ترتيب هذه الأحداث، وفي أسبقيّة تعيينه على دعوته لخدمة الاحتياط، حين قال في سيرته: "ثمّ عُيّنتُ بعد الرّجاء مدرّسا أو معلّما أو أستاذا في دار المعلّمين العالية، التي تسمّى اليوم كليّة التّربية، وذلك سنة ١٩٣٩، ثم دُعيتُ لخدمة الاحتياط، فأسأموني وأسأمتُهم حتّى تخلّصتُ منهم، وعدتُ الى الحِضار في دار المعلّمين العالية المذكورة"[٩٦].

ووردت في مقالة للكاتب توفيق التّميمي، معلومة غير دقيقة عن برنامج الدّكتور مصطفى جواد الشّهير (قل ولا تقل)، إذ قال: "وجدت في المحافل المدرسيّة والشّعبيّة فضلا عن أوساط النّخب والمثقفين دويّا وجلبةً لبرنامج تلفزيونيّ ذاع أمرُه وانتشر صيته في تلك الأيام اسمه (قل ولا تقل) يصحّح الأخطاء اللّغويّة الشّائعة"[٩٧]. والحقّ أنّ (قل ولا تقل) برنامج إذاعيّ كان يقدّم من إذاعة بغداد، ولم يُقدّم للتّلفزيون قطّ.

وتقول الباحثة همسات محمّد حسن جواد العماري، الحائزة على الدّكتوراه في أطروحتها "مصطفى جواد لغويّا"، إنّه "انتخب عضوا في المجمع العلميّ

---

[٩٤] تُنظر مقدّمتهما لكتاب "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل ص٧.

[٩٥] العماري، "مصطفى جواد لغويّا": ص٨.

[٩٦] سيرة مصطفى جواد الذّاتيّة الموسّعة في كتاب يوسف عزّ الدّين "شعراء العراق في القرن العشرين":١٦٨/١.

[٩٧] توفيق التّميمي، "مصطفى جواد.. تركمانيّ حارس (لعلّها: حرس) اللّغة العربيّة"، عدد جريدة (التّآخي) البغداديّة الصّادر يوم ١٧ أيلول ٢٠١٥.

العراقيّ عام (١٩٤٧)[٩٨]"، والصّواب أنّ ذلك جرى سنة ١٩٤٩، وتحديدا في يوم ٨ كانون الثّاني منه[٩٩].

ويذكر صديقُه مير بصري في كتاب صدر له سنة ١٩٧١ أنّ مصطفى جواد "انتخب أيضا عضوا مراسلا في مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة"[١٠٠]، ثمّ يكرّر هذه المعلومة غير الصّحيحة بعد نحو ربع قرن، في كتاب آخر له صدر سنة ١٩٩٤، فيقول إنّه كان "عضوا مراسلا لمجمع القاهرة"[١٠١]، وشايعه في هذا الخطأ من بعد ذلك الباحث يحيى كاظم الثّعالبي في مقالةٍ له عن مصطفى جواد، حين ذكر أنّه كان "عضوا في المجامع العلميّة العربيّة في بغداد والقاهرة ودمشق"[١٠٢]. واعتمد الدّكتور محمّد عبد المطّلب البّكاء، معلومةَ مير بصري غير الصّحيحة هذه، فأدرجها في أطروحته الجامعيّة التي نشرها في كتاب أُعيد طبعه مرّتين ببغداد[١٠٣]، ثم عاد فأدرجها في

---

[٩٨] العماري، "مصطفى جواد لغويّا": ص٧.

[٩٩] عبد الله الجبوريّ، "المجمع العلميّ العراقيّ– نشأته، أعضاؤه، أعماله"، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥: ص ٤٥. والغريب أنّ الدّكتورة العماري أحالت في الهامش على هذا الكتاب، وعلى الصّفحة نفسها.

[١٠٠] بصري، "أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث": ص ١٨٨.

[١٠١] بصري، "أعلام الأدب في العراق الحديث": ٢٩٥/١.

[١٠٢] يحيى كاظم الثّعالبي، "ذكرى الدّكتور مصطفى جواد"، مجلة (المعلّم الجديد) البغداديّة: الجزآن الثّالث والرّابع من المجلّد ٣٤، الصّادران معا في شهر أيّار ١٩٧٣: ص٨٩–٩٠.

[١٠٣] البكّاء، "مصطفى جواد وجهوده اللّغويّة"ط٢: ص٤١.

كتاب ثانٍ لـه عن مصطفى جواد[١٠٤] من دون أن يتحقّق منها كما يُرتجى من كاتب أكاديميّ متخصّص نظيره. ويقع في الخطأ عينه الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجار في مقالته المنشورة في مجلّة (المؤرّخ العربيّ)[١٠٥]، وأخيرا يأتي الباحث عبد الزّهرة هامل غيّاض فينقل هذه المعلومة المغلوطة نفسها، عن الدّكتور البكّاء هذه المرّة، وذلك في كتاب له صدر ببغداد سنة ٢٠١١، بعد وفاته بسبع سنين، تضمّن كشفا بآثار مصطفى جواد المطبوعة والمخطوطة[١٠٦]. وواقع الحال أنّ مصطفى جواد لم يكن أبدا عضوا مراسلا في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، على الرّغم من أنّه كان مرشّحا للعضوية والأقرب للحصول عليها في شهر شباط من سنة ١٩٦٧، لولا أنّ تدخّلات ذات طابع سياسيّ حالت دون ذلك، وهو ما آلمَه كثيرا، وذكر بعضُ المقرّبين منه أنّ لهذا الاستبعاد أثرا في تردّي حالته الصحيّة التي أدت لوفاته المبكّرة[١٠٧]. وقد اقتصرت عضويّته في المجامع اللّغوية العربيّة على كونه عضوا مراسلا للمجمع العلميّ العربيّ (مجمع اللّغة العربيّة بدمشق فيما بعد)

---

[١٠٤] البكّاء، "مصطفى جواد: حياته ومنزلته العلميّة": ص٣٤.

[١٠٥] النّجّار، "الدّكتور مصطفى جواد ١٩٠٤-١٩٦٩"مجلّة (المؤرّخ العربيّ): العدد ٥٦ الصّادر سنة ١٩٩٨: ص١١٥.

[١٠٦] عبد الزّهرة هامل غيّاض، "الجهود العلميّة للعلّامة الدكتور مصطفى جواد- كشّاف تفصيلي لآثاره المطبوعة والمخطوطة"، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١١: ص٢٤. وهذا الكتاب احتوى من الأخطاء الجسيمة ما لا يمكن التّغاضي عنه، والمسؤوليّة تقع على الدار التي نشرته من دون مراجعة ولا تدقيق.

[١٠٧] تُنظر تفاصيل ذلك في مقدّمة الدّكتور صفاء خلوصي لكتاب "مصطفى جواد فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططي بغداد الفرد" لوحيد الدّين بهاء الدّين: ص٩.

منذ سنة ١٩٤٧ حتّى وفاته، وعضوا عاملا في المجمع العلميّ العراقيّ منذ سنة ١٩٤٩ حتّى رحيله الأبديّ.

على أنّه من الغرابة بمكان، أنّ مير بصري الذي كان مصدر هذه المعلومة غير الصّائبة، روى هو نفسه في كتابه "أعلام الأدب في العراق الحديث"، الكيفيّة التي حالت دون اتمام قبول مصطفى جواد عضوا في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، واضطرار المجمع للموافقة على توجيه من رئيس الجمهوريّة جمال عبد النّاصر، ارتأى فيه أن يكون عبد الرّزاق محيي الدّين، وهو آنذاك وزير الوحدة في العراق ورئيس المجمع العلميّ العراقيّ، هو العضو الجديد في مجمع القاهرة وليس مصطفى جواد، خلفا للعضو الرّاحل الشّاعر محمّد رضا الشّبيبي، بل إنّ بصري رصد وقع سماع هذا الخبر على صديقه، بقوله: "وقد بلغ ذلك مصطفى جواد وهو في بغداد فآلمه الخبرُ ألما شديدا"[١٠٨].

والأدهى أن تتضارب معلومات كثير من الكتّاب والباحثين الذين درسوا مصطفى جواد في كتب وأطاريح وبحوث ومقالات، تضاربا هائلا وهي تعدّد قائمة المنشور من كتبه، وتواريخ صدورها، وما كان منشورا منها بهَيْأة كتاب أو بحث طويل بمجلّة. فعلى سبيل التّمثيل فقط، أذكر بعض الأوهام التي وقع فيها باحثان معروفان، هما محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، اللّذان جمعا مختارات من مقالات مصطفى جواد وأبحاثه المنشورة في الدّوريات بتكليف من وزارة الإعلام العراقيّة، ونشراها في مجلّدين صدر

---

[١٠٨] بصري، "أعلام الأدب في العراق الحديث":١/٣٠٢.

أوّلهما سنة ١٩٧٥ وصدر الثّاني سنة ١٩٧٩، وقدّما للأوّل منهما بمقدّمة اشتملت على ملامح من سيرته، شاخصةً في سياق زمنيّ، فذكرا أنّ تحقيقه لكتاب "الحوادث الجامعة" المنسوب لابن الفُوَطي نُشر سنة ١٩٣٤[١٠٩]، مع أنّه نشر سنة ١٩٣٢، وقالا إنّ كتابه "المباحث اللّغويّة في العراق"، صدر سنة ١٩٥٠[١١٠]، في حين أن طبعته الأولى صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٥، وصدرت الثّانية ببغداد سنة ١٩٦٥. وحدّدا تاريخ صدور كتاب "الفتوّة" لابن المعمار الذي اشترك في تحقيقه بسنة ١٩٦٠[١١١]، مع أنّه صدر سنة ١٩٥٨. وقالا إنّ "دليل الجمهوريّة العراقيّة" الذي اشترك في وضعه، نشر سنة ١٩٦٠[١١٢]، والواقع أنّه صدر سنة ١٩٦١، وذكرا أنّ كتاب "بغداد" الذي اشترك في تأليفه ونشرته نقابةُ المهندسين، صدر سنة ١٩٦٨[١١٣]، مع

---

[١٠٩] تُنظر مقدّمتهما لكتاب "في التّراث العربيّ" الجزء الأوّل ص ٦. والغريب أنّ باحثا مثل جليل العطيّة، يقول عن طبع كتاب "الحوادث الجامعة" في مقالته المعنونة: "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربيّة، صاحب «قل ولا تقل» في ذكراه المئويّة"، المنشورة في العدد ٩٤٩٤ من جريدة (الشّرق الأوسط) اللّندنيّة اليوميّة، الصّادر يوم الخميس ٢٠٠٤/١١/٢٥: "انتسخ مخطوطةً مجهولةَ المؤلّف عن نسخة «الكرملي»، وبعد أن فرغ من تحقيقها والتّعليق عليها سلّمها إلى «الحاج نعمان الأعظمي» صاحب المكتبة العربيّة في بغداد الذي سارع لطبعها في القاهرة ١٩٣٢". في حين أنّ الكتاب طُبع في مطبعة الفرات ببغداد، كما مذكور في أولى صفحات الطّبعة الأولى منه. وليس في القاهرة كما ذكر العطيّة.

[١١٠] المصدر السّابق: ص ٨.

[١١١] المصدر نفسه: ص ٨.

[١١٢] المصدر نفسه: ص ٩.

[١١٣] المصدر نفسه: ص ٩.

أنّ تاريخ صدوره كان سنة ١٩٦٩. فهذه خمسة كتب ذُكرت تواريخ صدورها على أغلفتها، ويصرّ الباحثان على اختلاق تواريخ غيرها.

ويكون اختلاف الباحثين ملحوظا حين يتناولون كتبَه الخطّيّةَ، ما يدلّ على إهمال خطير تقع مسؤوليته على مؤسّسات البلاد الثّقافيّة المعنيّة بالكتاب المطبوع والمخطوط- ولا سيما دار الكتب والوثائق ودار المخطوطات العراقيّة- التي من واجبها العناية الفائقة بتراث كلّ رمزٍ من رموز البلاد الثّقافيّة، وتوثيقه على حدة في ثَبَت خاصّ بكلّ واحد منهم، ينشر في كتاب منفرد[١١٤]، أو في دوريّة متخصّصة تصدر بانتظام ليمكن استكمال ما ينقصها تباعا، على نحو ينهي هذا التّخبّط لدى الباحثين والدّارسين، الذين لم يجدوا مصدرا موثوقا يرجعون إليه، ولم يستفرغوا هم الجهدَ لأجل سدّ هذه الثّلمة، حتّى ليبدو للمتأمّل أحيانا، نتيجة هذا التخبّط، أنّ مصطفى جواد عاش في عصور سحيقة، يصعب تقصّي حقائق ما جرى فيها.. وليس أدلّ على ذلك ممّا كتبه الباحث كاظم داود المنذري وهو يتحدث عن وفاة مصطفى جواد وتشييعه: "وقيل: إنَّ الرّئيس العراقيّ أحمد حسن البكر كان قد

---

[١١٤] كما فعل كوركيس عوّاد مثلا في توثيق حياة أستاذه أنستاس الكرمليّ، وبيان مصادر ترجمته، وجرد آثاره المخطوطة، والمطبوع من كتبه، والمنشور من مقالاته وأبحاثه في الدوّريّات العراقيّة والعربيّة والأجنبيّة، في كتابه المرجعيّ "الأب أنستاس ماري الكرملي- حياته ومؤلّفاته" الصّادر ببغداد في الذّكرى المئويّة لولادته سنة ١٩٦٦. وليت كلّ أعلام النّهضة حظوا بتلامذة أوفياء ككوركيس عوّاد في صنيعه العظيم هذا.

حضر التّشييع أيضا"[١١٥]، ولفظة (قيل) هنا عجيبة الورود في توصيف واقعة معروفة وموثّقة بالصّور في كتاب تذكاريّ متداول نشره سالم الآلوسي ببغداد سنة ١٩٧٠ بعنوان "ذكرى مصطفى جواد"، ويظهر البكر (في صورة منشورة مقابل الصّفحة ١٦ من كتاب الآلوسي) متقدّما صفوف المشيّعين ومعه نائب الرّئيس آنذاك صالح مهدي عمّاش وعدد من الوزراء، كما غطّت هذا التّشييع بالصّور والتّقارير والأخبار الصّحفُ العراقيّةُ اليوميّةُ.

ومن المحزن أن يجهل باحثون ومشتغلون في كتابة التّراجم، سنة وفاة مصطفى جواد، فأصبحت لديهم محلّ شكوك، كما سنة ولادته، مع أنّ نبأ وفاته كان حدثا كبيرا تناقلته وسائل الإعلام، بعد أن نعته وزارة الإعلام والجامعات والهيئات العلميّة والمجامع اللّغويّة والصّحف والمجلّات، ورثاه العشرات من كبار الكّتاب في العراق والعالم العربيّ، فقد ذكر الباحث اللّبنانيّ حسن الأمين، وهو من أصدقاء مصطفى جواد وتبادل معه الرّسائل، في الطّبعة الأولى من كتابه "مستدركات أعيان الشّيعة"، أنّه "ولد في بغداد وتوفي فيها ١٩٧٠م"[١١٦]، وتكرّرت هذه المعلومة المخطوءة في طبعة الكتاب الثّانية[١١٧]. وقدّم كاتبٌ عراقيٌّ في مقالة نشرها ببغداد سنة ٢٠١٣، تاريخين محتملين لوفاة الدّكتور مصطفى جواد من دون أن يؤكّد أحدهما على نحو

---

(١١٥) "أحاديث بغداد"، للدكتور مصطفى جواد، تحقيق ودراسة كاظم داود المنذريّ الصّادر عن مؤسّسة السّيد هبة الدّين الحسينيّ الشّهرستانيّ للطباعة والنّشر، سنة ٢٠١٦: ص٢٤.

(١١٦) حسن الأمين، "مستدركات أعيان الشّيعة"، ط١، ١٩٨٧: ١/٢٢١ .

(١١٧) حسن الأمين، "مستدركات أعيان الشّيعة"، ط٢، ١٩٩٧: ١/٢٥٢ .

قاطع: إذ كتب يقول: "توفي مصطفى جواد ببغداد سنة ١٩٦٩م/١٣٨٩هـ، وقيل سنة ١٩٧٠م"[١١٨]، والغريب أنّ مقالته جاءت بهذا العنوان: "هكذا نُكّرِمُ الأعلام.. مصطفى جواد أُنموذَجا"!

قد يظنّ ظانٌّ أنّ حياة مصطفى جواد قد بُحثت مرّاتٍ كثيرةً، وأُشبعت بحثا، حتّى صارت معروفة للجميع، بما يثير التّساؤل عن جدوى إعادة البحث في تواريخ حياته ووقائعها، ولعلّ الصّفحات التي مرّت من عرض أخطاء بالجملة وقع فيها كتّاب أفاضل وشخصيّات أكاديميّة وباحثون وصحفيّون معروفون، تكفل تبديد ظنّه وتساؤله. وقد يقلّل آخر من قيمة هذا التّتبع التّفصيلي لما أورده الكتّاب والباحثون عن مراحل حياة مصطفى جواد، وأقول لمن تعْرض على باله مثل هذه الهواجس، إنّه يمكن للكاتب المتعجّل الذي ينقل من دون تفحّص عن المصادر في أعلاه، وقد مرّت نماذج كثيرة تؤكّد هذا الاحتمال وترجّحه، أن يكتب مثل هذه السّيرة الافتراضيّة الآتية، التي تضمّ معلوماتٍ خاطئةً ومحرّفةً، عن تاريخ حياة مصطفى جواد، مستقاة من المصادر والمراجع التي سبق أن تناولتها في هذه الاستدراكات:

---

[١١٨] حيدر الجد، "هكذا نُكّرِمُ الأعلام.. مصطفى جواد أُنموذَجا"، مجلّة (ينابيع) الصّادرة عن مؤسّسة الحكمة للثقافة الإسلاميّة، العدد ٥١ أيار ١٩١٣، ص ٤٦. ودعا الكاتب في مقالته إلى إحياء ذكرى العلّامة الرّاحل، وترميم قبره شبه المندرس في مقبرة وادي السّلام بمدينة النّجف.

[سيرة مزعومة للدّكتور مصطفى جواد

بحسب أوهام بعض من أرّخوا وقائع حياته]

[ولد سنة ١٩٠١ كما يقول سالم الآلوسي، في مدينة البعقوبة كما يقول محمّد حسين الحسيني الجلالي الذي يؤكّد أنّ أباه كان يعمل فيها فعاش طفولته هناك، وهو كرديّ الأصل كما يقول خالد القشطيني، ومن الكرد الفيليّة تحديدا كما تقول أمينة غصن، وأصل أسرته من دلتاوة في ديالى كما يقول مير بصري وتوفيق التّميمي. وفي سنة ١٩١٧حين جرى احتلال الإنكليز لبغداد وما حولها ولواء ديالى، كان في الصّفّ الثّاني الإبتدائيّ كما يذكر خضر الكيلاني، وفي سنة ١٩٢٠ تنازع أخوه إبراهيم مع والدته على الوصاية عليه كما يقول زهير أحمد القيسي، وفي السّنة نفسها اجتاز الدّراسة الابتدائيّة في دلتاوة كما يقول محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، أو أكملها في العام نفسه ولكن ببغداد كما تذكر الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري. أسهم في الكتابة لمجلّة (لغة العرب) وهو ما زال طالبا في دار المعلّمين (١٩٢١-١٩٢٤) كما يقول تلميذُه عبد المهدي الفائق، وتخرّج في دار المعلّمين العالية كما يقول توفيق التّميمي، وعيّن معلّما سنة ١٩٢٥ بحسب محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي.

نقد ديوان عبّاس محمود العقّاد وساجله على صفحات مجلّة (لغة العرب) البغداديّة سنة ١٩٢٨ كما يذكر جعفر الخليلي والدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء. كما نقدَ الكتاب الذي ألّفه روفائيل بطّي لقواعد اللّغة العربيّة التي أقرّت وزارة المعارف تدريسه في مدارسها الابتدائيّة بحسب الدّكتور

محمّد حسين الزّبيدي الذي يؤكّد أيضا أنّ مصطفى جواد نُقل إلى المدرسة المأمونيّة إحدى مدارس الكاظميّة سنة ١٩٢٨.

نُقل سنة ١٩٢٨ من مدرسة دلتاوة الابتدائيّة إلى ديوان وزارة المعارف كاتبا للتّحريرات كما يقول سالم الآلوسي ومير بصري والدّكتور محمّد حسين الزّبيدي، وكذلك محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي اللّذَان يضيفان أنّه نُقل بعد عمله في الوزارة في هذا العام أيضا إلى المدرسة المأمونيّة، التي حدّد الدّكتور حسين أمين بدء تلمذته فيها على مصطفى جواد بسنة ١٩٣٠. وكان يُحسن الفارسيّة كما يقول الدّكتور إبراهيم بيومي مدكور وكما جاء في الموسوعة العربيّة الميسّرة، فترجم رباعيّات الخيّام، ثمّ ترجم رباعيّات حسين قدس نخعي. وكان يحسن معها اللّغة التّركيّة بحسب الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار. وفي سنة ١٩٣٢ نشر عددا من الدّراسات في مجلّة سومر كما يذكر محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، وفي العام نفسه ساعد الكرمليَّ على تحرير مجلّة (لغة العرب) مع استمراره بالنّشر فيها كما يذكر الدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار والدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري. سافر إلى القاهرة سنة ١٩٣٤ كما قال هو في سيرته ونقل عنه معظم دارسيه. وذكر أنّه كان قد رُزق قبل سفره بكبرى بناته (نزهة). لكن كاظم داود المنذري يقول إنّه دخل جامعة السّوربون في باريس سنة ١٩٣٧. تخرّج في جامعة القاهرة كما يقول حسن الأمين. وبحسب الدّكتور إبراهيم مدكور فقد سعى إلى مصر في منتصف العقد الثّالث، وحصل في أخريات العقد الرّابع من جامعة السّوربون على الدّكتوراه. وكان يزوّد من فرنسا مجلّةَ (لغة العرب) بالمقالات كما يقول الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء وجليل

العطيّة. ويذكر سالم الآلوسي أنّ سفره إلى مصر ومنها إلى باريس كان هدفه التّخصّص بالعلوم اللّغويّة. غير أنّه عاد إلى بغداد سنة ١٩٣٦ لانتهاء مدّة التّعهّد بحسب محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي والدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري، فيما يؤكّد مير بصري أنّ إنهاء بعثته جرى سنة ١٩٣٨. تخرّج من جامعة السّوربون سنة ١٩٤٩ بدرجة الدّكتوراه على حدّ قول حميد المطبعي في موسوعته عن أعلام العراق وعلمائه.

وفي سنة ١٩٣٩ دُعي لخدمة الاحتياط في ذلك العام ثمّ عيّن للتّدريس في دار المعلّمين العالية كما يذكر مير بصري ومحمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي والدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري. وفي سنة ١٩٤٧ انتخب عضوا في المجمع العلميّ العراقيّ كما تقول الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري، وانتخب عضوا مراسلا في مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة كما يقول مير بصري ويحيى كاظم الثّعالبي والدّكتور محمّد عبد المطّلب البّكاء والدّكتور مصطفى عبد القادر النّجّار وعبد الزّهرة هامل غيّاض. وهذه تواريخ صدور بعض كتبه المؤلّفة أو المحقّقة، بحسب محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي: ١٩٣٤ صدر تحقيقه لكتاب "الحوادث الجامعة"، (وطُبع بالقاهرة كما يقول جليل العطيّة)، ١٩٥٠ صدر كتابه "المباحث اللّغويّة في العراق"، ١٩٦٠ صدر كتاب "الفتوّة" لابن المعمار محقّقا، ١٩٦٠ صدر "دليل الجمهوريّة العراقيّة لسنة ١٩٦٠"، ١٩٦٨ صدر كتاب "بغداد". وكان يقدّم من شاشة التّلفزيون برنامجه الشّهير (قل ولا تقل) بحسب توفيق التّميمي، ويقول حيدر الجد: وقيل إنّه توفي سنة ١٩٧٠، لكنّ الباحث اللّبنانيّ حسن الأمين يؤكّد هذا الاحتمال بقوله إنّه توفي سنة ١٩٧٠.

وبحسب كاظم داود المنذري: قيل إنّ الرّئيس العراقيّ أحمد حسن البكر الأسبق كان قد حضر تشييعه.]

ألا تشكّل هذه المزاعم والأوهام والتّحريفات والأقوال المخطوءة فيها أعلاه، مادّةً كاملةَ المفردات لسيرة مزيّفة تماما لحياة الرّجل؟ ألم تذكرها شخصيّات معروفة في الغالب، لنسبة منها مكانتها الأدبيّة والعلميّة؟ أما وردت في مصادر ومراجع معتبرة ودوريّات يعتمدها الباحثون؟ والحقّ أنّني أخشى، وقد جمعتها كلّها في موضع واحد، أن يأتي أحد كسالى الكتّاب والصّحفيّين، أو بعض مَن يضفون على أسمائهم صفة باحث، أو أحد المحسوبين على البحث الأكاديميّ زورا، فينقلها بتمامها، بوصفها تاريخا حقيقيّا لحياة مصطفى جواد. ولذلك وضعتُ لها العنوان التّنبيهيّ، وجعلتها بحروف مائلة، ووضعت خطوطا تحت موضع الخطأ حصرا، تفاديا لهذا الاحتمال، فأحيانا تكون المعلومة كلّها مخطوءة مثل الزّعم بانتخابه عضوا في مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، وأحيانا يكون الخطأ جزئيّا كأن يكون تاريخ الواقعة، مثل الزّعم بأنّه انتخب عضوا في المجمع العلميّ العراقيّ سنة ١٩٤٧، في حين أنّ ذلك جرى سنة ١٩٤٩.

المصادر:

أوّلا: الكتب

١. "الأب أنستاس ماري الكرملي، حياته ومؤلّفاته (١٨٦٦-١٩٤٧)"، كوركيس عوّاد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٦.
٢. "أحاديث بغداد"، الدّكتور مصطفى جواد، تحقيق ودراسة: كاظم داود المنذري، مؤسّسة السّيّد هبة الدّين الحسيني الشّهرستاني للطّباعة والنّشر، ط١، ٢٠١٦.
٣. أعلام الأدب في العراق الحديث" ج١، مير بصري، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٤.
٤. "أعلام اليقظة الفكريّة في العراق الحديث"، مير بصري، وزارة الإعلام، مديريّة الثّقافة العامّة، دار الحريّة، بغداد، ١٩٧١.
٥. "بغداد"، تأليف: الدّكتور مصطفى جواد والدّكتور أحمد سوسة والدّكتور محمّد مكيّة والأستاذ ناجي معروف، قامت بنشره نقابة المهندسين العراقيّين بنفقة مؤسّسة كولبنكيان، إخراج وطبع مؤسّسة رمزي للطّباعة، بغداد، ١٩٦٩.
٦. "الجهود العلميّة للعلّامة الدّكتور مصطفى جواد- كشّاف تفصيليّ لآثاره المطبوعة والمخطوطة"، إعداد: عبد الزّهرة هامل غيّاض، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١١.
٧. "الحوادث الجامعة والتّجارب النّافعة في المئة السّابعة"، أبو الفضل عبد الرّزّاق بن الفُوَطي البغداديّ، تصحيح وتعليق: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

٨. "دروس قواعد العربيّة لتلاميذ الصّفوف الرّابعة الابتدائيّة"، تأليف: رفائيل بابو إسحاق وخضّوري بهنام فرجو، المكتبة العربيّة ببغداد، دار الطّباعة الحديثة ببغداد، ١٩٢٨.
٩. "دليل الجمهوريّة العراقيّة لسنة ١٩٦٠"، تأليف الأستاذ محمود فهمي درويش والدّكتورين مصطفى جواد وأحمد سوسة، صدر تحت إشراف وزارة الإرشاد، دار مطبعة التّمدّن، بغداد، ١٩٦١.
١٠. "الدّليل الرّسميّ العراقيّ لسنة ١٩٣٦، موسوعة سنويّة إداريّة اجتماعيّة اقتصاديّة تجاريّة زراعيّة، تصدر باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة"، صاحب الامتياز إلياهو دنكور، رئيس التّحرير محمود فهمي درويش، محل دنكور للطّبع والنّشر، بغداد، ١٩٣٦.
١١. "ديوان الجواهري" الجزء الأوّل، جمعه وحقّقه وأشرف على طبعه: الدّكتور إبراهيم السّامرائي، الدّكتور علي جواد الطّاهر, الدّكتور مهدي المخزومي, رشيد بكتاش، دار الرّشيد للنّشر (سلسلة ديوان الشّعر العربيّ الحديث ٣٣), بغداد، ط١، ١٩٧٢.
١٢. "ذكرى مصطفى جواد"، سالم الآلوسي، وزارة الإعلام، مديريّة الثّقافة العامّة، سلسلة الكتب الحديثة (١٣) بغداد، ١٩٧٠.
١٣. "رباعيّات حسين قدس نخعي" عرّبها نظما: الدّكتور مصطفى جواد، النّاشر: MOUTON & CO (موتون وشركاؤه)- THE HAGUE (لاهاي- هولندا)، ط١، ١٩٥٦.
١٤. "رِحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربة سنة ١٢١٣م= ١٧٩٩م"، ترجمها من الفرنسيّة إلى العربيّة الدّكتور مصطفى جواد، ساعد المجمع

العلميّ العراقيّ على نشرها، وطُبِع بإشراف السّيّد حسين إبراهيم السّمّاك، بغداد، (ب.م)، (ب.ت).
١٥. "رسائل الدّكتور مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرملي" شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور محمّد حسين الزّبيدي، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة القادسيّة، كليّة التّربية. شركة الطّيف للطّباعة المحدودة. (ب.م)، ٢٠١١.
١٦. "الزّهاوي: الشّاعر الفيلسوف والكاتب المفكّر"، عبد الرّزّاق الهلالي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦.
١٧. "الزّهاوي في معاركه الأدبيّة والفكريّة"، عبد الرّزّاق الهلالي، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٢.
١٨. "شعراء ديالى"، خضر الكيلاني، الجزء الأوّل، دار الجمهوريّة، بغداد، ط١، ١٩٦٨.
١٩. "شعراء العراق في القرن العشرين"، الجزء الأوّل، يوسف عزّ الدين، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٩.
٢٠. "الطّريقة الاستقرائيّة في قواعد اللّغة العربيّة" ٣ أجزاء، رفائيل بابو إسحاق، دار الطّباعة الحديثة، بغداد، ١٩٢٤-١٩٢٥.
٢١. "كتاب الفتوّة"، تصنيف الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن أبي المكارم المعروف بابن المعمار البغداديّ الحنبليّ، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، الدكتور محمّد تقي الهلالي، الدكتور عبد الحليم النّجّار، أحمد ناجي القيسي. النّاشر: مكتبة المثنّى بغداد، مطبعة شفيق ١٩٥٨.

٢٢. "فهارس سومر: المجلّدات ١-٣١، ١٩٤٥-١٩٧٦"، وضعه: حكمت توماشي، وزارة الثّقافة والفنون- المؤسّسة العامّة للآثار، بغداد، ١٩٧٩.
٢٣. "فهارس لغة العرب"، إعداد: حكمت توماشي، وزارة الإعلام، مديريّة الثّقافة العامّة، سلسلة كتب التّراث (٢٥)، بغداد ١٩٧٢.
٢٤. "فهرس التّراث"- المجلّد ٢، محمّد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمّد جواى الحسيني الجلالي، النّاشر: دليل ما، مطبعة نكارش، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٥. "في التّراث العربيّ: التّأريخ- الخَطط- الأدب- اللّغة- التّراث الشّعبيّ- النّقد"، ج١، تأليف الدّكتور مصطفى جواد، قدّم له وأخرجه ونصَّصه وفهرسه: محمّد جميل شلش وعبد الحميد العَلَوْجي، منشورات وزارة الإعلام- سلسلة كتب التّراث (٣٩)، دار الحريّة للطّباعة، بغداد، ١٩٧٥.
٢٦. "في التّراث اللّغويّ"، تأليف الدّكتور مصطفى جواد، حقّقه وقدّم له وأخرجه ونصّصه الدكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩٩٨.
٢٧. "المباحث اللّغويّة في العراق ومشكلة العربيّة العصريّة" الدّكتور مصطفى جواد، معهد الدّراسات العربيّة، القاهرة، ط١، ١٩٥٥.
٢٨. "المجمع العلميّ العراقيّ- نشأته، أعضاؤه، أعماله"، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥.
٢٩. "مذكّرات رؤوف البحراني: لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطنيّ عام ١٩٢٠م ولغاية عام ١٩٦٣م"، إعداد وتحقيق: الأستاذ

الدكتور محمّد حسين الزّبيدي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
٣٠. "مستدركات أعيان الشّيعة"، حسن الأمين، دار التّعارف، بيروت، ط١، ١٩٨٧. (والطبعة الثانية الصّادرة عن الدار نفسها سنة ١٩٩٧).
٣١. "مصطفى جواد، حياته ومنزلته العلميّة"، تأليف الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء، دار الشّؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩.
٣٢. "مصطفى جواد فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططيّ بغداد الفرد"، وحيد الدّين بهاء الدّين، المكتبة الأهليّة ببغداد، مطبعة النّعمان، النّجف، ط١، ١٩٧١.
٣٣. "مصطفى جواد لغويّا"، تأليف الدّكتورة همسات محمّد حسن جواد العماري، مكتب اليمامة للطّباعة والنّشر، بغداد، ٢٠١٥.
٣٤. "مصطفى جواد وجهوده اللّغويّة"، الدّكتور محمّد عبد المطّلب البكّاء، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧.
٣٥. "مع الخالدين- مجمع اللّغة العربيّة في عيده الخمسينيّ"، إبراهيم مدكور، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٩٨١.
٣٦. "معجم المؤلّفين العراقيّين في القرنين التّاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩"، كوركيس عوّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩.
٣٧. "من تراث العلّامة مصطفى جواد"- ٣ أجزاء، جمعها وقدّم لها عبد الحميد الرّشودي، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩١٧.
٣٨. "موسوعة أعلام وعلماء العراق"، حميد المطبعي، مؤسّسة الزّمان الدّوليّة للصّحافة والنّشر والتّوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١١.

٣٩. "الموسوعة العربيّة الميسّرة"، لمجموعة من العلماء والباحثين بإشراف الدكتور محمّد شفيق غربال، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ط١ (في سبعة مجلّدات)، ٢٠١٠.
٤٠. "هكذا عرفتهم"-ج٣، جعفر الخليلي، دار التّعارف، بغداد، ب.ت.

ثانيا: الدّوريّات

أ: المجلّات

١. (ألف باء) أسبوعيّة بغداديّة، العدد ٤٣٠ من السّنة التّاسعة، الصّادر يوم ١٩٧٨/١٢/١٥، مقالة زهير أحمد القيسي: "في ذكرى وفاة الدّكتور مصطفى جواد.. صاحب «قل ولا تقل» يروي قصّة حياته بنفسه: أنا فيلسوف اللّغة العربيّة وخَططيّ بغداد الفرد!".
٢. (بين النّهرين) فصليّة موصليّة:
- العدد ٨٩-٩٠ من المجلّد ٢٣ لسنة ١٩٩٥. مقالة سالم عيسى تولا: "روفائيل بابو إسحق (١٨٩٥-١٩٦٤) المؤرّخ والأديب، بمناسبة مرور مئة عام على ولادته".
- العدد ٩٣-٩٤ من المجلّد ٢٤ لسنة ١٩٩٦. "تعقيب".
٣. (الجندي) شهريّة ثقافيّة عسكريّة تصدرها وزارة الدّفاع العراقيّة:
- عدد آذار ١٩٦٩: "لقاء مع الدّكتور مصطفى جواد"- القسم الأوّل.
- عدد نيسان ١٩٦٩: "لقاء مع الدّكتور مصطفى جواد"- القسم الثّاني.

٤. (لغـة العـرب) شـهريّة بغداديّـة، الجـزء التّاسـع مـن المجّلـد السّـادس الصّـادر فـي أيلـول ١٩٢٨. مقالـة الأب أنسـتاس مـاري الكرملـي: "مصطفى جواد".

٥. (المـؤرّخ العربـيّ) فصـليّة بغداديّـة، العـدد ٥٦ الصّـادر سـنة ١٩٩٨. مقالة الدكتور مصطفى عبد القادر النّجّار: "الدّكتور مصطفى جواد ١٩٠٤-١٩٦٩".

٦. (المعلّم الجديد) فصليّة بغداديّة:

- الجزء الأوّل من المجلّد الحادي عشر، الصّادر في شباط ١٩٤٧. مقالـة الـدّكتور مصـطفى جـواد: "ضـعف اللّغـة العربيّـة فـي المـدارس وطرائق تقويتها".
- الجزآن الثّالث والرّابع من المجلد ٣٤، الصّادران معا في شهر أيّار ١٩٧٣. مقالة يحيى كاظم الثّعالبي: "ذكرى الدّكتور مصطفى جواد".

٧. (ينـابيع) شـهريّة بغداديّـة، العـدد ٥١ الصّـادر فـي أيّـار ١٩١٣. مقالـة حيدر الجد: "هكذا نُكّرمُ الأعلام.. مصطفى جواد أُنموذَجا".

ب: الصحف

١. (التآخي) يوميّة بغداديّة:

- العدد الصّادر يوم ٢٠١٥/٩/١٧: مقالـة توفيـق التّميمـي: (مصـطفى جواد.. تركمانـيّ حارس (لعلّها:حرس) اللّغة العربيّة). وفي العـدد نفسـه مقالتـه الأخـرى: "تـاريخ حافـل بالوطنيّـة المشـهودة والعبقريّـة اللّغويّـة والأمانـة التّاريخيّـة.. مصـطفى جـواد ناسـك فـي محـراب العربيّـة"- القسم الأوّل.

- العدد الصّادر يوم ٢٠١٥/٩/٢٢. مقالة توفيق التّميمي: "تاريخ حافل بالوطنيّة المشهودة والعبقريّة اللّغويّة والأمانة التّاريخيّة.. مصطفى جواد ناسك في محراب العربيّة"– القسم الثّاني.

٢. (الجمهوريّة) يوميّة بغداديّة:

- العدد ٦٤١ الصّادر يوم ١٩٦٩/١٢/٢٥. مقالة سؤدد القادري: "حديث للدّكتور المرحوم مصطفى جواد قبل وفاته بأيّام.. جوانب شخصيّة من حياة الفقيد الكبير".
- العدد ٧١٦، الصّادر يوم ١٩٧٠/٣/٢٦: "الجابر يفتتح معرض مخلّفات المرحوم مصطفى جواد".
- العدد ١٢٥٦ الصّادر يوم ١٩٧١/١٢/١٧، مقالة بتوقيع (م) (هو اسم مستعار لعبد المهدي الفائق): "الدّكتور مصطفى جواد في ذكراه الثّانية".

٣. (الحياة) يوميّة لندنيّة، العدد ١٥٩١٧ الصّادر في ٢٠٠٦/١١/٢. مقالة أمينة غصن: "كتاب جديد عن الأكراد ... جنسيّة من لحم ودم".

٤. (الصّباح) يوميّة بغداديّة، العدد الصّادر يوم ٢٠١٤/٥/١١. مقالة توفيق التّميمي: "ذاكرة العلاّمة مصطفى جواد في شريط صوتيّ نادر، شهادة لصاحب (قل ولا تقل)".

٥. (الشّرق الأوسط) يوميّة لندنيّة:
- العدد ٩٤٩٤ الصّادر يوم ٢٠٠٤/١١/٢٥. مقالة جليل العطيّة: "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربيّة، صاحب «قل ولا تقل» في ذكراه المئويّة".
- العدد ١٢٤٣٠ الصّادر يوم ٢٠١٢/١٢/٩. عمود خالد القشطيني: "قل ولا تقل".
٦. (كلّ شيء) أسبوعيّة بغداديّة، العدد الثّاني من سنتها الأولى، الصّادر يوم ١٩٦٤/٦/٢٢: "ساعة مع مصطفى جواد، الفلّاح الذي يحمل الدّكتوراه".
٧. (المدى) يوميّة بغداديّة. العدد الصّادر يوم ٢٤ آذار ٢٠١٣. تقرير بعنوان: "الموت يغيّب المؤرّخ العراقيّ الكبير حسين أمين".
٨. (المستقبل العراقيّ) أسبوعيّة عراقيّة، العدد ٨٧٢ الصّادر في ٢٠١٤/١٢/٢٥. مقابلة علي ناصر الكناني: "رحلة في ذاكرة شيخ المؤرّخين الدّكتور حسين أمين: مواقف وأحداث زاخرة من تاريخ بغداد".
٩. (الوقائع العراقيّة) الجريدة الرسميّة للحكومة العراقيّة، العدد ١٧٧٧ من سنتها الثامنة عشرة، الصّادر يوم ١٩٤٠/٣/٤.

ثالثا: الرّسائل الجامعيّة

١. "مصطفى جواد نحويّا" محمّد عبد المطّلب البكّاء، رسالة لنيل الماجستير من كليّة دار العلوم بجامعة القاهرة– قسم النّحو والصّرف والعَروض، أشرف عليها الأستاذ الدّكتور عبد الله درويش، ١٩٧٨. (محفوظة نسخة منها في دار الكتب والوثائق الوطنيّة ببغداد).

رابعا: الوثائق غير المنشورة

١.أرشيف وزارة المعارف العراقيّة في دار الكتب والوثائق ببغداد.

٢.رسائل مصطفى جواد إلى الأب أنستاس ماري الكرمليّ بدار المخطوطات العراقيّة. ورسائل من الكرملي إلى مصطفى جواد (لديّ نسخة مصوّرة منها).

٣.ملفّ مصطفى جواد الوظيفيّ في كليّة الآداب بجامعة بغداد.

خامسا: البرامج التّلفزيونيّة

١. (مصطفى جواد)، برنامج وثائقيّ للمخرج مهدي زاهد، قناة (العراقيّة) الفضائيّة، وحدة البرامج الوثائقيّة، إنتاج ٢٠١٠.